ومن أسباب الودّ: بسطة الوجه وليّن الكلام وسعة الخُلق. إن من العوامل القوية في جلب أرواح الناس إليك: الرِّفق. ولذلك يقول ﷺ: «ما كان الرِّفقُ في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه».

ويقول: «من يُحرم الرفق، يُحرم الخير كله».

قال أحد الحكماء: الرفق يُخرج الحيَّة من جُحْرها.

وقال الفرنسيُّون: اجنِ العسل، ولا تكسر الخليَّة.

وفي الحديث الصحيح: «المؤمن كالنحلة تأكل طيباً، وتضع طيباً، وإذا وقعتْ على عود، لم تكسره».

تنقَّلْ في الدِّيار واقرأ آيات القُدرة

ومِمَّا يجلب الفرح والسرور: الأسفارُ والتَّنقُّل في الدِّيار ورؤية الأمصار. وقد سبقتْ كلمةٌ في أوَّل هذا الكتاب عن هذا. قال سبحانه: ﴿قُلِ انظُرُوا ماذا في السَّمـاوات والأرض﴾، ﴿قُلْ سيرُوا في الأرض فانظُرُوا﴾، ﴿أفلم يسيرُوا في الأرض فينظُرُوا﴾.

قال الشاعر:

ولا تلبثْ بربْعٍ فيه ضَيْمٌ ... يذيبُ القلبَ إلا إن كَبِلْتا

وغَرِّبْ فالتغرُّبُ فيه نفعٌ ... وشَرِّقْ إنْ بريقك قد شرقتا

ومن يقرأ رحلة ابن بطُّوطة، على ما فيها من المبالغات، يجد العجب العجاب من خلْق الله سبحانه وتعالى، وتصريفه في الكون، ويرى أنها من العبر العظيمة للمؤمن، ومن الراحة له أن يسافر، وأن يغيِّر أجواءه ومكانه ومحلَّه، ليقرأ في هذا الكتاب الكوني المفتوح.

يقول أبو تمام - وهو يتحدَّث عن التنقل في الدِّيار -:

بالشَّام أهلي وبغداذ الهوى وأنا ... بالرَّقْمتين وبالفسطاط جيراني

﴿ قل سيروا في الأرض ﴾، ﴿ فسيحوا في الأرض ﴾، ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾، ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾.

تهجَّدْ مع المتهجِّدين

ومما يُسعد النَّفْس ويشرح الصدر: قيام الليل.

وقد ذكر ﷺ في الصحيح: أن العبد إذا قام من الليل، وذكَر الله، ثم توضَّأ وصلَّى، أصبح نشيطاً طيِّب النفْس، ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾، ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾.

وقيام الليل يذهب الداء عن الجسد. وهو حديث صحيح عند أبي داود: «يا عبدالله، لا تكن مثْل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»، «نعْم الرجل عبدالله لو كان يقوم من الليل».

لا تأسف على الأشياء الفانية. كل شيء في هذه الحياة فان الا وجهه سبحانه وتعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾.

إن الإنسان الذي يأسف على دنياه. كالطفل الذي يبكي على فقد لعبته.

وقفة

كلّ اثنين منهما قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها. والفرق بينهما أن الهمّ توقّع الشرّ في المستقبل، والحزن التألّم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب، وكلاهما تألّم وعذابٌ يَرِدُ على الرُّوح. فإن تعلّق بالماضي سُمّي حزناً. وإن تعلّق بالمستقبل سُمّي همّاً..

اللّهمّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة. اللّهمّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي. اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي..

قال الشاعر:

ألم تر أن ربّك ليس تُحصى ... اياديه الحديثة والقديمه

تسل عن الهموم فليس شيءٌ ... يُقيم ولا همومك بالمقيمه

لعلّ الله ينظر بعد هذا ... إليك بنظرة منه رحيمه

ثمنك الجنة

يقول الشاعر:

نفسي التي تملك الأشياء ذاهبةً فكيف أبكي على شيء إذا ذهبا

إن الدنيا بذهبها وفضتها ومناصبها ودُورها وقصورها لا تستأهل قطرة دمع. فعند الترمذي أن الرسول ﷺ قال: «**الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالماً ومتعلماً**».

إنها وداعٌ فحسب، كما يقول لبيد:

وما المالُ والأهلون إلا وديعةٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

إن المليارات والعقارات والسيارات لا تؤخر لحظة واحدة من أجل العبد، قال حاتم الطائي:

لعمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

ولذلك قال الحكماء: اجعل للشيء ثمناً معقولاً. فإن الدنيا وما فيها لا تُساوي نفس المؤمن: «**وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ**».

ويقول الحسن البصري: لا تجعلْ لنفسك ثمناً غير الجنة، فإن نفس المؤمن غاليةٌ، وبعضهم يبيعها برخص.

إن الذين ينوحون على ذهاب أموالهم وتهدُّم بيوتهم واحتراق سياراتهم، ولا يأسفون ويحزنون على نقص إيمانهم وعلى أخطائهم وذنوبهم، وتقصيرهم في طاعة ربهم سوف يعلمون أنهم كانوا تافهين بقدر ما ناحوا على تلك. ولم يأسفوا على هذه: لأن المسألة مسألةُ قيمٍ ومُثُلٍ ومواقف ورسالة: «**إنَّ هؤلاء يُحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً**».

الحب الحقيقي

كُن من أولياء الله وأحبائه لتسعد. إن من أسعد السعداء ذاك الذي جعل هدفه الأسمى وغايته المنشودة حُبَّ الله عز وجل. وما ألطف قوله: ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾.

قال بعضهم: ليس العَجَب من قوله: يحبُّونه، ولكن العجب من قوله: يحبُّهم: فهو الذي خلقهم ورزقهم وتولاهم وأعطاهم، ثم يحبهم: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾.

وانظر إلى مكرمة علي بن أبي طالب، وهي تاجٌ على رأسه: رجل يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه.

إن رجلاً من الصحابة أحبَّ ﴿ قل هو الله أحدٌ ﴾، فكان يردِّدها في كلِّ ركعة، ويتولَّهُ بذكرها، ويُعيدها على لسانه، ويُشجي بها فؤاده، ويحرِّك بها وجدانه. قال له ﷺ: «حبُّك إياها أدخلك الجنة».

ما أعجب بيتين كنت أقرؤهما قديماً، في ترجمة لأحد العلماء، يقول:

إذا كان حبُّ الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يسلبُ اللبَّ والعقلا

فماذا عسى أن يفعل الهائمُ الذي ... سرى قلبُه شوقاً إلى العالم الأعلى

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾.

إن مجنون ليلى قتلَه حبُّ امرأة، وقارون حبُّ مال، وفرعون حبُّ منصب، وقُتل حمزة وجعفر وحنظلة حبّاً لله ولرسوله، فيا لبُعْد ما بين الفريقين.

وقفة

.ينتحر ٣٠٠ ضابط شرطة سنويًا في أمريكا، منهم عشرة في نيويورك وحدها.. ومنذ عام ١٩٨٧م يتزايد عدد ضُبّاط الشرطة المُنتحرين هناك.. وهي ظاهرة أقلقت السُّلطات. وقام الاتحاد الوطني لضبّاط الشرطة ببحثها.

لقد وجد الاتّحاد أن **أبرز أسباب انتحار الضباط هو**: توتُّر الأعصاب الدّائم الذي يعيشون فيه، فهم مُطالَبون دائمًا بالثَّبات في الأزمات، وتحمُّل الضُّغوط المتزايدة مع ارتفاع نسبة الجريمة، وتحمُّل الآلام النّاتجة عن التّعامُل مع المجرمين، ورؤية جثث الضحايا من أطفال ونساء وعجائز.

والسبب الثاني هو: وجود الأسلحة معهم بشكلٍ دائم، فهي تُساعدهم أو تسهّل عليهم عمليّة الانتحار.

وقد وُجد أن ثمانين بالمائة من حوادث انتحار الضباط تتمُّ بسلاحهم الخاصّ، في ثلاثة أيام متتالية انتحر ثلاثة ضُبّاط، كلٌّ منهم بواسطة مسدسه الميري».

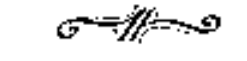

لا تحزن فالشريعة سَهْلةٌ مُيسَّرة

إن مما يُثلج صدرَ المسلم ظاهرةُ اليُسر والسَّماحة في الشريعة الإسلامية ﴿طه ۝١﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿، ﴿ونُيسِّرُك لليُسرى ۝﴾، ﴿لا يُكلفُ اللهُ نفسا إلا وُسعها ﴿، ﴿لا يُكلفُ اللهُ نفسا إلا ما آتاها ﴿، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج ۝﴾، ﴿ويضعُ عنهم إصرهم

والأغلال التي كانت عليهم ﴿ ... ﴾ فإن مع العسر يسرا ﴿ ﴾ إن مع العسر يسرا ﴿ ﴾ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴿ ﴾.

«رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .. إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .. سددوا وقاربوا وابشروا .. بعثت بالحنيفية السمحة .. خير دينكم أيسره».

عُرضت على شاعر معاصر في دولة وزارة يتولاها، على أن يترك طموحاته ورسالاته وأطروحاته الحقة، فقال:

خذوا كل دنياكم واتركوا ... فؤادي حراً طليقاً غريبا

فإني أعظمكم ثروة ... وإن خلتموني وحيداً سليبا

أسس للراحة

في مجلة «أهلاً وسهلاً» بتاريخ ١٤١٥/٤/٣هـ مقالة بعنوان «عشرون وصفة لتجنب القلق» بقلم د. حسان شمسي باشا.

من معاني هذه المقالة:

إن الأجل قد فُرغ منه، وإن كلَّ شيء بقضاء وقدر، فلا يأسف العبد، ولا يحزن على ما يجري، إن رزق المخلوق عند الخالق في السماء، فلا يملكه

أحد، ولا يتحسّرُ فيه قوم، ولا يمنعه إنسان، وإن الماضي قد ذَهَبَ بهمومه وغمومه، وانتهى فلن يعود، ولو اجتمع العالم بأسْرِه على إعادته، وإن المستقبل في عالم الغَيْب، ولم يحضر إلى الآن، ولم يستأذن عليك، فلا تستدْعِه حتى يأتيَ. وإن الإحسان إلى الناس يُضفي على القلب سروراً، وعلى الصدر انشراحاً، وهو يعود على مُسديه أعْظَمَ بركة وثواب وأجر وراحة ممن أُسدي إليه.

ومن شيَم المؤمن عدم الاكتراث بالنقْد الجائر الظالم، فلم يَسْلَم من السَّبِّ والشَّتْم حتى ربُّ العالمين، الذي هو الكامل الجليل الجميل. تقدَّستْ أسماؤه.

قلتُ في أبيات لي:

فعلام تحرقُ أدمُعاً قد وُضنتَ ... ويظلُّ يُقلقُ قلبك الإرهابُ

وكُلْ بهـا رباً جليلاً كلما ... نام الخلـيُّ تفتحت أبوابُ

احْذَرِ العشق

إياك وعشقَ الصُّوَر، فإنها همٌّ حاضر، وكَدَرٌ مستمرّ، من سعادة المسلم بُعدُه عن تأوُّهات الشعراء، وَوَلَهِهم وعشقهم، وشكواهم الهَجْر والوصْل والفراق، فإن هذا من فراغ القلب، أفرأيت من اتخذ إلهَهُ هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة؟

وأنا الذي جلب المنيّة طرْفُهُ ... فمن المطالبُ والقتيلُ القاتلُ

والمعنى: إنني أستحقّ وأستأهل ما ذُقت من الألم والحسرة: لأنني المتسبّب الأعظم فيما جرى لي.

وآخرُ أندلسيٌّ يتباهَى بكثرة هيامه وعشقه وولهه، فيقول:

شكا ألم الفراق الناسُ قبلي ورُوِّعَ بالجوى حيٌّ ومَيْتُ

وأمّا مثلما ضمّتْ ضلوعي فإنّي ما سمعتُ ولا رأيتُ

ولو ضمّ بين ضلوعه التقوى والذكر ورُوحانيّةً وربّانيّةً، لَوَصَل إلى الحقّ، ولَعَرَف الدليل، ولأبصرَ الرُّشد، ولَسَلَك الجادّة: ﴿وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغٌ فاستعذ بالله﴾، ﴿إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشّيطان تذكّروا فإذا هم مُبصرون﴾.

إن ابن القيّم عالجَ هذه المسألة علاجاً شافياً كافياً في كتابه «الداء والدواء»، أو «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، فليُرْجَع إليه.

إن للعشق أسباباً، منها:

١. فراغ القلب من حُبّه سبحانه وتعالى وذكره وشُكره وعبادته.

٢. إطلاق البصر، فإنه رائدٌ يجلب على القلب أحزاناً وهموماً: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فُروجهم﴾. «النظرة سهمٌ من سهام إبليس».

وأنت متى أرسلت طرْفك رائداً إلى كلّ عينٍ أتعبتْك المناظرُ

رأيت الّذي لا كُلّه أنت قادرٌ عليه ولا عنْ بعضه أنتَ صابرُ

٣. التقصير في العبوديّة، والتقصير في الذّكر والدّعاء والنوافل ﴿إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر﴾.

أمّا دواء العشق، فمنه:

﴿كذلك لنصرف عنه السّوء والفحشاء إنّه من عبادنا المُخلصين﴾.

١. الانطراح على عتبات العبوديّة، وسؤال المولى الشّفاء والعافية.

٢. وغضّ البصر وحفظ الفرج ﴿ويحفظوا فروجهم﴾، ﴿والذين هُم لفُروجهم حافظون﴾.

٣. وهجر ديار من تعلّق به القلبُ، وتَرْك بيته وموطنه وذكره.

٤. والاشتغال بالأعمال الصالحة: ﴿إنّهم كانُوا يُسارعون في الخَيرات ويدعُوننا رغباً ورهبا﴾.

٥. والزّواج الشّرعي ﴿فانكحُوا ما طاب لكُم من النّساء﴾، ﴿ومن آياته أنْ خلق لكُم من أنفسكُم أزواجاً لتسكُنوا إليها﴾. «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج».

حقوق الأخوة

مما يُسعد أخاك المسلم أن تُناديه بأحبّ الأسماء إليه.

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسّوءة اللقب

وأن تهشّ وتبشّ في وجهه، **ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**.. **تبسُّمك في وجه أخيك صدقةٌ**.. وأن تشجّعه على الحديث معك.. أي تترك له فرصة ليتكلّم عن نفسه وعن أخباره.. وتسأل عن أموره العامّة والخاصّة، التي لا حرج في السؤال عنها.. وأن تهتمّ بأموره، **من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم**.. ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياءُ بعض** ﴾.

ومنها: أن لا تلومه ولا تُعْدِله على شيء مضى وانتهى، ولا تحرجه بالمزاح: **لا تُمار أخاك ولا تُمازحه، ولا تعده موعداً فتُخلفه**..

أسرار في الذنوب.. ولكنْ لا تذنب!

ذكر بعض أهل العلم: أن الذنب كالختم على العبد.. ومن أسرارها بعد التوبة: فحسْم ظهر العُجْب، وكثرة الاستغفار والتوبة والإنابة والتوجُّه والانكسار والندامة، ووقوع القضاء والقدر.. والتسليم بعبودية مُقابَلة القضاء والقدر..

ومنها: تحقُّق أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى مثل: الرحيم والغفور والتوّاب..

اطلُب الرزق ولا تحرص

سبحان الخالق الرازق، أعطى الدودةَ رزقها في الطّين، والسمكةَ في الماء، والطائرَ في الهواء، والنملةَ في الظّلماء، والحيّةَ بين الصخور الصمّاء..

ذكَر ابن الجوزي لطيفةً من اللّطائف: أن حيّةً عمياء كانت في رأس نخلة، فكان يأتيها عصفورٌ بلحم في فمه، فإذا اقترب منها وزوّز وصفّر،

فتفتح فاها، فيضع اللحم فيه. سبحان من سخّر هذا لهذه. ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ﴾.

وإذا ترى الثعبان ينفث سمّه ... فاسأله من ذا بالسموم حشاكا

واسأله كيف تعيش يا ثعبانُ أوَ ... تحيا وهذا السمّ يملأ فاكا

كانت مريم عليها السلام يأتيها رزقها في المحراب صباح مساء. فقيل لها: يا مريم، أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

لا تحزن. فرزقك مضمون. ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحنُ نرزقكم وإياهم ﴾. لتعلم البشريّةُ أن رازق الوالد والولد، هو الذي لم يلد ولم يولد.

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحنُ نرزقهم وإياكم ﴾. إن صاحب الخزائن الكبرى جلّ في علاه قد تكفّل بالرزق. فلمَ القلق والزعيم بذلك الله؟!

﴿ فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾.

﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾.

وقفة

أمّا الصلاة، فشأنها في تفريغ القلب وتقويته، وشرحه، وابتهاجه ولذّته، أكبرُ شأن. وفيها اتّصال القلب والرّوح بالله، وقربه والتّنعّم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقُواه وآلاته

في عبوديته، وإعطاء كلِّ عضوٍ حظَّه منها، واشتغاله عن التَّعلُّق بالخلق ومُلابَستهم ومُحاوَرتهم، وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلى ربِّه وفاطره، وراحته من عدوِّه حالةُ الصلاةِ ما صارتْ به من أكبرِ الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تُلائم إلا القلوبَ الصحيحة. وأمَّا القلوب العليلة، فهي كالأبدان، لا تُناسبها إلاَّ الأغذية الفاضلة».

«فالصلاة من أكبر العَوْن على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي مَنْهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومَطْرَدةٌ للداء عن الجسد، ومُنَوِّرةٌ للقلب، ومُبيِّضةٌ للوجه، ومنشَّطة للجوارح والنفس، وجالبةٌ للرزق، ودافعةٌ للظُّلم، وناصرةٌ للمظلوم، وقامعةٌ لأخلاط الشَّهوات، وحافظةٌ للنعمة، ودافعةٌ للنقمة، ومُنزلةٌ للرحمة، وكاشفةٌ للغُمة».

شريعة سَمْحة

ممَّا يُفرح العبد المسلم، ما في الشريعة من الثَّواب الجزيل والعطاء الضخم، يتجلَّى ذلك في المكفِّرات العشر، كالتوحيد وما يكفِّره من الذنوب، والحسنات الماحية، كالصلاة، والجمعة إلى الجمعة، والعمرة إلى العمرة، والحجِّ، والصوم، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، وما هناك من مُضاعفة الأعمال الصالحة، كالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومنها التوبة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب والخطايا، ومنها المصائب المكفِّرة، فلا يصيب المؤمن من أذىً إلا كفَّر الله به من خطاياه، ومنها دعوات المسلمين له بظهر الغيب، ومنها ما يُصيبه من الكرب وقت الموت،

ومنها شفاعة المسلمين له وقتَ الصلاة عليه. ومنها شفاعة سيِّد الخلق ﷺ. ورحمة أرحم الراحمين تبارك وتعالى ﴿ وإن تعُدُّوا نعمة الله لا تحصُوها ﴾، ﴿ وأسبغ عليكُم نعمهُ ظاهرة وباطنة ﴾.

﴿لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى﴾

أوجس موسى في نفسه خيفةً ثلاث مرّات:

الأولى: عندما دخلَ ديوانَ الطاغية فرعون، فقال: ﴿ إنّنا نخافُ أن يفرُط علينا أو أن يطغى ﴾، قال الله: ﴿ لا تخافا إنّني معكُما أسمعُ وأرى ﴾.

وحَقيقٌ بالمؤمن أن تكون في ذاكرته وفي خَلَده: لا تَخَفْ. إنني أسمع وأرى.

والثانية: عندما ألقى السحرةُ عِصيَّهم، فأوْجَسَ في نفسه خيفةً موسى فقال الله تعالى: ﴿ لا تخف إنّك أنت الأعلى ﴾.

الثالثة: لما أتْبَعَهُ فرعون بجنوده، فقال له الله: ﴿ اضرب بعصاك ﴾. وقال موسى: ﴿ كلاّ إنّ معي ربّي سيهدين ﴾.

إياك وأربعاً

أربعٌ تُورث ضنْكَ المعيشة وكَدَرَ الخاطر وضيقَ الصدر:

الأولى: التَّسخُّط من قضاء الله وقدره، وعَدَم الرِّضا به.

الثانية: الوقوع في المعاصي بلا توبة ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾، ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾.

الثالثة: الحقد على الناس، وحُبُّ الانتقام منهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ﴿أو يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾. **لا راحة لحسود.**

الرابعة: الإعراض عن ذكر الله ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾.

اسكُن إلى ربك

راحة العبد في سكونه إلى ربّه سبحانه وتعالى.

وقد ذكر الله السكينة في مواطنَ من كتابه عزَّ من قائل، فقال: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾، ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾، ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله﴾، ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾.

والسكينة هي ثباتُ القلب إلى الربّ، أو رسوخ الجَنان ثقةً في الرحمن، أو سُكون الخواطر توكُّلاً على القادر. والسكينة هدوء لواعج النفس وسكونها، واستئناسها وركودها وعدم تفلُّتها، وهي حالةٌ من الأمن يحظى بها أهل الإيمان، تُنقذهم من مزالق الحيرة والاضطراب، ومهاوي الشكّ والتسخُّط، وهي بحَسَب ولاية العبد لربّه، وذكره وشُكره لمولاه، واستقامته على أمره، واتّباع رسوله ﷺ، وتمسُّكه بهديه، وحبّه لخالقه، وثقته في مالك أمره، والإعراض عمّا سواه، وهجْر ما عداه، لا يدعو إلا الله، ولا يعبد إلا إياه ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

كلمتان عظيمتان

قال الإمام أحمد: كلمتان نفعني الله بهما في المحنة:

الأولى: لرجُل حُبس في شرب الخمر. فقال: يا أحمد، اثبت، فإنك تُجلد في السُّنَّة. وأنا جُلدتُ في الخمر مراراً، وقد صبرتُ. ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾. ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾.

الثانية: لأعرابيٍّ قال للإمام أحمد - والإمام أحمد قد أُخذ الى الحبس، وهو مقيَّدٌ بالسلاسل -: يا أحمد، اصبر، فإنَّما تُقتل من هنا، وتدخل الجنة من هنا. ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾.

من فوائد المصائب

استخراج مكنون عبودية الدعاء. قال أحدهم: سبحان من استخرج الدعاء بالبلاء. وذكَرُوا في الأثر: أن الله ابتلى عبداً صالحاً من عباده، وقال لملائكته: لأسمعَ صوتَهُ، يعني: بالدعاء والإلحاح.

ومنها: كسر جماح النفس وغيِّها، لأن الله يقول: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ۞ أن رآه استغنى ﴾.

ومنها: عطف الناس وحبُّهم ودعاؤهم للمصاب، فإن الناس يتضامنون ويتعاطفون مع من أُصيب ومن ابتُلي.

ومنها: صرْف ما هو أعظم من تلك المصيبة، فإنها صغيرة بالنسبة لأكبر منها، ثم هي كفّارة للذنوب والخطايا، وأجرٌ عند الله ومثوبة. فإذا علم العبد أن هذه ثمار المصيبة أنسَ بها وارتاح، ولم ينزعج ويقنط ﴿إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

العلم هُدىً وشفاء:

ذكَر ابن حزم في «مُداواة النفوس» أن من فوائد العلم: نَفْي الوسواس عن النفْس، وطرْد الهموم والغموم والأحزان.

وهذا كلام صحيح، خاصّةً لمن أحبَّ العلم وشغفَ به وزاوله، وعمل به وظهرَ عليه نفْعُه وأثَرُه.

فعلى طالب العلم أن يوزّع وقتَه، فوقتٌ للحفْظ والتّكرار والإعادة، ووقتٌ للمُطالعَة العامّة. ووقتٌ للاستنباط، ووقتٌ للجَمْع والتّرتيب، ووقتٌ للتّأمُّل والتدبُّر.

فكُنْ رجلاً رجْلُه في الثرى وهامَةُ همّته في الثُّريا

عسى أن يكون خيراً

للسيوطي كتابٌ بعنوان «الأرَج في الفَرَج»: ذكَر من كلام أهل العلم ما مجموعه يُفيدنا أن المحابَّ كثيرةٌ في المكاره، وأن المصائب تُسفر عن عجائب وعن رغائب لا يُدركها العبد، إلا بعد تكشُّفها وانجلائها.

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر

يرى الشيء مما يتقى فيخافه وما لا يرى مما يقي الله أكبر

السعادة موهبةٌ ربَّانيَّة

ليس عجباً أن يكون هناك نفرٌ من الناس يجلسون على الأرصفة، وهم عُمَّال لا يجد أحدُهم إلا ما يكفي يومه وليلته، ومع ذلك يبتسمون للحياة، صدورهم منشرحة وأجسامهم قوية، وقلوبهم مطمئنَّة، وما ذلك إلا لأنهم عَرَفوا أن الحياة إنما هي اليوم، ولم يشتغلوا بتذكُّر الماضي ولا بالمستقبل، وإنما أفنوا أعمارهم في أعمالهم.

وما أبالي إذا نفسي تطاوعني على النَّجاة بمنْ قدْ عاش أو هلكا

وقارن بين هؤلاء، وبين أناسٍ يسكنون القصور والدُّور الفاخرة، ولكنَّهم بقوا في فراغ وهواجس ووساوس، فشتتهم الهم، وذهب بهم الهم كل مذهب.

لحا الله ذي الدنيا مُناخاً لراكبٍ فكلُّ بعيدِ الهَمِّ فيها مُعذَّبُ

الذِّكْر الجميل عمرٌ طويل

من سعادة العبد المسلم أن يكون له عمرٌ ثانٍ، وهو الذِّكْر الحسن، وعجباً لمن وجدَ الذِّكْر الحَسَن رخيصاً، ولم يشترِه بماله وجاهه وسعيه وعمله.

وقد سبقَ معنا أن إبراهيم عليه السلام طلبَ من ربه لسانَ صدقٍ في الآخرين. وهو: الثناء الحسن، والدعاء له.

وعجبتُ لأُناسٍ خلَدوا ثناء حسناً في العالم بحُسْنِ صنيعهم وبكرمهم وبذْلهم، حتى إن عُمَر سأل أبناءَ هرم بن سنان: ماذا أعطاكم زهير، وماذا أعطيتموه؟ قالوا: مدَحَنا، وأعطيناه مالاً. قال عمر: ذهبَ والله ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم.

يعني: الثناء والمديح بقيَ لهم أبدَ الدهر.

أولى البريّة طُرّاً أن تُواسيهُ ... عند السُّرور الذي واساك في الحزن

إنّ الكرام إذا ما أرسلوا ذكروا ... مَنْ كان يألفهم في المنزل الخشن

أُمّهات المراثي

هناك ثلاث قصائد خُلّدتْ مَن قيلت فيهم:

ابن بقيّة الوزير الشهير، قتلَهُ عَضُد الدولة، فرثاه أبو الحسن الأنباري بقصيدته الرائعة العامرة. ومنها:

عَلَوْتَ في الحياةِ وفي الممات ... لحقٌّ أنت إحدى المُعجزات

كأنّ النّاسَ حولك حين قاموا ... وفودٌ نَداك أيام الصّلات

كأنّك واقفٌ فيهم خطيباً ... وهم وقفوا قياماً للصلاة

مدت يديك نحوهمو احتفاءً ... كمدهما إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يواروا فيه تلك المكرمات

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... عليك اليوم صوت النائحات

وما لك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ... بتبريك الفؤاد الرائحات

لعظمك في النفوس ثبات ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات

وتوقد حولك النيران ليلاً ... كذلك كنت أيام الحياة

ما أجمل العبارات، وما أجمل الأبيات، وما أنبل هذه المُثُل، وما أضخم هذه المعاني، الله ما أجملها من أوسمة، وما أحسنها من تيجان!!

لمّا سمع هذه الأبيات عضدُ الدولة الذي قتله، دمعت عيناه وقال: وددت والله أنني قُتلت وصُلبت، وقيلت فيّ.

ويُقتل محمد بن حميد الطوسي في سبيل الله، فيقول أبو تمام يرثيه:

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدح الأمرُ ... وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ

توفيت الآمالُ بعد محمدٍ ... وأصبح في شغلٍ عن السفر السفرُ

تردى ثياب الموت حمرًا فما أتى ... لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خضرُ

إلى آخر ما قال في تلك القصيدة الرائعة، فسمعها المعتصم، وقال: ما مات من قيلت فيه هذه الأبيات.

ورأيت كريماً آخر في سلالة قُتَيبة بن مسلم القائد الشهير. هذا الكريم بذل ماله وجاهَهُ، وواسى المنكوبين، ووقف مع المصابين وأعطى المساكين، وأطعَمَ الجائعين، وكان ملاذاً للخائفين. فلمّا مات، قال أحد الشعراء:

مضى ابنُ سعيدٍ حينَ لم يبقَ مشرقٌ ... ولا مغربٌ إلاّ لـه فيه مادحُ

وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفّهِ ... على الناسِ حتى غيّبَتْهُ الصّفائحُ

وأصبح في لحْدٍ من الأرضِ ضيّقٍ ... وكانتْ به حيًا تضيقُ الصّحاصحُ

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَفِضْ ... فحَسْبُكَ مني ما تَجِنُّ الجَوانحُ

فما أنا مِن رزءٍ وإنْ جَلَّ جازعٌ ... ولا بسرورٍ بعد موتك فارحُ

كأنْ لم يمُتْ حيٌّ سواك ولم تقُمْ ... على أحدٍ إلا عليك النّوائحُ

لئن عظُمتْ فيك المراثي وذكْرُها ... لقد عظمتْ من قبلُ فيك المدائحُ

وهذا أبو نواس يكتب تاريخ الخصيب أمير مصر، ويسجّل في دفتر الزمان اسمه فيقول:

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنا ... فأيّ بلادٍ بعدهُنّ تَزورُ

فما جازَهُ جودٌ ولا حلَّ دونَه ... ولكنْ يسيرُ الجودُ حيث يسيرُ

فتىً يشتري حُسْنَ الثّناء بمالِهِ ... ويعلَمُ أنّ الدّائراتِ تدورُ

ثم لا يذكُر الناس من حياة الخصيب، ولا من أيامه إلا هذه الأبيات.

وقفة

«اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين من تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعلْ ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعلْ مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلطْ علينا بذنوبنا من لا يرحمنا».

قال علي بن مقلة:

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ لما بهِ الصدرُ الرحيبُ

وأوطنتِ المكارهُ واطمأنتْ ... وأرستْ في أماكنها الخطوبُ

ولم تَرَ لانكشافِ الضُّرِّ وجهاً ... ولا أغنى بحيلتِهِ الأريبُ

أتاكَ على قُنوطٍ منهُ غوثٌ ... يمُنُّ بهِ القريبُ المُستجيبُ

وكلُّ الحادثاتِ وإنْ تناهتْ ... فموصولٌ بها فَرَجٌ قريبُ

ربٌّ لا يَظْلِم ولا يَهْضِم

ألا يحقّ لك أن تَسْعَد، وأن تهدأ وأن تسكن إلى موعود الله، إذا علمتَ أن في السماء ربًّا عادلاً، وحَكَمًا مُنصفاً، أدخل امرأةُ الجنة في كلب، وأدخل امرأةُ النار في هرّة.

فتلك امرأة بغيٌ من بني إسرائيل، أسقتْ كلباً على ظمأ، فغفر الله لها وأدخلها الجنة، بما قام في قلبها من إخلاص العمل لله.

وهذه حبستْ قطةً في غُرفة، لا هي أطعمتْها، ولا سقتْها، ولا تركتْها تأكل من خشاش الأرض، فأدخلها الله النار.

فهذا ينفعُك ويَثلج صدرك بحيث تعلم أنه سبحانه وتعالى يجزي على القليل، ويُثيب على العمل الصغير، ويُكافئ عبدَهُ على الحقير.

وعند البخاري مرفوعاً: «أربعون خصلة، أعلاها منيحة العنز، ما من عاملٍ يعمل بخصلة منها رجاء موعودها وتصديق ثوابها، إلا أدخله الله الجنة». ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾، ﴿إن الحسنات يُذهبن السيئات﴾.

فرّج عن مكروب، وأعطِ محروماً، وانصرْ مظلوماً، وأطعم جائعاً، واسْقِ ظامئاً، وعُدْ مريضاً، وشيّع جنازة، وواسِ مصاباً، وقُدْ أعمى، وأرشد تائهاً، وأكرم ضيفاً، وبرّ جاراً، واحترم كبيراً، وارحَمْ صغيراً، وابذُلْ طعامك، وتصدّقْ بدرْهمك، وأحسنْ لفظك، وكُفَّ أذاك، فإنه صدقة لك.

إن هذه المعاني الجميلة، والصفات السامية، من أعظم ما يجلبُ السعادة، وانشراحَ الصدر، وطرد الهمّ والغمّ والقلق والحزن.

لله درُّ الخُلُق الجميل، لو كان رجلاً لكان حسَنَ الشارة، طيّب الرائحة حسَنَ الذكر، باسمَ الوجه.

اكتب تأريخك بنفسك

كنت جالساً في الحرم في شدّة الحرّ، قبل صلاة الظهر بساعة، فقام رجلٌ شيخٌ كبير، وأخذ يُباشر على الناس بالماء البارد، فيأخذ بيده اليمنى كوباً، وفي اليُسرى كوباً، ويسقيهم من ماء زمزم، فكلّما شرب شاربٌ، عاد فاسقى جارَه، حتى أسقى قياماً من الناس، وغرفُه يتصبّب، والناس جلوسٌ كلٌّ ينتظر دوره ليشربَ من يد هذا الشيخ الكبير، فعجبتُ من جَلَده ومن صبره ومن حبّه للخير، ومن إعطائه هذا الماء للناس وهو يتبسّم، وعلمتُ أن الخيرَ يسيرٌ على من يسرّه الله عليه، وأن فعلَ الجميل سهلٌ على من سهّله الله عليه، وأن لله ادّخاراتٍ من الإحسان، يمنحُها من يشاء من عباده، وأن الله يُجري الفضائل ولو كانت قليلة على يد أناسٍ خيرين، يحبّون الخير لعباد الله، ويكرهون الشرّ لهم.

أبو بكر يعرّض نفسه للخطر في الهجرة، حمايةً للرسول ﷺ.

وحاتم ينام جائعاً، ليشبع ضيوفه.

وأبو عبيدة يسهر على راحة جيش المسلمين.

وعمر يطوف المدينة والناس نيام.

ويتلوى من الجوع عامَ الرمادة، ليُطعم الناس.

وأبو طلحة يتلقّى السهام في أُحُد، ليقيَ رسول الله ﷺ.

وابن المبارك يُباشر على الناس بالطعام وهو صائم.

مُثُلٌ كالنُجُـوم بل هـي أعلى ومعـانٍ كالفجـر في إشـراقه

﴿ ويُطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾.

أنْصِت لكلام الله

هدِّئ أعصابك بالإنصات إلى كتاب ربِّك. تلاوةٌ مُمتعةٌ حسنةٌ مؤثِّرةٌ من كتاب الله، تسمعها من قارئ مجوِّد حَسَن الصوت، تُصلُك إلى رضوان الله عز وجل. وتُضفي على نفسك السكينة، وعلى قلبك يقيناً وبرداً وسلاماً.

كان ﷺ يحبُّ أن يسمع القرآن من غيره، وكان ﷺ يتأثَّر إذا سَمِع القرآن من سواه، وكان يطلُب من أصحابه أن يقرؤوا عليه. وقد أُنزل عليه القرآن هو. فيستأنس ﷺ ويخشع ويرتاح.

إن لك فيه أسوةً أن يكون لك دقائق، أو وقتٌ من اليوم أو الليل، تفتح فيه المذياعَ أو مسجِّلاً، لتستمع إلى القارئ الذي يعجبك، وهو يتلو كلام الله عز وجل.

إن ضجَّة الحياة وبلبلة الناس، وتشويش الآخرين، كفيلٌ بإزعاجك، وهدِّ قُواك، وبتشتيت خاطرك، وليس لك سكينة ولا طمأنينة، إلاَّ في كتاب ربِّك وفي ذكر مولاك: ﴿الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوبُ﴾.

يأمر ﷺ ابن مسعود، فيقرأ عليه من سورة النساء، فيبكي ﷺ حتى تنهمر دموعه على خدِّه، ويقول: «حسبُك الآن».

ويمرُّ بأبي موسى الأشعري، وهو يقرأ في المسجد، فيُنصت له، فيقول له في الصباح: «لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك». قال أبو موسى: لو أعلم يا رسول الله أنك تستمع لي، لحبَّرتُه لك تحبيراً.

عند ابن أبي حاتم يمرُّ بعجوز، فيُنصت إليها من وراء بابها، وهي تقرأ ﴿هل أتاك حديثُ الغاشية﴾، تعيدها وتكرِّرها، فيقول: «نعم أتاني، نعم أتاني».

إن للاستماع حلاوةً، وللإنصات طلاوةً.

أحدُ الكُتَّاب اللامعين المسلمين سافرَ إلى أوربا، فاتجرَ في سفينة، وركبت معه امرأةٌ من يوغسلافيا، شيوعيَّةٌ فرَّت من ظُلم ومن قهر تيتو، فأدركتْه صلاة الجمعة مع زملائه، فقام فخطَبَهم، ثم صلَّى بهم وقرأ سورة الأعلى والغاشية، وكانت المرأة لا تُجيد العربية، كانت تُنصت إلى الكلام وإلى الجَرْس وإلى النَّغمة، وبعد الصلاة سألتْ هذا الكاتب عن هذه الآيات؟ فأخبرها أنها من كلام الله عز وجل، فبقيتْ مدهوشةً مذهولةً، قال: ولم تمكِّني لُغتي لأدعُوَها إلى الإسلام: ﴿قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرا﴾.

إن للقرآن سلطاناً على القلوب، وهيبةً على الأرواح، وقوةً مؤثِّرةً فاعلةً على النفوس.

عجبتُ لأناسٍ من السلف الأخيار، ومن المتقدِّمين الأبرار، انهدُّوا أمام تأثير القرآن، وأمام إيقاعاته الهائلة الصادقة النافذة: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعا متصدِّعا من خشية الله﴾.

فذاك عليُّ بن الفُضَيل بن عياض يموت لمَّا سمع آياد يقرأ: ﴿وقفوهم إنهم مسئولون * ما لكم لا تناصرون﴾.

وعمر رضي الله عنه وأرضاه، ينهدُّ من سماعه لآية، ويبقى مريضاً شهراً كاملاً يُعاد، كما يُعاد المريض، كما ذكر ذلك ابنُ كثير. ﴿ ولو أن قرآنا سيّرت به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ أو كُلِّم به الموتى ﴾.

وعبدالله بن وهب، مرَّ يوم الجمعة فسمع غلاماً يقرأ: ﴿ وإذ يتحاجّون في النار ... ﴾ فأُغمي عليه، ونُقل إلى بيته، وبقي ثلاثة أيام مريضاً. ومات في اليوم الرابع، ذكره الذهبيُّ.

وأخبرني عالمٌ أنه صلّى في المدينة، فقرأ القارئ بسورة الواقعة، قال: فأصابني من الذهول ومن الوَجَل ما جعلني أهتزُّ مكاني، وأتحرّك بغير إرادة مني، مع بكاء، ودمع غزير. ﴿ فبأيّ حديث بعده يؤمنون ﴾.

ولكنّ ما علاقة هذا الحديث بموضوعنا عن السعادة؟!

إن التشويش الذي يعيشه الإنسان في الأربع والعشرين ساعة كفيلٌ أن يُفقده وعيه، وأن يُقلقه، وأن يُصيبه بالإحباط. فإذا رجع وأنصتَ وسمع وتدبّر كلام المولى، بصوت حَسَن من قارئ خاشع، تاب إليه رُشدُه، وعادتْ إليه نفسُه، وقرّتْ بلابلُه، وسكنتْ لواعجُه. إنني أحذّرك بهذا الكلام عن قوم جعلوا الموسيقى أسبابَ أُنسهم وسعادتهم وارتياحهم، وكتبوا في ذلك كُتُباً. وتبجّح كثيرٌ منهم بأن أجملَ الأوقات وأفضلَ الساعات يومَ يُنصت إلى الموسيقى. بل إن الكُتّاب الغربيين الذين كتبوا عن السعادة وطَرْد القلق، يجعلون من عوامل السعادة الموسيقى. ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية ﴾. ﴿ سامرا تهجرون ﴾.

إن هذا بديلٌ آثم، واستماعٌ محرَّم، وعندنا الخير الذي نزل على محمد ﷺ، والصِّدق والتوجيه الرَّاشد الحكيم، الذي تضمَّنه كتاب الله عز وجل: ﴿ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ﴾.

فسماعنا للقرآن سماعٌ إيمانيٌّ شرعيٌّ محمديٌّ سنيٌّ ﴿ ترى أعينهم تفيضُ من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾، وسماعهم للموسيقى سماع لاهٍ عابث، لا يقوم به إلا الجهلة والحمقى والسُّفهاء من الناس ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلَّ عن سبيل الله ﴾.

كلٌّ يبحث عن السعادة ولكنْ

للعالم الإسكافي كتابٌ بعنوان (لُطف التدبير) وهو كتابٌ جمُّ الفائدة، أخَّاذٌ جذَّابٌ جلَّابٌ، مؤدَّى الكلام فيه البحثُ عن السيادة والسعادة والرِّيادة، فإذا الاحتيال والمكر والدهاء، وضَرْبٌ من السياسة، وأفانين من الالتواء، فَعَلَها كثيرٌ من الملوك والرؤساء، والأدباء والشعراء، وبعض العلماء، كلُّهم يريد أن يهدأ وأن يرتاح، وأن يحصِّل على مطلوبه، حتى إنه من عناوين هذا الكتاب:

في لطف التدبير في تسكير ثَغْب، وإصلاح بئار أو ذات بَيْن، ماذا يفعل المنهزم في مكائد الأعداء، مُكايَدَة صغير لكبير، في دفْع مكروه بقول، في دفع مكروه بمكروه، في دفع مكروه بلُطف، في لُطف التدبير في دفع مكروه، في مُداراة سلطان، في الانتقام من سالب مُلك، في الخلاص من نقمة، في الفتْك والاحتراز منه، في إظهار أمر لإخفاء غيره، إلى آخر تلك الأبواب.

ووجدتُ أن الجميع كلّهم يبحثون عن السعادة والاطمئنان، ولكنّ قليلٌ منهم من اهتدى إلى ذلك ووُفّق لنَيْلها، وخرجتُ من الكتاب بثلاث فوائد:

الأولى: أن مَن لم يجعل الله نصبَ عينيه، عادت فوائدُه خسائر، وأفراحُه أتراحاً، وخيراتُه نكبات ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾.

الثانية: أن الطرق الملتوية الصَّعْبة التي يسعى إليها كثيرٌ من الناس في غير الشريعة، لنيل السعادة، يجدونها، بطُرُقٍ أسهَل وأقرَب، في طريق الشرع المحمدي، ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ فينالون خير الدنيا وخير الآخرة.

الثالثة: أن أُناساً ذهبتْ عليهم دنياهم وأُخراهم، وهم يظُنُّون أنهم يُحسنون صُنعاً، وينالون سعادةً، فما ظفروا بهذه ولا بتلك، والسببُ إعراضهم عن الطريق الصحيح الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهي طلَب الحق، وقولُ الصدْق. ﴿وتمّت كلمةُ ربك صدقا وعدلا لا مُبدّل لكلماته﴾.

كان أحد الوزراء في لهوه وطَرَبه، فأصابه غمٌّ كاتم، وهمٌّ جاثم، فصرخ:

ألا مـــوتٌ يُبـــاعُ فأشـــتريـــه	فهـذا العيشُ ما لا خيـــر فيـه
إذا أبصـــرتُ قبـــراً من بعيـــدٍ	وددتُ لـــو أنـــي ممّا يليـــه
ألا رَحِـــمَ المهيـــمنُ نفسَ حُـرٍّ	تصـــــدّقَ بالوفـــاةِ على أخيه

وقفـــة

«فليُكثر الدُّعاء في الرَّخاء، أيْ في حال الرَّفاهية والأمن والعافية؛ لأن من سمة المؤمن الشاكر الحازم، أن يُريش السهم قبل الرمْي، ويلتجئ إلى الله قبْل الاضطرار. بخلاف الكافر الشَّقيّ والمؤمن الغبيّ ﴿وإذا مسّ الإنسان ضرٌّ دعا ربَّه منيبا إليه ثُمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبلُ وجعل لله أندادا﴾.

فتعيَّن على من يريد النجاة من ورطات الشَّدائد والغُموم، أن لا يغفل بقلبه ولسانه عن التَّوجُّه إلى حضرة الحقّ - تقدّس - بالحمْد والابتهال إليه والثَّناء عليه، إذ المراد بالدعاء في الرخاء - كما قاله الإمام الحليمي - دعاء الثناء والشُّكر والاعتراف بالمنّ، وسؤال التوفيق والمعونة والتَّأييد، والاستغفار لعوارض التَّقصير، فإن العبد - وإن جَهِد - لم يُوفّ ما عليه من حقوق الله بتمامها، ومن غفلَ عن ذلك، ولم يُلاحظه في زمن صحّته وفراغه وأمْنه، فقد صدَق عليه قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفُلك دعوُا الله مُخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يُشركون﴾.

نعيم وجحيم

نشرتْ الصحف العالمية خبراً عن انتحار رئيس وزراء فرنسا في حُكم الرئيس ميتران، والسبب في ذلك أن بعض الصحف الفرنسية شنّتْ عليه غارةً من النقْد والشّتْم والتّجريح، فلم يجد هذا المسكين إيماناً ولا سكينة ولا استقراراً يعود إليه، ولم يجد من يركن إليه، فبادَر فأزْهَقَ رُوحه.

إن هذا الرجل المسكين الذي أقدم على الانتحار لم يهتد بالهداية الربّانيّة المتمثّلة في قوله سبحانه: ﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ لن يضروكم إلا أذى ﴾. وقوله: ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴾. لأن الرجل فقد مفتاح الهداية. وطريق السّداد وسبيل الرّشاد: ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾.

انّ من وصايا الاخرين لكلّ مُثقَل بالهمّ والحزن، أن يأمروه بالجلوس على ضفاف النهر، ويستمتع بالموسيقى، ويلعبَ النّرد، ويتزلّجَ على الثّلج.

لكن وصايا أهل الإسلام، وأهل العبوديّة الحقّة: جلسةٌ بين الأذان والاقامة في روضة من رياض الجنة، وهتافٌ بذكر الواحد الأحد، وتسليمٌ بالقضاء والقدر، ورضا بما قسم الله، وتوكّلٌ على الله جلّ وعلا.

﴿ألَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

نزل هذا الكلام على رسول الله ﷺ فتحقّقتْ فيه هذه الكلمة. فكان سهلَ الخاطر، منشرحَ الصدر، متفائلاً، جيّاشَ الفؤاد، حيَّ العاطفة، ميسّراً في أموره، قريباً من القلوب، بسيطاً في عظمة، دانياً من الناس في هيبة، متبسماً في وقار، متحبباً في سموّ، مألوفاً للحاضر والباد، جمَّ الخُلُق، طَلْق المُحيّا، مشرقَ الطلعة، غزيرَ الحياء، يهشُّ للدُّعابة، ويَبْشُّ للقادم، مسروراً بعطاء الله، جَذِلاً بالهبات الرّبّانيّة، لا يعتريه اليأس، ولا يعرف الإحباط، ولا يخلد إلى التّخذيل، ولا يعترف بالقنوط، ويُعجبه الفأل الحسَن، ويكره

التَّعمُّق والتَّشدُّق، والتَّفيْهق والتَّكلُّف والتَّنطُّع؛ لأنه صاحب رسالة، وحامل مبدأ، وقدوة أمَّة، وأسوة جيل، ومعلِّم شعوب، ورب أسرة، ورجُل مجتمع، وكَنْز مُثُل، ومَجْمَع فضائل، وبحر عطايا، ومَشرقُ نور.

إنه باختصار: ميسر لليُسرى، وإنه بإيجاز: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ أو بعبارة أخرى: ﴿رحمة للعلمين﴾ وكفى!! ﴿شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا مُنيرا﴾.

إن مما يُعارض الرسالة الميسَّرة السهلة: تنطُّع الخوارج، وتزندُق أهل المنطق، وحُمق الصوفية، وحذلقة المتكبِّرين، وولَه الشعراء، وهُيام المغنِّين، وصَلَف عبيد الدنيا، وانحراف مرتزقة الأفكار ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشآء إلى صراط مُستقيم﴾.

مفهوم الحياة الطيِّبة

يقول أحد أذكياء الإنكليز: بإمكانك وأنت في السجن من وراء القضبان الحديدية أن تنظُر إلى الأفق، وأن تُخرج زهرة من جيبك فتشمُّها وتبتسم. وأنت مكانك، وبإمكانك وأنت في القصر على الديباج والحرير، أن تحتدَّ وأن تغضب وأن تثور ساخطاً من بيتك وأسرتك وأموالك.

إذن السعادة ليستْ في الزمان ولا في المكان، ولكنَّها في الإيمان، وفي طاعة الدَّيَّان، وفي القلب، والقلب محلُّ نظر الرَّبِّ، فإذا استقرَّ اليقين فيه، انبعثت السعادة، فاضفتْ على الروح وعلى النفس انشراحاً وارتياحاً، ثم فاضت على الآخرين، فصارت على الظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.

أحمد بن حنبل عاش سعيداً، وكان ثوبه أبيض مرقَّعاً، يخيطه بيده، وعنده ثلاث غُرَف من طين يسكنها، ولا يجد إلا كسر الخبز مع الزيت، وبقيَ حذاؤه، كما قال المترجمون عنه، سبع عشرة سنة يرقّعها ويخيطها، ويأكل اللحم في شهر مرّة ويصوم غالبَ الأيام، يذرع الدنيا ذهاباً وإياباً في طلَب الحديث، ومع ذلك وجدَ الراحة والهدوء والسكينة والاطمئنان؛ لأنه ثابت القدَم، مرفوع الهامة، عارفٌ بمصيره، طالبٌ للثواب، ساعٍ لأجر، عاملٌ لآخرة، راغبٌ في جنّة.

وكان الخلفاء في عهده، الذين حكموا الدنيا - المأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل، عندهم القصور والدُّور والذهب والفضة والبنود والجنود، والأعلام والأوسمة والشارات والعقارات، ومعهم ما يشتهون، ومع ذلك عاشوا في كَدَر، وقضَوْا حياتهم في همٍّ وغمٍّ، وفي قلاقل وحروب وثورات وشغب وضجيج، وبعضهم كان يتأوَّه في سكرات الموت نادماً على ما فرَّط، وعلى ما فعل في جنب الله.

ابن تيمية شيخ الإسلام، لا أهل ولا دار ولا أسرة ولا مال ولا منصب، عنده غرفةٌ بجانب جامع بني أمية يسكنها، وله رغيفٌ في اليوم، وله ثوبان يغيِّر هذا بهذا، وينام أحياناً في المسجد، ولكن كما وَصَف نفسه: جنَّته في صدره، وقتْله شهادة، وسجْنه خلوة، وإخراجه من بلده سياحةٌ؛ لأن شجرة الإيمان في قلبه استقامتْ على سُوقها، تُؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربِّها، يمدُّها زيت العناية الربانية، ﴿يضيء ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾، ﴿كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾، ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾.

خرج أبو ذرّ رضي الله عنه وأرضاه إلى الرَّبذة، فنصبَ خيمتَهُ هناك، وأتى بامرأته وبناته، فكان يصوم كثيراً من الأيام، يذكُر مولاه، ويسبِّح خالقه، ويتعبَّد ويقرأ ويتلو ويتأمَّل، لا يملك من الدنيا إلا شَمْلَةً أو خيمة، وقطعةً من الغنم، مع صحفةٍ وقصعةٍ وعصا، زاره أصحابُه ذات يوم، فقالوا: أين الدنيا؟ قال: في بيتي ما أحتاجه من الدنيا، وقد أخبرنا ﷺ أن أمامنا عقبة كؤوداً لا يجيزها إلا المُخِفُّ.

كان منشرح الصدر، ومنثلج الخاطر، فعنده ما يحتاجه من الدنيا، أمّا ما زاد على حاجته، فاشغالٌ وتبعاتٌ وهمومٌ وغمومٌ.

قلتُ في قصيدةٍ بعنوان: أبو ذرٍّ في القرن الخامس عشر، متحدّثاً عن غُربة أبي ذر وعن سعادته، وعن وحدته وعزلته، وعن هجرته بروحه ومبادئه، وكأنه يتحدث عن نفسه:

لا تلوموني هدّدتهم هدّدوني ... بالمنايا لا طفتُ حتى أحسّا

أركبوني نزلتُ أركبُ عزمي ... أنزلوني ركبتُ في الحق نفسا

أطردوا الموت مُقدماً فيولّي ... والمنايا أجتاحها وهي تُعسى

قد بكتْ غربتي الرمالُ وقالتْ ... يا أبا ذرٍّ لا تخفْ وتأسّا

قلتُ لا خوف لم أزل في شبابٍ ... مَنْ يقيني ما متُّ حتى أدسّا

أنا عاهدتُ صاحبي وخليلي ... وتلقّنتُ من أماليه درسا

إذن فما هي السعادة؟!

كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل.. فطوبى للغرباء..

ليست السعادة قصرَ عبدالملك بن مروان، ولا جيوشَ هارون الرشيد، ولا دُورَ ابن الجصّاص، ولا كنوزَ قارون، ولا في كتاب الشفاء لابن سينا، ولا في ديوان المتنبي، ولا في حدائق قرطبة، أو بساتين الزهراء.

السعادة عند الصحابة مع قلّة ذات اليد، وشظف المعيشة، وزهادة الموارد، وشُحّ النفقة.

السعادة عند ابن المسيب في تألُّهه، وعند البخاري في صحيحه، وعند الحسن البصري في صِدقه، ومع الشافعي في استنباطاته، ومالك في مُراقبته، وأحمد في وَرَعه، وثابت البناني في عبادته «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلا إلا كتب لهم به عملٌ صالحٌ».

ليست السعادة شيكاً يُصرَف، ولا دابة تُشترَى، ولا وردة تُشَمّ، ولا بُرّاً يُكالُ، ولا بزّاً يُنشَر.

السعادة سلوةُ خاطرٍ بحق يحمِلُه، وانشراح صدرٍ لمبدأ يعيشه، وراحة قلبٍ لخير يكتنفُه.

كنّا نظُنّ أننا إذا أكثرنا من التوسُّع في الدُّور، وكثْرة الأشياء، وجمْع المسهِّلات والمرغِّبات والمشتَهَيات، أننا نسعد ونفرح ونمرح ونُسَرّ. فإذا هي سبب الهمّ والكدَر والتنغيص؛ لأن كلّ شيء بهمّه وغمّه وضريبة كدّه وكدْحه «ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزوجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه».

إن أكبر مُصلح في العالم رسول الهدى محمدٌ ﷺ، عاش فقيراً، يتلوّى من الجوع، لا يجد دَقَل التمر يسدُّ جوعه. ومع ذلك عاش في نعيم لا يعلمه إلا الله. وفي انشراح وارتياح. وانبساط واغتباط. وفي هدوء وسكينة ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ ، ﴿ وكان فضلُ الله عليك عظيما ﴾ ، ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهُ ﴾.

في الحديث الصحيح: **البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**.

إن البرَّ راحةٌ للضمير، وسكونٌ للنفس، حتى قال بعضهم:

البرُّ أبقى وإنْ طال الزمانُ به والإثمُ أقبحُ ما أوعيتَ منْ زادِ

وفي الحديث: **البرُّ طمأنينةٌ، والإثم ريبةٌ**. إن المحسن صراحة يبقى في هدوء وسكينة، وإن المريب يتوجّس من الأحداث والخطَرات ومن الحركات والسكنات ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ . والسبب أنه أساء فحسّب، فإن المسيء لابدَّ أن يقلق وأن يرتبك وأن يضطرب، وأن يتوجّس خيفة:

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظنونُهُ وصدّقَ ما يعتادُهُ منْ توهُّمِ

والحلُّ لمن أراد السعادة، أن يُحسن دائماً، وأن يتجنّب الإساءة، ليكون في أمن ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمنُ وهم مُهتدُون ﴾.

أقبل راكب يحثُّ السير، يثور الغبار من على رأسه. يريد سعد بن أبي وقاص. وقد ضرب سعد خيمتهُ في كبد الصحراء. بعيداً عن الضجيج. بعيداً عن اهتمامات الدُّهماء. منفرداً بنفسه وأهله في خيمته. معه قطيع من الغنم. فاقترب الراكب فإذا هو ابنه عمر. فقال ابنه له: يا أبتاه. الناس يتنازعون الملك وأنت ترعى غنمك. قال: أعوذ بالله من شرِّك. إني أولى بالخلافة مني بهذا الرداء الذي عليَّ. ولكن سمعت الرسول ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد الغنيَّ التقيَّ الخفيَّ».

إن سلامة المسلم بدينه أعظَم من مُلك كسرى وقيصر؛ لأن الدين هو الذي يبقى معك حتى تستقرَّ في جنات النعيم. وأما الملك والمنصب فإنه زائلٌ لا محالة ﴿إنا نحنُ نرثُ الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعُون﴾.

إليه يصعد الكلم الطيِّب

كان للصحابة كنوز من الكلمات المباركات الطيِّبات، التي علَّمهم إياها صفوة الخلق ﷺ.

وكلُّ كلمة عند أحدهم خيرٌ من الدنيا وما فيها. ومِنْ عظمتهم معرفتُهم بقيمة الأشياء ومقادير الأمور.

أبوبكر يسأل الرسول ﷺ أن يُعلِّمه دعاءً. فقال له: «قل: ربِّ إني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت. فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني. إنك أنت الغفور الرحيم».

ويقول ﷺ للعباس: «اسأل الله العفو والعافية».

ويقول لعلي: «قل: اللهم اهدني وسددني».

ويقول لعبيد بن حصين: «قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي».

ويقول لشداد بن أوس: «قل: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وشكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

ويقول لمعاذ: «قل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ويقول لعائشة: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني».

إن الجامع لهذه الأدعية: سؤال رضوان الله عز وجل ورحمته في الآخرة، والنجاة من غضبه، وأليم عقابه، والعون على عبادته سبحانه وتعالى وشكره.

وإن الرابط بينها: طلب ما عند الله، والإعراض عما في الدنيا. إنه ليس فيها طلب أموال الدنيا الفانية، وأعراضها الزائلة، أو زخرفها الرخيص.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

إن من تعاسة العبد، وعثرة قدمه وسقوط مكانته: ظلمه لعباد الله، وهضمه حقوقهم، وسحقه ضعفهم، حتى قال أحد الحكماء: كُنْ ممَّن لم يجد له عليك ناصراً إلا الله.

ولقد حفظ لنا تاريخ الأمم أمثلة حيَّة في الأذهان عن عواقب الظُّلمة.

فهذا عامر بن الطفيل يكيد للرسول ﷺ، ويحاول اغتياله، فيدعو عليه ﷺ، فيبتليه الله بغدَّة في نحره، فيموت لساعته، وهو يصرخ من الألم.

وأربد بن قيس يؤذي رسول الله ﷺ، ويسعى في تدبير قتله، فيدعو عليه، فيُنزل الله عليه صاعقة تحرقه هو وبعيره.

وقبل أن يقتل الحجاجُ سعيدَ بن جبير بوقت قصير، دعا عليه سعيدٌ وقال: اللَّهمَّ لا تسلِّطه على أحد بعدي، فأصاب الحجاج خُرَّاج في يده، ثم انتشر في جسمه، فأخذ يخور كما يخور الثور، ثم مات في حالة مؤسفة.

واختفى سفيان الثوري خوفاً من أبي جعفر المنصور، وخرج أبو جعفر يريد الحرم المكِّيَّ وسفيان داخل الحرم، فقام سفيان وأخذ بأستار الكعبة، ودعا الله عز وجل أن لا يُدخِل أبا جعفر بيته، فمات أبو جعفر عند بئر ميمون قبل دخوله مكَّة.

وأحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي يُشارك في إيذاء الإمام أحمد بن حنبل فيدعو عليهم فيُصيبه الله بمرض الفالج فكان يقول: أمّا نصف جسمي فلو وقع عليه الذباب لظننت أن القيامة قامتْ، وأمّا النصف الآخرُ فلو قُرض بالمقاريض ما أحسستُ.

ويدعو أحمد بن حنبل أيضاً على ابن الزيّات الوزير، فيسلّط الله عليه مَن أخذَهُ، وجعلَهُ في فرن من نار، وضربَ المسامير في رأسه.

وحمزة البسيوني كان يعذّب المسلمين في سجن جمال عبدالناصر، ويقول في كلمة له مؤذية: «أين إلهكم لأضعه في الحديد»؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً. فاصطدمت سيارته، وهو خارج من القاهرة إلى الاسكندرية، بشاحنة تحمل حديداً، فدخل الحديد في جسمه من أعلى رأسه إلى أحشائه. وعجزَ المنقذون أن يُخرجوه إلا قطعاً. ﴿واستكبر هو وجنودُهُ في الأرض بغير الحقّ وظنّوا أنهم إلينا لا يُرجعون﴾. ﴿وقالوا من أشدُّ منا قوة أولم يروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوة﴾.

وكذلك صلاح نصر من قادة عبدالناصر، وممّن أكثرَ في الأرض الظُّلمَ والفساد، أصيب بأكثر من عشرة أمراض مؤلمة مُزمنة، عاش عدّة سنوات من عمره في تعاسة، ولم يجد له الطب علاجاً، حتى مات سجيناً ممزوجاً به في زنزانات زعمائه الذين كان يخدمهم.

﴿الذين طغوا في البلد * فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربُّك سوطَ عذاب﴾. «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته». «واتّق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

دعوة المظلوم

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي ... محلاً ولم يقطع بها البيد قاطعْ

سرتْ حيث لم تُحذ الركابُ ولم تُنخ ... لوِرْدٍ ولم يقصرْ لها القيد مانعْ

تسرُ وراءَ الليل والليلُ ضاربٌ ... بجثمانه فيه سميرٌ وهاجعْ

قال ابراهيم التيميُّ: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

وسُرقتْ دنانير لرجلٍ صالح من خراسان، فجعل يبكي. فقال له الفضيل: لِمَ تبكي؟ قال: ذكرت أن الله سوف يجمعني بهذا السارق يوم القيامة، فبكيت رحمة له.

واغتاب رجلٌ أحدَ علماء السلف، فأهدى للرجل تمراً وقال: لأنه صنع لي معروفاً.

قلتُ: بالباب أنا

على هيئة الامم المتحدة بنيويورك لوحةٌ، مكتوب عليها قطعةٌ جميلة للشاعر العالمي السعدي الشيرازي، وقد ترجمت إلى الإنجليزية وهي تدعو إلى الإخاء والألفة والاتحاد، يقول:

قال لي المحبوبُ لما زرتُه ... من ببابي قلتُ بالباب أنا

قال لي أخطأتَ تعريفَ الهوى ... حينما فرّقت فيه بيننا

ومضى عـــامٌ فلمّا جئتُـــه ... أطـــرقَ البـــاب عليـــه مُوهنـا

قال لـــي من أنت قلتُ انظُـــرْ فما ... ثـــمّ إلاّ أنت بالبـــاب هُنـــا

قال لي أحســـنت تعريف الهـــوى ... وعـــرفت الحُـــبّ فادخُـــلْ يا أنا

لابُدّ تلعبد من أخ مفيد يأنسُ إليه. ويرتاح إليه. ويُشاركه أفراحه وأتراحه. ويبادله وداً بود. ﴿ واجعل لي وزيرا مّن أهلي ﴿٢٩﴾ هارون أخي ﴿٣٠﴾ اشدد به أزري ﴿٣١﴾ وأشركه في أمري ﴿٣٢﴾ كي نسبحك كثيرا ﴿٣٣﴾ ونذكرك كثيرا ﴾.

ولابـدّ من شكوى إلى ذي قرابـة ... يُواسـيك أو يُسـليك أو يتوجّـع

﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ ، ﴿ كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ ﴾ ، ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ ، ﴿ إنما المؤمنون إخوةٌ ﴾.

لابدّ من صاحب

إن من أسباب السعادة أن تجدَ من تنفعك صحبته، وتُسعدك رفقته.

«أين المتحابّون في جلالي. اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي».

«ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه».

الأمن مطلب شرعي وعقلي

﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ، ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ، ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا ﴾ ، ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ ، ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾.

من بات آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ..

فأمن القلب: إيمانه ورسوخه في معرفة الحق، وامتلاؤه باليقين.

وأمن البيت: سلامته من الانحراف، وبُعده عن الرذيلة، وامتلاؤه بالسكينة، واهتداؤه بالبرهان الرباني.

وأمن الأمة: جمعها بالحب، وإقامة أمرها بالعدل، ورعايتها بالشريعة.

والخوف عدوُّ الأمن ﴿ فخرج منها خائفا يترقب ﴾ ، ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾.

ولا راحة لخائف، ولا أمن لملحد، ولا عيش لمريض.

إنما العمر صحة وكفاف ... فإذا وليا عن العمر ولى

تلك ما أثمن الدنيا. إن صحت من جانب فسدت من جانب آخر، إن أقبل المال مرض الجسم، وإن صح الجسم حلت المصائب، وإن صلح الحال واستقام الأمر حل الموت.

خرج الشاعر الأعشى من نجد إلى الرسول ﷺ يمتدحه بقصيدة ويسلم، فعرض له أبو سفيان فأعطاه مائة ناقة، على أن يترك سفرَهُ ويعود إلى دياره، فأخذ الإبل وعاد، وركب أحدَها فهوجلتْ به، فسقط على رأسه، فاندقَّتْ عنقُه، وفارق الحياة، بلا دين ولا دنيا، أمّا قصيدته التي هيّأها ليتولها بين يدي رسول الله ﷺ، فهي بديعة الحُسْن يقول فيها:

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ ... فللّه هذا الدهرُ كيف تردّدا

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترْصدْ لما كان أرصدا

أمجاد زائلة

إن من لوازم السعادة الحقَّة أن تكون دائمة تامّة، فدوامها أن تكون في الدنيا والآخرة، في الغيب والشهادة، اليوم وغداً.

وتمامها أن لا يُنغّصها نَكَد، وأن لا تُخْدَش وجهُ محاسنها بسخط.

جلس النعمان بن المنذر - ملك العراق - تحت شجرة متنزّهاً يشرب الخمر فأراد عدي بن زيد - وكان حكيماً - أن يعظه بلفظ فقال له: أيها الملك، أتدري ماذا تقول هذه الشجرة؟ قال الملك: ماذا تقول؟ قال عدي: تقول:

ربَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزُّلال

ثم صاروا لعب الدهر بهم ... وكذا الدهرُ حالاً بعد حال

فتنغص النعمان، وترك الخمر، وبقي متكدّراً حتى مات.

وهذا شاه إيران الذي احتفل بمرور ألفين وخمسمائة سنة على قيام الدولة الفارسيّة، وكان يُخطِّطُ لتوسيع نفوذه، وبسْط ملكه على بقعة أكبر من بلده، ثم يُسلَب سلطانه بين عشيّة وضحاها ﴿ تُؤتي المُلك من تشاء وتنزع المُلك ممن تشاء ﴾.

ويُطرد من قصوره ودُوره ودنياه طرداً، ويموت مشرّداً بعيداً محروماً مفلساً، لا يبكي عليه أحد: ﴿ كم تركوا من جنّات وعُيون * وزُروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾.

وكذلك شاوشيسكو رئيس رومانيا، الذي حكم اثنتين وعشرين سنة، وكان حرسُه الخاصّ سبعين ألفاً، ثم يحيط شعبُه بقصره، فيمزّقونه وجنوده إرَباً إرَباً ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المُنتصرين ﴾، لقد ذهبَ، فلا دنيا ولا آخرة.

وذاك رئيس الفلبين ماركوس: جمعَ الرئاسة والمالَ، ولكنّه أذاق أمتَه أصناف الذُّلّ، وأسقاها كأس الهوان، فأذاقه الله غُصَص التعاسة والشقاء، فإذا هو مشرّد من بلاده ومن أهله وسلطانه، لا يملك مأوى يأوي إليه، ويموت شقيّاً، يرفض شعبه أن يُدفن في بلده: ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾، ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾، ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه ﴾.

اكتسابُ الفضائل أكاليل على هامِ الحياة السعيدة

مطلوبٌ من العبد لكي يكسب السعادة والأمن والراحة، أن يُبادر إلى الفضائل، وأن يُسارع إلى الصفات الحميدة والأفعال الجميلة «احرص على ما ينفعك واستعن بالله».

أحد الصحابة يسأل الرسول ﷺ مرافقته في الجنة فيقول: «أعنِّي على نفسك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك بها درجة». والآخر يسأل عن بابٍ جامعٍ من الخير، فيقول له: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله». وثالث يسأل فيقول له: «لا تسبَّنَّ أحدًا، ولا تضربنَّ بيدك أحدًا، وإن أحدٌ سبَّك بما يعلم فيك فلا تسبَّنَّه بما تعلم فيه، ولا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستقي».

إن الأمر يقتضي المبادرة والمُسارعة: «بادروا بالأعمال فتنًا»، «اغتنم خمسًا قبل خمس». ﴿وسارعُوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنة﴾، ﴿إنهم كانوا يُسارعُون في الخَيرات﴾، ﴿والسَّابقُون السَّابقُون﴾.

لا تُهمل في فعل الخير، ولا تنتظر في عمل البرّ، ولا تُسوِّف في طلب الفضائل:

دقَّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لـه ... إن الحياةَ دقائقٌ وثوانِ

﴿وفي ذلك فليتنافس المُتنافسُون﴾.

عمر بن الخطاب بعد أن طُعِن وثَجَّ دمه، يرى شابًا يجرُّ إزاره، فقال له عمر: «يا ابن أخي، ارْفَعْ إزارَك، فإنه أتقى لربِّك، وأنقى لثوبك». وهذا أمرٌ بالمعروف في سكرات الموت ﴿لمن شاء منكم أن يتقدَّم أو يتأخَّر﴾.

إن السعادة لا تحصلُ بالنوم الطويل، والخلود إلى الدَّعة، وهجر المعالي، واطِّراح الفضائل. ﴿ ولكن كره اللهُ انبعاثَهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾.

إن منطق أصحاب الهمم الدَّنيئة والنفوس الهابطة يقول: ﴿ لا تنفروا في الحَرِّ ﴾. ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ﴾.

وقد نهي العبد بالوحي عن التَّأخر عن فعل الخير: ﴿ ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ﴾. ﴿ وإن منكم لمن ليبطئن ﴾. ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾. ﴿ أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب ﴾. ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾. ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴾. ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾. اللهمَّ إني أعوذ بك من الكسل.. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

الخلد والنعيم هناك لا هنا

هل تريد أن تبقى شاباً مُعافىً غنياً مخلَّداً؟ إن كنت تريد ذلك فإنه ليس في الدنيا، بل هناك في الآخرة. إن هذه الحياة الدنيا كتب الله عليها الشقاء والفناء، وسمَّاها لهواً ولعباً ومتاعَ الغرور.

عاش أحد الشعراء معدماً مُفلساً، وهو في عنفوان شبابه، يريد درهماً فلا يجده، يريد زوجة فلا يحصل عليها، فلمَّا كبرت سنُّه وشاب رأسُه،

ورقيّ عظمه، جاءه المال من كلّ مكان. وسهُل أمر زواجه وسكنه. فتأوّه من هذه المتضادّات وأنشد:

ما كنتُ أرجوه إذ كنتُ ابْن عشرينا	ملكتُه بعد ما جاوزتُ سبعينا
تطوفُ بي من بنات التُّرك أغزلةٌ	مثلُ الظباء على كُثبان يبرينا
قالوا اقيلك طول الليل يسْهرُنا	فما الذي تشتكي قلتُ الثمانينا

﴿ أولم نُعمركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير ﴾ . ﴿ وظنّوا أنّهم إلينا لا يُرجعون ﴾ . ﴿ وما هذه الحياةُ الدُّنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ﴾ .

إن مثل هذه الحياة الدنيا كمسافر استظلّ تحت ظل شجرة ثم ذهب وتركها.

أعداء المنهج الربّاني

قرأت كتباً للملاحدة الصادّين عن منهج الله شعراً ونثراً. فرأيتُ كلام هؤلاء المنحرفين عن منهج الله في الأرض. وطالعتُ سخافاتهم. ووجدت الاعتداءَ الجارف على المبادئ الحقة، وعلى التعاليم الربّانيّة. ووجدت هذا التّكام الرخيص الذي تفوّه به هؤلاء. ورأيت من سُوء أدبهم، ومن قلّة حيائهم، ما يستحي الإنسان أن ينقُل للناس ما قالوه وما كتبوه وما أنشدوه.

وعلمت أن الانسان إذا لم يحمل مبدأ وثم يستشعر رسالة. فإنه يتحوّل إلى دابّة في مِسْلاخ إنسان، وإلى بهيمة في هيكل رجُل: ﴿ أم تحسبُ أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا ﴾ .

وسألت نفسي، وأنا أقرأ الكتاب: كيف يسعد هؤلاء وقد أعرضوا عن الله الذي يملك السعادة ويعطيها سبحانه وتعالى لمن يشاء؟!

كيف يسعد هؤلاء وقد قطعوا الحبال بينهم وبينه، وأغلقوا الأبواب بين أنفسهم الهزيلة المريضة وبين رحمة الله الواسعة؟!

كيف يسعد هؤلاء وقد أغضبوا الله؟!

وكيف يجدون ارتياحاً وقد حاربوه؟!

ولكني وجدت أن أول النكال أخذ يُصيبهم في هذه الدار بمقدمات نكال أخروي، إن لم يتوبوا - في نار جهنم. نكال الشقاء، وعدم المبالاة، والضيق، والانهيار والإحباط: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾.

حتى إن كثيراً منهم يريد أن يزول العالم، وأن تنتهي الحياة، وأن تُنسف الدنيا، وأن يُفارق هذه المعيشة.

إن القاسم المشترك الذي يجمع الملاحدة الأوّلين والآخرين هو: سوء الأدب مع الله، والمجازفة بالقيم والمبادئ، والرُّعونة في الأخذ والعطاء، والإعراض عن العواقب، وعدم المبالاة بما يقولون ويكتبون ويعملون: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

إن الحلّ الوحيد لهؤلاء الملاحدة، للتخلُّص من همومهم وأحزانهم - إن لم يتوبوا ويهتدوا - أن ينتحروا ويُنهوا هذا العيش المُرّ، والعمر التافه الرخيص: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾، ﴿فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم﴾.

حقيقة الدنيا

إن ميزان السعادة في كتاب الله العظيم، وإن تقدير الأشياء في ذكره الحكيم. فهو يقرر الشيء وقيمته ومردوده على العبد في الدنيا والآخرة. ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴿٣٣﴾ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ﴿٣٤﴾ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾.

هذه هي حقيقة الحياة. وقصورها ودورها. وذهبها وفضتها ومناصبها.

إن من تفاهتها أن تعطى الكافر جملة واحدة، وأن يحرمها المؤمن ليبين للناس قيمة الحياه الدنيا.

إن عتبة بن غزوان الصحابي الشهير يستغرب وهو يخطب الناس الجمعة: كيف يكون في حالة مع رسول الله ﷺ، مع سيد الخلق يأكل معه ورق الشجر مجاهداً في سبيل الله، في أرضى ساعات عمره، وأحلى أيامه، ثم يتخلف عن رسول الله ﷺ، فيكون أميراً على إقليم، وحاكماً على مقاطعة. إن الحياة التي تقبل بعد وفاة الرسول ﷺ حياة رخيصة حقاً.

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ... على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تسر فإنها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

سعد بن أبي وقاص يصيبه الذهول وهو يتولى إمرة الكوفة بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد أكل معه الشجر، ويأكل جلداً ميتاً، يشويه ثم يسحقه، ثم

يحتسيه على الماء، فما لهذه الحياة وما لتصورها ودُورها، تُقبل بعد إدبار الرسول ﷺ، وتأتي بعد ذهابه ﷺ ﴿ وللآخرة خيرٌ لك من الأولى ﴾.

إذن في الأمر شيءٌ، وفي المسألة سرٌّ، إنها تفاهة الدنيا فحسب ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ﴿٥٥﴾ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾. والله ما الفقر أخشى عليكم .

لما دخل عُمَر على رسول الله ﷺ وهو في المشربة، وراه على حصير أثر في جنبه، وما في بيته إلا شعيرٌ معلّق، دمعت عينا عمر.

إن الموقف مؤثر، أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوةَ الناس وإمامَ الجميع، في هذه الحالة ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾.

ثم يقول له عمر - رضي الله عنه -: كسرى وقيصر في ما تعلم يا رسول الله! قال رسول الله ﷺ: أفي شك أنت يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا.

إنها معادلة واضحة، وقسمة عادلة، فليرضَ مَنْ يرضى، وليسخطْ من يسخط، وليطلب السعادة من أرادها في الدرهم والدينار والقصر والسيارة، ويعمل لها وحدها، فلن يجدها والذي لا إله إلا هو.

﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴿١٥﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون ﴾.

عفاءٌ على دنيا رحلتُ لغيرها ... فليس بها للصالحين معرّج

مفتاح السعادة

إذا عرفت الله وسبحته وعبدته وتألهته وأنت في كوخ، وجدت الخير والسعادة والراحة والهدوء.

ولكن عند الانحراف، فلو سكنت أرقى القصور، وأوسع الدور، وعندك كلُّ ما تشتهي، فاعلم أنها نهايتك المُرّة. وتعاستك المحققة؛ لأنك ما ملكت إلى الآن مفتاح السعادة.

﴿ وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعُصبة أولي القوة ﴾.

وقفة

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾. إي: يدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة.

هذا إخبارٌ ووعدٌ وبشارةٌ من الله للذين آمنوا، أنه يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم، بسبب إيمانهم، كلَّ شرٍّ من شرور الكفار، وشرور وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملونه، فيُخفِّف عنهم غاية التخفيف، كلٌّ مؤمن له من هذه المدافعة والنضيلة، بحسب إيمانه، فمُستقلٌّ ومُستكثرٌ.

من ثمرات الإيمان أنه يُسلي العبدَ عند المصائب، ويُهوِّن عليه الشدائد والنوائب ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ وهو العبد الذي تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه، فيرضى ويُسلِّم للأقدار المؤلمة، وتهون عليه المصائب المزعجة، لصدورها من عند الله، وإيصالها إلى ثوابه.

كيف كانوا يعيشون؟

تعال إلى يوم من أيام أحد الصحابة الأخيار، وعظمائهم الأبرار، عليّ ابن أبي طالب مع ابنة رسول الله ﷺ، مع فلذة كبده. يصحو عليٌّ في الصباح الباكر، فيبحث هو وفاطمة عن شيء من طعام فلا يجدانه. فيرتدي فروًا على جسمه من شدة البرد ويخرج، ويتلمّس ويذهب في أطراف المدينة، ويتذكر يهوديًا عنده مزرعة، فيقتحم عليٌّ عليه باب المزرعة الضيّق الصغير ويدخل، ويقول اليهودي: يا أعرابيُّ، تعالَ وأخرج كلَّ غَرْبٍ بتمرة. والغرب هو الدلو الكبير، وإخراجه، أي: إظهاره من البئر مُعاوَنةً مع الجمل. فيشتغل عليٌّ - رضي الله عنه - معه برهة من الزمن، حتى ترم يداه وكلُّ جسمه، فيُعطيه بعدد الغروب تمرات، ويذهب بها ويمرُّ برسول الله ﷺ ويُعطيه منها، ويبقى هو وفاطمة يأكلان من هذا التمر القليل طيلة النهار.

هذه هي حياتهم. لكنّهم يشعرون أن بيتهم قد امتلأ سعادةً وحبورًا ونورًا وسرورًا.

إن قلوبهم تعيش المبادئ الحقَّة التي بعث بها الرسول ﷺ، والمُثُل السامية، فهم في أعمال قلبيّة، وفي روحانيّة قُدسيّة يُبصرون بها الحق، ويُبصرون بها الباطل، فيعملون لذاك ويجتنبون هذا، ويُدركون قيمة الشيء وحقيقة الأمر، وسرَّ المسألة.

أين سعادة قارون، وسرور وفرح وسكينة هامان. فالأول مدقون، والثاني ملعون ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾.

السعادة عند بلال وسلمان وعمار، لان بلالا اذّن للحق، وسلمان آخى على الصدق، وعمار: وفّى الميثاق « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ».

أقوال الحكماء في الصبر

يُحكى عن أنوشروان أنه قال: جميع المكاره في الدنيا تنقسم على ضربين: فضربٌ فيه حيلة، فالاضطراب دواؤه. وضربٌ لا حيلة فيه، فالاستسلام شفاؤه.

كان بعض الحكماء يقول: الحيلةُ فيما لا حيلة فيه، الصبرُ

وكان يقال: من اتّبع الصبر، اتّبعه النصرُ.

ومن الأمثال السائرة: الصبر مفتاحُ الفرج، من صبر ظفر. ثمرة الصبر الظّفر. عند اشتداد البلاء يأتي الرخاء.

وكان يقال: خفّ المضارُّ من خلال الصبر. وارجُ النفع من موضع المنع. واحرص على الحياة بطلب الموت، فكم من بقاء سببُه استدعاء الفناء. ومن فناء سببُه ابتغاء البقاء. وأكثر ما يأتي الأملُ من قبل الفزع.

والعرب تقول: ان في الشر خيارا.

قال الاصمعيُّ: معناه: أن بعض الشرّ أهون من بعض.

وقال ابو عبيدة: معناه: ان اصابتك مصيبة، فاعلم انه قد يكون أجلّ منها، فيهوّن عليك مصيبتك.

قال بعض الحكماء: عواقب الأمور تتشابه في الغيوب. فربَّ محبوب في مكروه، ومكروه في محبوب. وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من داء هو شفاؤه.

وكان يُقال: ربَّ خير من شرّ، ونفع من ضرّ.

وقال وداعة السهمي، في كلام له: اصبر على الشرّ إن قدحك، فربما أجلى عما يُفرحك، وتحت الرَّغوة اللبنُ الصَّريح.

يأتي الله بالفرج عند انقطاع الأمل: ﴿ حتى إذا استيأس الرُّسُلُ وظنُّوا أنَّهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا ﴾، ﴿ إنَّ الله مع الصابرين ﴾، ﴿ إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾.

يقول بعض الكُتَّاب: وكما أن الله - جل وعلا - يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قدَّر ورود المكروه منه، ويفتح بفرَج، عند انقطاع الأمل، واستيهام وجوه الحيل، ليحُضَّ سائر خلقه بما يريدهم من تمام قدرته، على صرف الرجاء إليه، وإخلاص آمالهم في التوكّل عليه، وأن لا يَزْوُوا وجوههم في وقت من الأوقات عن توقُّع الرَّوْح منه، فلا يعدلوا بآمالهم على أيِّ حالٍ من الحالات، عن انتظار فرجٍ يصدُر عنه، وكذلك أيضاً يسرُّهم فيما ساءهم، بأن كفاهم بمحنة يسيرة، ما هو أعظم منها، وافتداهم بمُلِمَّة سهلة، مما كان أنكى فيهم لو لحقتهم.

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبُه ... فربما صحَّت الأجسامُ بالعلل

قال إسحاق العابد: ربما امتحن الله العبد بمحنة يخلّصه بها من الهلكة. فتكون تلك المحنة أجلّ نعمة.

يقال: إن من احتمل المحنة، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدّة، كشف له عن منفعتها، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها.

حُكي عن بعض النصارى أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال: المِحَن تأديبٌ من الله، والأدب لا يدوم. فطوبى لمن تصبّر على التأديب، وتثبّت عند المحنة. فيجب له لَبس إكليل الغَلَبة، وتاج الفلاح. الذي وعد الله به مُحبّيه، وأهل طاعته.

قال إسحاق: احذر الضّجَر. إذا أصابتك أسنّة المحن. وأعراض الفتن. فإن الطريق المؤدّي إلى النجاة صعْب المسلك.

قال بزرجمهر: انتظار الفرج بالصبر. يُعقب الاغتباط.

حُسن الظّنّ بالله لا يخيب

.أنا عند ظنّ عبدي بي، فليظنّ بي ما شاء..

لبعض الكُتّاب: إن الرجاء مادّة الصبر. والمُعينُ عليه. فكذلك علّة الرجاء ومادّته. حُسْنُ الظّنّ بالله. الذي لا يجوز أن يخيب. فإنّا قد نستقري الكرماء. فنجدهم يرفعون مَن أحسنَ ظنّه بهم. ويتحوّبون من تخيّب أمله فيهم. ويتحرّجون من إخفاق رجاء مَن قصَدهم. فكيف بأكرم الأكرمين. الذي لا يعوزه أن يمنح مؤمّليه. ما يزيد على أمانيّهم فيه.

وأعدلُ الشواهد بمحبَّة الله جلَّ ذكره، لتمسُّك عبده برجائه، وانتظار الفَرَج من ظنِّه وما به، أن الإنسان لا يأتيه الفرج، ولا تُدركه النجاة، إلا بعد إخلاق أمله في كلِّ ما كان يتوجَّه نحوه بأمله ورغبته، وعند انغلاق مطالبه، وعجْز حيلته، وتناهي ضرِّه ومحنته، ليكون ذلك باعثاً له على صرْف رجائه أبداً إلى الله عز وجل، وزاجراً له على تجاوز حُسن ظنِّه به، ﴿إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾.

يُدرك الصَّبُور أحْمَدَ الأمور

روي عن عبدالله بن مسعود: الفرح والروح في اليقين والرضا، والهمُّ والحزن في الشكِّ والسخط.

وكان يقول: الصَّبُور، يُدرك أحْمَدَ الأمور.

قال أبان بن تغلب: سمعت أعرابياً يقول: من أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحةٌ استعمل الصبر عليها، وألهم نفْسه الرجاء لزوالها، حتى كأنه لصبره يُعاين الخلاص منها والعناء، توكُّلاً على الله عز وجل، وحُسْن ظن به، فمتى تزم هذه الصفة، لم يلبث أن يقضي الله حاجته، ويُزيل كُربته، ويُنجح طِلْبَتَه، ويسع دينه وعِرضه ومروءته.

روى الأصمعيُّ عن أعرابيٍّ أنه قال: خَتْف الشرِّ من موضع الخير، وارجُ الخير من موضع الشرِّ، فربَّ حياةٍ سببُها طلب الموت، وموت سببُه طلب الحياة، وأكثر ما يأتي الأمن من ناحية الخوف.

وإذا العنايةُ لاحظتْك عيونُها ... نمْ فالحوادثُ كلُّهنَّ أمانُ

وقال قطريّ بن الفجاءة:

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوفاً لحمام

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ... أحناء سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب ... جذع البصيرة قارح الإقدام

وقال بعض الحكماء: العاقل يتعزّى فيما نزل به من مكروه بأمرين:

أحدهما: السرور بما بقيَ له.

والآخر: رجاء الفرج مما نزله به.

والجاهل يجزع في محنته بأمرين:

أحدهما: استكثار ما أوى إليه.

والاخر: تخوّفه ما هو أشدُّ منه.

وكان يقال: المحن آداب الله عز وجل لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب والأسماع والأبصار.

ووصفَ الحسن بن سهل المحنَ فقال: فيها تمحيصٌ من الذنب، وتنبيهٌ من الغفلة، وتعرُّضٌ للثواب بالصبر، وتذكيرٌ بالنعمة، واستدعاء للمثوبة. وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيارُ.

فهذا من أحبَّ الموت، طلباً لحياة الذكر. ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾.

أقوال في تهوين المصائب:

قال بعض عقلاء التُجّار: ما أصغر المصيبة بالأرباح. إذا عادت بسلامة الأرواح.

وكان من قول العرب: إن تسلم الجِلّة فالسُخْلة هَدَر.

ومن كلامهم: لا تيأس أرضٌ من عمران. وإن جفاها الزمان.

والعامّة تقول: نهرٌ جَرَى فيه الماء لابدّ أن يعود إليه.

وقال ثامسطيوس: لم يتفاضل أهل العقول والدِّين إلا في استعمال الفضْل في حال القُدرة والنعمة، وابتذال الصبر في حال الشِدّة والمحنة.

وقفة

﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾.

ولهذا يوجد عند المؤمنين الصادقين حين تصيبهم النوازل والقلاقل والابتلاء من الصبر والثبات والطُمأنينة والسُكون والقيام بحق الله ما لا يوجد عُشْر مِعْشاره عند مَن ليس كذلك. وذلك لقوّة الإيمان واليقين.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن ادم، تفرّغْ لعبادتي أملأ قلبك غنىً، وأملأ يديك رزقاً. يا ابن ادم، لا تباعد مني، فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شُغلاً».**

«الإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرّضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبّته، والتّلهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجنّة، وعيشٌ، لا نسبة لعيش الملوك إليه البتّة».

لا تحزن إن قلّ مالك أو رثّ حالك فقيمتك شيءٌ آخر

قال عليٌّ رضي الله عنه: قيمة كل امرئ ما يُحسن.

فقيمة العالم علمه قلّ منه أو كثُر، وقيمةُ الشاعر شعرُه أحسَنَ فيه أو أساء، وكلُّ صاحب موهبة أو حرفة إنما قيمتُه عند البشر تلك الموهبة أو تلك الحرفة ليس إلا، فليحرص العبد على ان يرفع قيمتَهُ، ويُغلي ثمنه بعمله الصالح، وبعلْمه وحكمته، وجوده وحفْظه، وتبوغه واطّلاعه، ومُثابرته وبحْثه، وسؤاله وحرْصه على الفائدة، وتثقيف عقْله وصقْل ذهنه، وإشعال الطموح في رُوحه، والنُّبل في نفسه، لتكون قيمته غالية عالية.

لا تحزن، واعلم أنك بواسطة الكُتُب يمكن أن تُنمّي مواهبك وقدراتك

مطالعة الكتب تُنشّطُ الذّهن، وتهدي العبر والعظات، وتمدُّ المطّلع بمدَدٍ من الحِكَم، وتُطلق اللسان، وتُنَمّي مَلَكة التفكير، وترسّخ الحقائق، وتطرد الشُّبَه، وهي سلْوة للمتفرّد، ومناجاةٌ للخاطر، ومحادثة للسامر، ومتعة

للتأمل، وسراجٌ للنهار، وكلما كُررت المعلومة وضُبطت، ومحصت، أثمرت وأينعت وحان قطافها، واستوت على سوقها، وأنت أكلها كلَّ حين بإذن ربها، وبلغ الكتاب بها أجله، والنبأ مستقره.

وهجر المطالعة، وترك النظر في الكتب والانشراد بها، حبسةٌ في النسيان، وحصرٌ للطبع، وركودٌ للخاطر، وفتورٌ للعقل، وموتٌ للطبيعة، وذبولٌ في رصيد المعرفة، وجفافٌ للفكر، وما من كتاب إلا وفيه فائدة أو مَثَل، أو طُرفة أو حكاية، أو خاطرة أو نادرة.

هذا وفوائد القراءة فوق الحصر، ونعوذ بالله من موت الهمم وخسة العزيمة، وبرود الروح، فإنها من أعظم المصائب.

لا تحزن، واقرأ عجائب خلق الله في الكون

وبدائع غرائب صُنعه في المعمورة، تجد العَجَب العُجاب، وتقضي على همومك وغمومك، فإن النفس مُولعة بالطريف الغريب.

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ، وأمّر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيراً لقريش، وزوّدنا جراباً من تمر لم يجدْ لنا غيره، فكان أبو عبيدة يُعطينا تمرة تمرة.

قال - الراوي عن جابر -: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصُّها كما يمصُّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط - أي ورق الشجر - ثم نبُلُّه فنأكله.

قال: وانطلقنا على ساحل البحر فإذا شيءٌ كهيئة الكثيب الضخم. أي كصورة التلّ الكبير المستطيل المُحدودب من الرمل. فأتيناه، فإذا هي دابة تُدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميّتة. ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطُررتُم فكُلوا. قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا. قال: ولقد رأيتُنا نغترف من وَقْب عينه. أي من داخل عينه. ونفرقها بالقلال. أي بالجرار الكبيرة. الدُّهن، ونقتطع منه الفِدَر. أي القِطَع، كالثور أو قدر الثور. فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدَهم في وقب عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رَحَل أعظم بعير، ونظر إلى أطول رجُل، فحملَهُ عليه، فمرّ من تحتها.

وتزوّدنا من لحمه وشائق. فلمّا قدمنا المدينة، أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا له ذلك، فقال: «هو رزقٌ أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتُطعمونا؟». قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ، فأكل منه.

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقَهُ ثم هدى ﴾:

البذرة إذا وُضعت في الأرض لا تنبت حتى تهتزّ الأرض هزّةً خفيفة، تُسجّل بجهاز رختر، فتنفلق البذرة وتنبت: ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت ﴾.

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقَهُ ثم هدى ﴾:

قال أبو داود في كتابه «السنن» في باب زكاة الزرع: شبرت قتادة بمصر ثلاثة عشر شبرا. ورأيت أترجّة على بعير بقطعتين، قُطعت وصيّرت على مثل عدلين.

﴿ الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى ﴾:

ذكرَ الدكتور زغلول النجّار الدارس للآيات الكونية - في إحدى محاضراته - أن هناك نجوماً انطلقتْ من آلاف السنوات، وهي في سرعة الضوء، ولم تصل حتى الآن إلى الأرض، وما بقي إلا مواقعها ﴿ فلا أقسمُ بمواقع النجوم ﴾.

﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾:

جاء في «جريدة الأخبار الجديدة» في العدد ٣٩٦ بتاريخ ١٩٥٣/٩/٢٧م ص٢ أنه: (دخل صباح اليوم «أونا» باريس دخول الفاتحين، يحرسه عشرات من رجال البوليس، الراكب والراجل. أما «أونا» هذا فهو حوت نرويجي ضخم محنّط، وزنه ٨٠٠٠٠ كيلو، وكان محمولاً على عشر جرارات مربوطة بسيارة نقل ضخمة، وسيُعرض الحوت لمدة شهر، ويُسمح للناس بدخول كرشه المضاء بالكهرباء، ويستطيع عشرة أشخاص أن يدخلوا بطنه مرّةً واحدةً.

لكن المشرفين على معرض «أونا» وبوليس المدينة، لم يتفقا على المكان الذي يوضع فيه الحوت، وهم يخشون وضعه فوق محطة القطار الأرضي، خشية أن ينهار الشارع.

وبرغم أن سنّ هذا الحوت لا يزيد على ١٨ شهراً، فإن طوله ٢٠ متراً، وقد صيد في شهر سبتمبر من العام الماضي في مياه النرويج، وقد صُنعت له عربةُ قطار خاصّة، لنقله في جولة عبر أوربا، ولكنّها انهارت تحته، فصُنعت له سيارة جرّ، طولها ٢٠ متراً).

﴿ الذي أعطى كُل شيء خلقه ثُم هدى ﴾:

النملة تدّخر قُوتها من الصيف للشتاء؛ لأنها لا تخرج في الشتاء. فإذا خشيت ان تنبت الحبّة. كسرتها نصفين. والحيّة في الصحراء إذا لم تجد طعاماً. نصبت نفسها كالعود. فيقع عليها الطائر فتأكله.

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقه ثُم هدى ﴾:

قال عبدالرزاق الصنعاني: سمعتُ معمر بن راشد البصري يقول: رأيت باليمن عنقود عنب. وقرْ بغل تامّ. ﴿ والنخل باسقات لها طلعٌ نضيد ﴾. كلّ الأشجار والنباتات تُسقى بماء واحد ﴿ ونُفضّل بعضها على بعض في الأكل ﴾. وللنباتات منافعُ خاصّة. فمنها القويّة بنفسها. ومنها الشوكيّة التي تدافع بشوكها. ومنها الحامضة اللاذعة.

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقه ثُم هدى ﴾:

قال كمال الدين الأدفوي المصري في كتابه «الطالع السعيد الجامع نجباء أبناء الصعيد»: «رأيت قطف عنب. جاءت زنته ثمانية أرطال بالليثي. ووُزنت حبّة عنب. جاءت زنتُها عشرة دراهم. وذلك بأدفو بلدنا».

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقه ثُم هدى ﴾:

وقد ذكر علماء الفلك أن الكون لا يزال يتّسع شيئاً فشيئاً كما تتّسع البالونة: ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾. وذكروا أن الأرض اليابسة تنقص. وأن المحيطات تتّسع. ﴿ أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾.

﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾:

جاء في مجلة «الفيصل» عدد ٦٢ سنة ١٤٠٢هـ ص١١٢ صورة لثمرة كرنب ملفوف، وزنت ٢٢ كيلو غراماً، وبلغ قطرها متراً واحداً، وصورة لبصلة يابسة واحدة، وزنت ٣,٢ كيلو غراماً، وبلغ قطرها ٣٠ سم.

وذكرت المجلة عقب ذلك: أن ثمرة يقدورة، طماطم واحدة بلغ محيطها أكثر من ٦٠ سم، وأن هذه الأشياء غير العادية، نبتت في ارض المُزارع المكسيكي «جوزيه كارمن» ذي الخبرة الطويلة في الزراعة والعناية بالأرض، مما جعلهُ المزارع الأول في المكسيك.

﴿ الذي أعطى كُلَّ شيء خلقه ثُم هدى ﴾:

وفي الرأس اربعة سوائل: عذب في فمه، يسوغ به الطعام والشراب، ولزج في أنفه، ليمنع الغبار، ومالح في عينيه، يمنعها من اليبس، ومُرٌ في أذنيه، يحميها من الحشرات ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

قال المؤرخ ابو الفضل عبدالرزاق بن الفوطي في كتابه «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»:

في حوادث سنة ٦٣٧ قال: وفي هذه السنة اعجمي خيّاط، كان في خدمة الأمير جمال الدين قشتمر، كان قد جرحَ جاراً له بمقصٍ فمات، وهذا الخياط قد برع في صناعة الخياطة، وعمل أشياء عجيبة، منها: انه حبسَ نفسَهُ، ومعه ثوب غير مفصّل، وعلّق الصندوق مُقابل باب جمال الدين قشتمر، من أول الليل، ثم حطّ الصندوق وقت الصباح، وفتحوه

فوجوده قد فصّل الثوب، وخيّطه وطواه، وراح جماعةً بعده أن يفعلوا كذلك فعجزوا عنه. وكان هذا الرجل الخياط شيخاً قصيراً جدّاً، أعرج أحدب، أوحد عصره في الخياطة، غير محمود الطريقة. ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ . ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ . ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ ، ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ .

قل للذي يدّعي في العلم معرفة علمت شيئاً وغابت عنك أشياء

﴿ وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾ .

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المصري: بلغني أن الملك الكامل، صنع له شمعدان . هو عمودٌ طويل من نحاس، له مراكز يُوضع عليها الشمع للإنارة . كلّما مضى من الليل ساعة انفتح ساعة منه، وخرج منه شخصٌ يقف في خدمة الملك. فإذا انقضت عشر ساعات، طلع الشخص على أعلى الشمعدان وقال: صبّح الله السلطان بالخير والسعادة. فيعلم أن الفجر قد طلع.

وقد عملتُ أنا ـ أي القرافي ـ هذا الشمعدان، وزدتُ فيه أن الشمعة يتغيّر لونها في كلّ ساعة. وفيه أسدٌ، تتغيّر عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد، إلى الحُمْرة الشديدة، في كل ساعة لها لون. وتسقُط حصاتان من طاقتين، ويدخل شخصٌ ويخرج شخصٌ غيره، ويُغلق باب ويُفتح باب. فإذا طلع الفجر، طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وأصبغه

على أذنه. يُشير إلى الآذان. ولكني عجزتُ عن صنعة الكلام. ثم صنعتُ صورة حيوان يمشي ويلتفت يمينا ويسارا، ويُصفّر ولا يتكلّم.

« الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى »:

وجودة العقل تنبئ أن خالقه سبحانه مبدع في خلقه عبر

لا يُوحش القلب إلا مخالفة الربّ. يقول الحسن البصري: يا ابن آدم، موسى خالف الخضر ثلاث مرّات فقال له: هذا فراق بيني وبينك. فكيف بك وأنت تُخالف ربّك في اليوم مرات. ألا تأمن أن يقول لك: هذا فراق بيني وبينك.

يا الله يا الله

« قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ».

« أليس الله بكاف عبده ».

« قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ».

« ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ».

وقال عن آدم: « ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى ».

ونوح: « ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ».

وإبراهيم: « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ».

ويعقوب: ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ﴾.

ويوسف: ﴿ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ﴾.

وداود: ﴿ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾.

وأيوب: ﴿ فكشفنا ما به من ضر ﴾.

ويونس: ﴿ ونجيناه من الغم ﴾.

وموسى: ﴿ فنجيناك من الغم ﴾.

ومحمد: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ﴾، ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾.

﴿ كل يوم هو في شأن ﴾:

قال بعضهم: يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين.

اشتدي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج

سحابة ثم تنقشع: ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾.

لا تحزن، فإن الأيام دُوَل

سجن ابن الزبير محمد بن الحنفية في سجن عارم بمكة، فقال كُثَيِّر عزة:

وما رونق الدنيا ببـاق لأهلها ... وما شدة الدنيا بضربة لازم

لهذا وهذا مدة سوف تنقضي ... ويصبح ما لاقيته حلم حالم

وتأمّلتُ بعد هذا الحدث بقرون، فإذا ابن الزبير وابن الحنفية وسجن عازم كحلم حالم: « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

مات الظالم والمظلوم والحابس والمحبوس.

كلٌ بطاح من الناس له يوم بطوح.

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾

وفي الحديث: لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء .

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف الذي مرتْ عليه دهور

لا تحزن، فيُسرّ عدوك

ان حزنك يفرح خصمك، ولذلك كان من أصول الملّة إرغام أعدائها: « ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم » .

وقوله ﷺ لأبي دجانة، وهو يخطر في الصفوف متبختراً في أُحُد: إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن.. وأمر أصحابه بالرَمَل حول البيت، ليُظهروا قوتهم للمشركين.

يقول أبو دهبل:

عسى كربةٌ أمسيتُ فيها مقيمةٌ يكونُ لنا منها نجاءٌ ومخرجُ

فيكبتُ أعداءٌ ويجذلُ أصفٌ لهُ كبدٌ من لوعة البين تلعجُ

« وبومئذ يفرح المؤمنون ».

إن أعداء الحق وخصوم الفضيلة سوف يتقطعون حسرة إذا علموا بسعادتنا وفرحنا وسرورنا. « قل موتوا بغيظكم ». « إن تصبك حسنة تسؤهم ». « ودوا ما عنتم ».

ربَّ من انضجتُ حقداً قلبهُ قد تمنَّى لي شراً لم يطعْ

وقال آخر:

وتجلُّدي للشامتين أريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضعُ

وفي الحديث: **اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً.**

وفيه: **ونعوذ بك من شماتة الأعداء.**

كلُّ المصائب قد ثمر على الفتى وتهونُ غيرُ شماتة الأعداء

وكانوا يتبسَّمون في الحوادث، ويصبرون للمصائب، ويتجلَّدون للخطوب، لإرغام أنوف الشَّامتين، وإدخال الغيظ في قلوب الحاسدين: « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ».

يزيدُ يغضُّ الطرفَ دوني كأنما طوى بين عينيه عليَّ المحاجمُ

فلا ينبسطْ ما بين عينيك ما انْزوى ولا تلقني إلاَّ وأنفُك راغمُ

تفاؤل وتشاؤم

﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾.

كثير من الأخيار تفاءلوا بالأمر الشاق العسير، ورأوا في ذلك خيراً على المنهج الحق: ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ﴾.

فهذا أبو الدرداء يقول: أحبُّ ثلاثاً يكرهها الناس: أحب الفقر والمرض والموت. لان الفقر مسكنة، والمرض كفارة، والموت لقاءٌ بالله عز وجل.

ولكنَّ الآخر يكره الفقر ويذمُّه، ويُخبر أن الكلاب حتى هي تكره الفقير:

إذا رأتْ يوماً فقيراً مُعدماً ... هرتْ عليه وكشرتْ أنيابها

والحُمَّى زحَّب بها بعضُهم فقال:

زارتْ مكفِّرة الذنوب سريعةً ... فسألتها بالله أن لا تقلعي

لكنَّ المتنبي يقول عنها:

بذلت لها المصارف والحسايا ... فعافتها وباتتْ في عظامي

وقال يوسف عليه السلام عن السجن: ﴿ السجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه ﴾.

وعلي بن الجهم يقول عن الحبس أيضاً:

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ مهنَّدٍ لا يغمدُ

ولكن علي بن محمد الكاتب يقول:

قالوا حبست فقلت خطب نكد ... أنحى علي به الزمان المرصد

والموت أحبه كثير ورحبوا به. فمعاذ يقول: مرحبا بالموت، حبيب جاء على فاقة، أفلح من ندم.

ويقول في ذلك الحسين بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ويقول الآخر: لا بأس بالموت اذا الموت نزل.

ولكن الآخرين تذمروا من الموت وسبوه وفروا منه.

فاليهود أحرص الناس على حياة، قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾.

وقال بعضهم:

وما لي بعد هذا العيش عيش ... وما لي بعد هذا الرأس رأس

والقتل في سبيل الله امنية عذبة عند الأبرار الشرفاء: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾.

وابن رواحة ينشد:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وطعنة ذات فرغ تقذف الزبدا

ويقول ابن الصَّرِمَّاح:

أيا ربِّ لا تجعلْ وفاتي إن أتتْ على شرْجع يعلو بحُسْن المطارف

ولكنْ شهيداً ثاوياً في عصابةٍ يُصابون في فجٍّ من الأرض خائف

غير أن بعضهم كَرِه القتلَ وفرَّ منه، يقول جميل بثينة:

يقولون جاهدْ يا جميلُ بغزوة وأيُّ جهادٍ غيرهُنَّ أريدُ

وقال الأعرابي: والله إني أكره الموتَ على فراشي، فكيف أطلبه في الثغور «قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين». «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم». إن الوقائع واحدة، لكن النفوس هي التي تختلف.

لا تحزن أيُّها الإنسان

أيها الإنسان: يا من ملَّ من الحياة، وسئم العيشَ، وضاق ذرعاً بالأيام، وذاق الغُصص، إن هناك فتحاً مبيناً، ونصراً قريباً، وفرجاً بعد شدَّة، ويُسراً بعد عُسر.

إن هناك لُطفاً خفيّاً من بين يديك ومن خلفك، وهناك أملاً مشرقاً، ومستقبلاً حافلاً، ووعداً صادقاً، «ووعد الله لا يُخلفُ اللهُ وعدهُ». إن تضييقك فرجةٌ وكشفا، ولصيبتك زوائل، وإن هناك أنساً وروحاً وندىً وظلاً وظلاً. «الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن».

أيها الإنسان: أن أن تُداوي شكّك باليقين، والتواءَ ضميرك بالحق، وعوجَ الأفكار بالهُدى، واضطراب المسيرة بالرُّشد.

أن أن تقشع عنك غياهب الظلام بوجْه الفجر الصادق، ومرارة الأسى بحلاوة الرِّضا، وحنادس الفتن بنور يلقفُ ما يأفكُون.

أيها الناس: إن وراء بيدائكم القاحلة أرضاً مطمئنّة، يانعها رزقُها رغداً من كلّ مكان.

وإن على رأس جبل المشقّة والضّنى والاجتهاد، جنّةُ أصابها وابلٌ، فهي مُمرعة. فإن لم يُصبها وابلٌ، فطلٌّ من البُشرى والفأل الحسن، والأمل المنشود.

يا من أصابه الأرق، وصرخ في وجه الليل: ألا أيها الليل الطويل ألا انجَلِ. أبشرْ بالصبح. ألَيس الصّبحُ بقريب؟ صبحٌ يملؤك نوراً وحبوراً وسروراً.

يا من ذهب لُبّه الهمّ: رُويدَك، فإن لك من أفُق الغيب فرجاً، ولك من السُّنن الثابتة الصادقة فسحةً.

يا من ملأت عينك بالدمع: كفكفْ دموعك، وأرِحْ مُقلتيك. اهدأ فإن لك من خالق الوجود ولايةً، وعليك من لطفه رعاية. اطمئنّ أيها العبد، فقد فُرغ من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل اللُّطف، وذهب ظمأ المشقّة، وابتلّت عروق الجهد، وثبتَ الأجر عند من لا يخيب لديه السّعي.

اطمئن: فإنك تتعامل مع غالب على أمره، لطيف بعباده، رحيم بخلقه، حسن الصُنع في تدبيره.

اطمئن: فإن العواقب حسنة، والنتائج مريحة، والخاتمة كريمة.

بعد الفقر غنى، وبعد الظمأ ريّ، وبعد الفراق اجتماع، وبعد الهجر وصل، وبعد الانقطاع اتصال، وبعد الشهاد نوم هادئ. ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾.

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ... ـل وميل الحادي وحار الدليل

فتأملتها وفكري من البيـ ... ـن عليل وطرف عيني كليل

وفؤادي ذاك الفؤاد المعنّى ... وغرامي ذاك الغرام الدخيل

وسألنا عن الوكيل المرجّى ... للملمات هل إليه سبيل؟

فوجدناه صاحب المُلك طرّا ... أكرم المجزلين فرد جليل

أيُها المعذّبون في الأرض، بالجوع والخشف والضنى والألم والفقر والمرض، أبشروا. فإنكم سوف تشبعون وتسعدون، وتفرحون وتصحُون. ﴿ والليل إذ أدبر * والصُبح إذا أسفر ﴾.

فلا بدّ لليل أن ينجلي ... ولا بدّ للقيد أن ينكسر

ومن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

وحقٌ على العبد أن يظُنّ بربّه خيرا، وأن ينتظر منه فضلاً، وأن يرجو من مولاه لُطفا. فإنّ مَنّ أمرُه في كلمة «كُن» جديرٌ أن يُوثق بموعوده، وأن يُتعلّق بعهوده. فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضُرّ إلا هو، وله في كلّ

نفس لُطفٌ، وفي كلّ حركة حكمةٌ. وفي كل ساعة فَرَجٌ. جعلَ بعد الليل صَبَحا. وبعد القحْط غَيْثاً. يُعطي ليُشكر. ويبتلي ليعلم مَن يصبر. يمنع النّعماء ليسمعَ الثّناء. ويُسلّط البلاء ليُرفعَ إليه الدُّعاء. فحريٌّ بالعبد أن يقوِّي معه الاتّصال. ويمدّ إليه الحبال. ويُكثر السؤال ». واسألوا الله من فضله ». « ادعوا ربكم تضرّعا وخفية ».

لو لم ترد نيل ما ترجـــو وأطلبـــه ... من جود كفك ما علمتني الطلبا

انقطع العلاءُ بن الحضرمي ببعض الصحابة في الصحراء. ونفد ماؤهم. وأشرفوا على الموت. فنادى العلاء ربّه القريب. وسأل إلهاً سميعاً مجيباً. وهتف بقوله: يا عليُّ يا عظيم. يا حكيم يا حليم. فنزل الغيث في تلك اللحظة. فشربوا وتوضؤوا. واغتسلوا وسقَوا دوابّهم. « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد ».

وقفة

«محبّة الله تعالى. ومعرفته. ودوامُ ذكره. والسّكون إليه. والطمأنينةُ إليه. وإفرادُه بالحُبّ والخوف والرجاء والتّوكّل. والمعاملة. بحيث يكون هو وحدَه المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته. هو جنّة الدنيا. والنّعيم الذي لا يُشبهه نعيم. وهو قُرّة عين المُحبين. وحياة العارفين».

«تعلّقُ القلب بالله وحده واللّهجُ بذكره والقناعةُ: أسبابٌ لزوال الهموم والغموم. وانشراح الصدر والحياة الطيّبة. والضّدُّ بالضّدّ. فلا أضيق صدرا. وأكثر همّا. ممّن تعلّق قلبُه بغير الله. ونسي ذكر الله. ولم يقنع بما اتاه الله. والتّجربة أكبرُ شاهد».

تعزَّ بالمنكوبين

﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾.

وممَّن نُكب نكبة داهية ساحقة ماحقة: البرامكة. أسرة الأبهة والترف والبذل والسخاء. وأصبحت نكبتهم عبرة وعظة ومثلاً. فإن هارون الرشيد سجن عليهم بين عشية وضحاها. وكانوا في النعيم غافلين. وفي لحاف الترغد دافئين. وفي بستان الترف مُنعَّمين. فجاءهم أمرُ الله ضُحىً وهم يلعبون. على يد أقرب الناس إليهم. فخرَّب دُورهم. وهدم قصورهم. وهتك سُتُورهم. واستلب عبيدهم وإماءهم. وأسال دماءهم. وأورَدهم موارد الهالكين. فجرح بمصابهم قلوب أحبابهم. وقرَّح بنكائهم عيونَ أطفالهم. فلا إله إلا الله. كم من نعمة عليهم سُلبت. وكم من عبرة من أجلهم سُفكت. ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾. قبل نكبتهم بساعة. كانوا في الحرير يرفُلون. وعلى الديباج يزحفون. وبكؤس الأماني يترعُّون. فيا لهول ما دهاهم. ويا لفجيعة ما علاهم.

هذا المصابُ وإلاَّ غيرُ جللْ ... وهكذا تُمحقُ الأيامُ والدُّولْ

اطمأنوا في سِنَة من الدهر. وأمن من الحدثان. وغفلة من الأيام ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾. خفقت على رؤوسهم البنود. واصطفَّت على جوانبهم الجنود.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرْ

رتعوا في لذة العيش لاهين، وتمتعوا في صفو الزمان آمنين، ظنوا السراب ماء، والورم لحما، والدنيا خلودا، والفناء بقاء، وحسبوا الوديعة لا تسترد، والعارية لا تضمن، والأمانة لا تؤدى، « وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ».

فجائع الدهر ألوان متنوعة ... وللزمان مسرات وأحزان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

أصبحوا في سرور وأمسوا في القبور، وفي لحظة من لحظات غضب هارون الرشيد، سل سيف النقمة عليهم، فقتل جعفر بن يحيى البرمكي، وصلبه ثم أحرق جثمانه، وسجن آباء يحيى بن خالد، وأخاه الفضل بن يحيى، وصادر أموالهم وأملاكهم، وقد أكثر الشعراء من المراثي في البرامكة، فمن ذلك قول الرقاشي، وقيل: إنها لأبي نواس:

الآن استرحنا واستراحت ركابنا ... وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي

فقل للمطايا قد أمنت من السرى ... وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولن تظفري من بعده بمسود

وقل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي

ودونك سيفا برمكيا مهندا ... أصيب بسيف هاشمي مهند

وقال الرقاشي، وقد نظر إلى جعفر وهو على جذعه:

أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جدثك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرتْ قبلك يا ابن يحيى حساماً قلة السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ودولة آل برمك السلام

قال: فاستدعاه الرشيدُ، فقال له: كم كان يُعطيك جعفر كلَّ عام؟ قال: ألف دينار. قال: فأمَرَ له بألفيْ دينار.

وقال الزبير بن بكّار عن عمه مصعب الزُبيريّ. قال: لمّا قُتِل الرشيد جعفراً، وقفت امرأة على حمار قارة، فقالت بلسانٍ فصيح: والله يا جعفر، لئن صرتَ اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية. ثم أنشأتْ تقول:

ولما رأيتُ السيف خالط جعفرا ونادى مُنادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وأيقنتُ أنما قُصارى الفتى يوما مفارقةُ الدُنيا
وما هي إلا دولةٌ بعد دولةٍ تخولُ ذا نُعمى وتُعقب ذا بلوى
إذا أنزلتْ هذا منازل رفعةٍ من المُلك حطتْ ذا إلى الغاية القُصوى

ولما قُتِل أبو جعفر المنصورُ محمدُ بن عبد الله بن الحسن، بعث برأسه إلى أبيه عبد الله بن الحسن في السجن مع حاجبه الربيع. فوضع الرأس بين يديه، فقال: رَحِمك الله يا أبا القاسم، فقد كنتَ من الذين يُوفون بعهد الله، ولا ينقُضون الميثاق، والذين يَصلون ما أمر الله به أن يُوصَل ويخشَون ربّهم ويخافون سوء الحساب، ثم تمثّل بقول الشاعر:

فتىً كان يحميه من الذُلّ سيفُه ويكفيه سوءات الأمور اجتنابُها

والتفت إلى الربيع حاجب المنصور، وقال له: قُل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا مُدَّة، ومن نعيمك مثلُها، والموعد الله تعالى!

وقد أخذ هذا المعنى العباسُ بن الأحنف ـ وقيل: عمارة بن عقيل ـ فقال:

فإن تلحظي حالي وحالك مرةً ... بنظرة عين عن هوى النفس تحجبُ

نجدْ كلَّ يوم مر من بؤس عيشتي ... يمُرُّ بيوم من نعيمك يُحسبُ

كما في «قول على قول».

والآن: أين هارون الرشيد وأين جعفر البرمكي؟ أين القاتل والمقتول؟ أين الآمر والمأمور؟ أين الذي أصدر أمره وهو على سريره في قصره؟ وأين الذي قُتل وصُلب؟ لا شيء، أصبحوا كأمس الدابر، وسوف يجمعهم الحكم العدْل ليوم لا ريب فيه، فلا ظُلْم ولا هضْم. ﴿ علمُها عند ربي في كتاب لا يضلُّ ربي ولا ينسى ﴾. ﴿ يوم يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴾. ﴿ يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافيةٌ ﴾.

قيل ليحيى بن خالد البرمكي: أرأيتَ هذه النكبة، هل تدري ما سببها؟ قال: لعلَّها دعوةُ مظلوم، سرَتْ في ظلام الليل ونحن عنها غافلون.

ونُكب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، فقال في حبْسه:

خرجْنا من الدنيا ونحنُ من أهلها ... فلسْنا من الأموات فيها ولا الأحْيا

إذا دخل السجانُ يوماً لحاجةٍ ... عجبْنا وقلنا: جاء هذا من الدُّنيا

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وآخر بيت فيه تشاؤم وتطير. ذكرني ببيتين لأحد الشعراء. كما في كتاب «البغال» للجاحظ. يقول فيهما:

إذا ما يريد الحي أقبل نحونا ببعض دواهي الدهر سار فأسرعا

فإن كان شراً سار يوماً وليلة وإن كان خيراً قصد السير أربعا

سجن أحد ملوك فارس حكيماً من حكمائهم. فكتب له رقعة يقول: إنها لن تمر علي فيها ساعة. إلا قربتني من الفرج وقربتك من النقمة. فأنا أنتظر السعة. وأنت موعود بالضيق.

ويكتب ابن عباد سلطان الأندلس. عندما غلب عليه الترف. وغلب عليه الانحراف عن الجادة. فكثرت الجواري في بيته. والدفوف والطنابير. والعزف وسماع الغناء. فاستغاث يوماً بابن تاشفين. وهو سلطان المغرب. على أعدائه الروم في الأندلس. فعبر ابن تاشفين البحر. ونصر ابن عباد. فأنزله ابن عباد في الحدائق والقصور والدور. ورحب به وأكرمه. وكان ابن تاشفين كالأسد. ينظر في مداخل المدينة وفي مخارجها. لأن في نفسه شيئاً.

وبعد ثلاثة أيام هجم ابن تاشفين بجنوده على المملكة الضعيفة. وأسر ابن عباد وقيده وسلب مُلكه. وأخذ دوره ودمر قصوره. وعاث في حدائقه. ونقله إلى بلده «أغمات» أسيراً. «وتلك الأيام نداولها بين الناس». فتقلد ابن تاشفين زمام الحكم. وادعى أن أهل الأندلس هم الذين استدعوه وأرادوه.

ومرّت الأيام، وإذا ببنات ابن عبّاد يُصبْنه في السجن، حافيات باكيات كاسيفات جائعات، فلمّا رأهنّ بكى عند الباب، وقال:

فيما مضى كُنت بالأعياد مسرورا ... فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعةً ... يغزلْن للناس ما يملكْن قطميرا

برزْن نحوك للتسليم خاشعةً ... أبصارُهنّ حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافيةً ... كأنهنّ لم تطأ مسكاً وكافورا

ثم دخل الشاعرُ ابن اللّبانة على ابن عبّاد، فقال له:

تنشّقْ رياحين السّلام فإنّما ... أصبْنَ بها مسكاً عليك وحنّتا

وقُل مجازاً إن عدمت حقيقةً ... بأنك ذو نُعمى فقد كُنت مُنعما

بكاك الحيا والريحُ شقّتْ جُيُوبها ... عليها وناد الرّعدُ باسمك مُعْلما

وهي قصيدة بديعة، أوْرَدها الذهبيُّ ومدحها.

روى الترمذي، عن عطاء، عن عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ أنها مرّتْ بقبر أخيها عبدالله الذي دُفن بمكة، فسلّمتْ عليه، وقالت: يا عبدالله، ما مثلي ومثلك إلا كما قال مُتمّم:

وكُنّا كندمانَيْ جذيمةَ برهةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

وعشْنا بخير في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبّعا

فلمّا تفرّقْنا كأنّي ومالكاً ... لطُول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

ثم بكتْ وودّعتْه.

وكان عمر رضي الله عنه يقول لمتمم بن نويرة: يا متمم، والذي نفسي بيده، لوددتُ أني شاعر فأرثي أخي زيدا. والله ما هبَّت الصَّبا من نجد إلا جاءتني بريح زيد. يا متمم، إن زيداً أسلم قبلي وهاجر وقُتل قبلي. ثم يبكي عمر.

يقول متمم:

لعمري لقد لام الحبيبُ على البكا ... حبيبي لتذراف الدموع السوافك

فقال اقبكسي كلَّ قبر رأيتَه ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلتُ له إن الشجي يبعثُ الشجي ... فدعني فهذا كلُّه قبرُ مالك

نُكب بنو الأحمر في الأندلس، فجاء الشاعر ابن عبدون يُعزّيهم في هذه المصيبة فقال:

الدهرُ يفجعُ بعد العين بالأثر ... فما البكاءُ على الأشباح والصُّور

أنهاك أنهاك لا ألُوك موعظة ... عن نومةٍ بين ناب الليث والظفر

وليتها إذ فدتْ عمراً بخارجةٍ ... فدتْ علياً بمن شاءتْ من البشر

﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ﴾. ﴿ إنما مثلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناهُ من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازّينت وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغنَ بالأمس ﴾.

ثمرات الرضا اليانعة

﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾.

وللرضا ثمراتٌ ايمانيةٌ كثيرةٌ وافرةٌ تنتج عنه. يرتفعُ بها الراضي إلى أعلى المنازل، فيُصبح راسخاً في يقينه، ثابتاً في اعتقاده، وصادقاً في أقواله وأعماله وأحواله.

فتمام عبوديّته في جَرَيان ما يكرهه من الاحكام عليه، ولو لم يجر عليه منها إلاّ ما يحبّ، لكان أبعد شيء عن عبوديّة ربّه. فلا تتمُّ له عبوديّة من الصّبر والتّوكل والرّضا والتّضرّع والافتقار والذّلّ والخضوع وغيرها. إلاّ بجريان القدر له بما يكره، وليس الشأن في الرضا بالقضاء الملائم للطبيعة، إنما الشأنُ في القضاء المؤلم المنافر للطّبع. فليس للعبد أن يتحكّم في قضاء الله وقدره، فيرضى بما شاء ويرفض ما شاء، فإن البشر ما كان لهم الخيرة، بل الخيرة لله، فهو أعلم وأحكم وأجلُّ وأعلى، لأنه عالم الغيب المطّلع على السرائر، العالم بالعواقب المحيطُ بها.

رضاً برضا:

ولْيَعلَم أن رضاه عن ربّه سبحانه وتعالى في جميع الحالات، يُثمر رضا ربّه عنه. فإذا رضي عنه بالقليل من الرّزق، رضي ربُّه عنه بالقليل من العمل، وإذا رضي عنه في جميع الحالات، واستوت عنده، وجده أسرَعَ شيء إلى رضاه إذا ترضّاه وتملّقه، ولذلك انظر للمخلصين مع قلّة عملهم، كيف رضي الله سعيهم لأنهم رضُوا عنه ورضي عنهم، بخلاف المنافقين، فإن الله ردّ عملهم قليلَهُ وكثيره، لأنهم سَخِطوا ما أنزل الله وكرهوا رضوانَهُ، فاحبطَ أعمالهم.

من يسخط فله السُّخط:

والسُّخط باب الهمّ والغمّ والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظنّ بالله خلاف ما هو اهله. والرضا يُخلّصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل الآخرة. فإن الارتياح النفسي لايتمّ بمُعاكسة الأقدار ومضادّة القضاء، بل بالتسليم والإذعان والقَبول، لأن مدبّر الأمر حكيمٌ لا يتّهم في قضائه وقدره. ولا زلتُ اذكر قصة ابن الراوندي الفيلسوف الذكي الملحد، وكان فقيراً. فرآى عاميّا جاهلاً مع الدُّور والقصور والاموال الطائلة. فنظر إلى السماء وقال: أنا فيلسوف الدنيا وأعيش فقيراً. وهذا بليدٌ جاهل ويحيا غنيًا. هذه قسمةٌ ضيزى. فما زاده الله إلاّ مقتاً وذلاً وضنكاً ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ».

فوائد الرضا:

فالرضا يُوجب له الطُّمأنينة، وبَرد القلب، وسكونه وقراره وثباته عند اضطراب الشُّبَه والتباس القضايا وكثرة الوارد. فيثق هذا القلب بموعود الله وموعود رسوله ﷺ، ويقول لسان الحال: « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ». والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، ومرضه وتمزّقه. فيبقى قلقاً ناقما ساخطاً متمرّداً. فلسان حاله يقول: « ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ». فأصحاب هذه القلوب ان يكن لهم الحقّ، يأتوا اليه مُذعنين، وان طُولبوا بالحق إذا هم يصدفون. وإن اصابتهم خيرٌ اطمأنّوا به، وان اصابتهم فتنةٌ

انقلبوا على وجوههم، خسروا الدنيا والآخرة ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾.
كما أن الرضا يُنزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت عليه السكينة، استقام وصلحت أحواله، وصلح بالُه. والسُخط يُبعده منها بحسب قلته وكثرته. وإذا ترحلت عنه السكينة، ترحل عنه السرور والأمن والراحة وطيب العيش. فمن أعظم نعم الله على عبده: تنزُّل السكينة عليه. ومن أعظم أسبابها: الرضا عنه في جميع الحالات.

من أجلكم قد جرعنا في الهوى غُصصاً ... نحسُوا الفراق ولا تشكوا مآسينا
يسُرنا ذكركم دوماً ويُبهجنا ... ومُنيةُ القلب دوماً أن تلاقينا

لا تُخاصم ربك:

والرضا يخلِّص العبد من مُخاصمة الرب تعالى في أحكامه وأقضيته. فإن السُخط عليه مُخاصمة له فيما لم يرضَ به العبد. وأصلُ مخاصمة إبليس لربه: من عدم رضاه بأقضيته. وأحكامه الدينية والكونية. وإنما الحدَ مَنْ ألحدَ، وجحدَ مَن جحدَ لأنه نازع ربَّه رداءَ العظمة وإزارَ الكبرياء، ولم يُذعن لمقام الجبروت. فهو يُعطِّل الأوامر. وينتهك المناهي. ويتسخَّط المقادير. ولم يُذعن للقضاء.

حكمٌ ماضٍ وقضاءٌ عدلٌ:

وحُكم الربِّ ماضٍ في عبده. وقضاؤه عدلٌ فيه. كما في الحديث: «ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك». ومن لم يرضَ بالعدل، فهو من أهل

الظُّلم والجور، والله أحكم الحاكمين. وقد حرَّم الظُّلم على نفسه، وليس بظلاَّم للعبيد، وتقدَّس سبحانه وتنزَّه عن ظُلم الناس، ولكنَّ الناس أنفُسَهم يظلمون.

وقوله: «عدلٌ فيَّ قضاؤك» يعمُّ قضاء الذنب، وقضاء أثره وعقوبته. فإن الأمرين من قضائه عز وجل، وهو أعدلُ العادلين في قضائه بالذنب، وفي قضائه بعقوبته، وقد يقضي سبحانه بالذنب على العبد لأسرار وخفايا هو أعلَمُ بها. قد يكون لها من المصالح العظيمة ما لا يعلمها إلا هو.

لا فائدة في السُّخط:

وعدمُ الرضا: إمَّا أن يكون لفوات ما أخطأهُ ممَّا يحبُّه ويريده، وإما لإصابة بما يكرهه ويُسخطه. فإذا تيقَّن أن ما أخطأه لم يكُن ليُصيبه، وما أصابه لم يكن ليُخطئه، فلا فائدة في سخطه بعد ذلك إلا فوات ما ينفعه، وحصول ما يضرُّه. وفي الحديث: «جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ يا أبا هريرة، فقد فُرغ من القضاء، وانتُهي من القدر، وكُتبت المقادير، ورُفعت الأقلام، وجفَّت الصُّحف».

السلامة مع الرِّضا:

والرضا يفتح له باب السلامة، فيجعل قلبَهُ سليمًا، نقيًّا من الغش والدَّغَل والغلّ، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، وهو السَّالم من الشُّبَه، والشكِّ والشِّرك، وتلبُّس إبليس وجُنده، وتخذيله

وتسويفه، ووعده ووعيده، فهذا القلب ليس فيه إلا الله: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

وكذلك تستحيل سلامة القلب من السُّخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشدّ رضاً كان قلبه أسلم. فالخبث والدَّغل والغشّ: قرين السُّخط. وسلامة القلب وبرُّه ونُصحه: قرين الرضا. وكذلك الحسد: هو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه: من ثمرات الرضا. فالرضا شجرة طيّبة، تُسقى بماء الإخلاص في بستان التوحيد. أصلها الإيمان، وأغصانها الأعمال الصالحة، ولها ثمرة يانعة حلاوتها. في الحديث: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا». وفي الحديث أيضاً: «ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان.....

السُّخط باب الشك:

والسُّخط يفتح عليه باب الشكّ في الله، وقضائه، وقدره، وحكمته وعلمه، فقلّ أن يسلم الساخط من شكّ يدخل قلبه، ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به. فلو فتّش نفسه غاية التفتيش، لوجد يقينه معلولاً مدخولاً. فإن الرضا واليقين أخوان مصطحبان، والشكّ والسُّخط قرينان. وهذا معنى الحديث الذي في الترمذي: «إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين، فافعل، فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره النفس خيراً كثيراً». فالساخطون ناقمون من الداخل، غاضبون ولو لم يتكلموا، عندهم إشكالاتٌ وأسئلةٌ، مفادها: لمَ هذا؟ وكيف يكون هذا؟ ولماذا وقع هذا؟

الرضا غنىً وأمْن:

ومَنْ ملأ قلبه من الرضا بالقدَر، ملأ الله صدرَهُ غنىً وأمْناً وقناعة، وفرَّغ قلبه لمحبَّته والإنابة إليه، والتوكُّل عليه. ومَن فاته حظُّه من الرضا، امتلأ قلبُه بضدِّ ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه.

فالرضا يُفرِّغ القلب لله، والسخط يفرِّغ القلب من الله، ولا عيشَ لساخط، ولا قرارَ لناقم، فهو في أمر مريج، يرى أن رزقَهُ ناقصٌ، وحظَّه باخسٌ، وعطيَّتَهُ زهيدةٌ، ومصائبَهُ جمَّةٌ، فيرى أنه يستحقّ أكثَر من هذا، وأرفعَ وأجلّ، لكنَّ ربَّه - في نظره - بخَسَهُ وحرَمَه ومنعَهُ وابتلاه، وأضناهُ وأرهَقَه. فكيف يأنسُ وكيف يرتاح، وكيف يحيا؟ ﴿ذلك بأنَّهم اتَّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾.

ثمرة الرضا الشُّكْر:

والرضا يُثمر الشكر الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقةُ الإيمان. فإنَّ غايَة المنازل شكر المولى، ولا يشكُر الله من لا يرضىَ بمواهبه وأحكامه، وصُنعه وتدبيره، وأخذه وعطائه. فالشاكرُ أنعَمُ الناس بالاً، وأحسنُهم حالاً.

ثمرة السُّخط الكفر:

والسخطُ يُثمر ضدَّه، وهو كُفْر النِّعم، وربما أثمرَ له كُفْر المنعِم. فإذا رضيَ العبد عن ربِّه في جميع الحالات، أوجبَ له ذلك شُكرَه. فيكون من

الراضين الشاكرين، وإذا فاتَهُ الرضا، كان من الساخطين. وسلك سبيل الكافرين. وإنما وقع الحيفُ في الاعتقادات والخَلَلُ في الديانات من كَوْن كثيرٍ من العبيد يريدون أن يكونوا أربابا. بل يقترحون على ربّهم، ويُحلُّون على مولاهم ما يريدون: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾.

السُخطُ مصيدةُ للشيطان:

والشيطان إنما يظفر بالإنسان غالبا عند السخط والشهوة، فهناك يصطاده، ولا سيما إذا استحكمَ سخطُه، فإنه يقول ما لا يُرضي الربَّ، ويفعل ما لا يُرضيه، وينوي ما لا يُرضيه، ولهذا قال النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: «يحزنُ القلبُ، وتدمعُ العينُ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا»، فإن موت البنين من العوارض التي تُوجِب للعبد السخطَ على القدَر، فأخبر النبي ﷺ أنه لا يقول في مثْل هذا المقام، الذي يسخطُه أكثرُ الناس، فيتكلّمون بما لا يُرضي الله، ويفعلون ما لايرضيه، إلا ما يُرضي ربَّه تبارك وتعالى. ولو لمحَ العبد في القضاء بما يراه مكروهاً إلى ثلاثة أمور، لَهانَ عليه المصاب.

أولها: علمه بحكمة المقدِّر جلَّ في علاه، وأنه أخبَرُ بمصلحة العبد وما ينفعه.

ثانيها: أن ينظر للأجر العظيم والثواب الجزيل، كما وعد الله مَنْ أُصيب فصبر من عباده.

ثالثهما: أن الحُكم والأمر للربِّ، والتسليم والإذعان للعبد: ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾.

الرضا يخرج الهوى:

والرضا يُخرج الهوى من القلب، فالراضي هواه تَبَعٌ لمراد ربِّه منه. أعني المراد الذي يحبُّه ربُّه ويرضاه، فلا يجتمع الرضا واتِّباع الهوى في القلب أبداً، وإن كان معه شُعبةٌ من هذا، وشعبةٌ من هذا، فهو للغالب عليه منهما.

إنْ كـان رضـاكم فـي سـخطي ... فسـلامُ اللـه علـى وسـني

وعجلتُ إليك رب لترضى.

إنْ كـان سـركُمُ ما قـال حاسـدُنا ... فمـا لجـرحٍ إذا أرضـاكمو ألـمُ

وقفة

تعرَّف إلى الله في الرخاء، يعرفْك في الشدَّة.

(**تعرَّف**) بتشديد الراء (**إلى الله**) أي: تحبَّبْ وتقرَّبْ إليه بطاعته، والشُّكر له على سابغ نعمته، والصبر تحت مُرِّ أقضيته، وصدق الالتجاء الخالص قبل نزول بليَّته. (**في الرخاء**) أي: في الدَّعة والأمن والنعمة وسعة العمر وصحَّة البدن. فالزم الطاعات والإنفاق في القُربات، حتى تكون متَّصفاً عنده بذلك، معروفاً به. (**يعرفك في الشدَّة**) بتفريجها عنك، وجَعْله لك من كل ضيق مخرجاً، ومن كلِّ همٍّ فرجاً، بما سلف من ذلك التَّعرُّف.

ينبغي أن يكون بين العبد وبين ربِّه معرفةٌ خاصَّة بقلبه، بحيث يجده قريباً للاستغناء له منه، فيأنس به في خلوته، ويجد حلاوةَ ذكره ودعائه

ومناجاته وطاعته، ولا يزال العبد يقع في شدائد وكُرَب في الدنيا والبرزخ والموقف، فإذا كان بينه وبين ربّه معرفةٌ خاصّة، كفاه ذلك كله».

الإغضاء عن هفوات الإخوان

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾.

لا ينبغي أن يزهد فيه - أي الأخ - لخُلُق أو خُلُقين ينكرهما منه، إذا رضي سائر أخلاقه، وحُمِد أكثرُ شيمه، لأن اليسير مغفور، والكمال مُعوز، وقد قال الكِنْديُّ: كيف تريد من صديقك خُلُقاً واحداً، وهو ذو طبائع أربع، مع أن نَفْس الإنسان التي هي أخصُّ النفوس به، ومدبّرة باختياره وإرادته، لا تُعطيه قيادها في كل ما يريد، ولا تُجيبه إلى طاعته في كل ما يجب، فكيف بنفس غيره؟! ﴿ كذلك كُنتم من قبلُ فمنَّ اللهُ عليكم ﴾، ﴿ فلا تُزكُّوا أنفسكم هو أعلمُ بمن اتقى ﴾.

وحَسْبُك أن يكون لك من أخيك أكثرُه، وقد قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: مُعاتَبة الأخ خيرٌ من فَقْدِه، مَن لك بأخيك كلِّه؟! فأخذ الشعراء هذا المعنى، فقال أبو العتاهية:

أأخي مَنْ لك من بني الد ... نيا بكلِّ أخيك مَنْ لكْ
فاستبقِ بعضك لايمـ ... ـلك كلَّ مَنْ لم تُعْطِ كُلَّكْ

وقال أبو تمام الطائي:

ما غبن المغبون مثلَ عقلِه ... مَنْ لك يوماً بأخيك كلِّه

وقال بعض الحكماء: طلبُ الإنصاف، من قلّة الإنصاف.

وقال بعضهم: نحن ما رضينا عن أنفسنا، فكيف نرضى عن غيرنا؟!

وقال بعض البلغاء: لا يُزهدنّك في رجلٍ حمدتَ سيرته، وارتضيتَ وتيرته، وعرفتَ فضلَه، وبطنتَ عقلَه، عيبٌ خفيٌ، تحيط به كثرةُ فضائله، أو ذنبٌ صغيرٌ تستغفر له قوة وسائله. فإنك لن تجد - ما بقيتَ - مُهذّباً لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب. فاعتبرْ بنفسك بعدَ ألاّ تراها بعين الرضا، ولا تجرِ فيها على حُكم الهوى. فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يُواسيك مما تطلب، ويُعطفك على من يُذنب. وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياهُ كلُّها ... كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبُهْ

وقال النابغة الذُبياني:

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ ... على شعثٍ أيُّ الرجال المهذّبُ

وليس ينقض هذا القول ما وصفناه من اختباره، واختبار الخصال الأربع فيه. لأن ما اعوزَ فيه معفوٌ عنه، وهذا لا ينبغي أن تُوحشك فترةٌ تجدها منه، ولا أن تُسيء الظنَّ في كبوةٍ تكون منه، ما لم تتحقّق تغيّره. وتتيقّن تنكّره، وليصرف ذلك إلى فترات النفوس، واستراحات الخواطر. فإن الإنسان قد يتغيّر عن مُراعاة نفسه التي هي أخصُّ النفوس به، ولا يكون ذلك من عداوةٍ لها، ولا مَلَلٍ منها. وقد قيل في منثور الحِكَم: لا يُفسدنّك الظنُّ على صديقٍ قد أصلحك اليقينُ له. وقال جعفر بن محمد لابنه: يا بُنيّ، من غضبَ من إخوانك ثلاث مرّات، فلم يقُل فيك سوى الحقّ،

واتخذه نفساً خلاً. وقال الحسن بن وهب: من حقوق المودّة أخذ عفو الاخوان، والإغضاء عن تقصير إن كان. وقد روي عن علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى: « فاصفح الصفح الجميل »، قال: الرضا بغير عتاب.

وقال ابن الرومي:

هم الناس والدنيا ولا بدّ من قذىً ... يلمّ بعين أو يكدّر مشربا

ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي الـ ... ـمهذب في الدنيا ولست المهذبا

وقال بعض الشعراء:

تواصلنا على الايام باقٍ ... ولكن هجرنا مطر الربيع

يروعك صوبه لكن تراه ... على علاته داني النزوع

معاذ الله أن تلقى غضاباً ... سوى دلّ المطاع على المطيع

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ».

تريد مهذباً لا عيب فيه ... وهل عودٌ يفوح بلا دخان

« فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ».

الصحّة والفراغ واغتنامهما في طاعة الله

ينبغي ألا تضيّع صحةَ جسمك، وفراغ وقتك، بالتقصير في طاعة ربّك، والثّقة بسالف عملك. فاجعل الاجتهاد غنيمة صحّتك، واعمل فرصة فراغك، فليس كلُّ الزمان مستعداً ولا ما فات مستدركاً. وللفراغ زيغٌ أو ندم، وللخلوة ميلٌ أو أسنٌ.

وقال عمر بن الخطاب: الراحة للرجال غفلة، وللنساء غُلْمة.

وقال بزرجمهر: إن يكن الشغل مَجْهَدة، فالفراغ مَفْسَدة.

وقال بعض الحكماء: إيّاكم والخلوات، فإنها تُفسد العقول، وتُعقِد المحلول.

وقال بعض البلغاء: لا تُمضِ يومك في غير منفعة، ولا تضيّع مالك في غير صنيعة. فالعمر أقصرُ من أن يُنفَد في غير المنافع، والمالُ أقلُّ من أن يُصرف في غير الصنائع. والعاقل أجلُّ من أن يُفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعُه وخيره، ويُنفِق أمواله فيما لا يحصُل له ثوابُه وأجرُه.

وأبلغُ من ذلك قولُ عيسى ابن مريم، على نبينا وعليه السلامُ: البرُّ ثلاثةٌ: المنطق، والنَّظَر، والصَّمت. فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظرُه في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمتُه في غير فِكْر فقد لها.

الله ولي الذين آمنوا

العبد بحاجة إلى إله، وفي ضرورة إلى مولى. ولابد في الإله من القدرة والنصرة، والحكم، والعلم، والغناء والغنى، والبقاء. والمتّصف بذلك هو الواحد الأحد الملك المهيمن، جلّ في علاه.

فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئنّ به، ويتنعّم بالتوجّه إليه إلا الله سبحانه. فهو ملاذ الخائفين، ومعاذ المنتجئين، وغوث المستغيثين، وجار المستجيرين: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ...» وهو يجير ولا يجار عليه «... ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ...». ومن عبد غير الله، وإن أحبّه وجعل له به مودّة في الحياة الدنيا، ونوعٌ من اللذّة، فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ آكل الطعام المسموم «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون». فإن قوامهما بأن تألههما الإله الحق. فلو كان فيهما آلهة غير الله، لم يكن إلهاً حقّاً. إذ الله لا سَمِيّ له ولا مثل له، فكانت تفسد، لانتفاء ما به صلاحها. هذا من جهة الإلهية، فعلم بالضرورة اضطرار العبد إلى إلهه ومولاه وكافيه وناصره، وهو اتصال المباني بالباقي، والضعيف بالقويّ، والفقير بالغنيّ. وكلُّ من لم يتخذ الله ربّاً وإلهاً، اتخذ غيره من الأشياء والصور والمحبوبات والمرغوبات، فصار عبداً لها وخادماً، لا محالة في ذلك: «أرأيت من اتخذ إلهه هواه». «واتخذوا من دون الله آلهة». وفي الحديث: «**يا حصين، كم تعبد؟** قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض، وواحداً في السماء. قال: «**فمن لرغبك ولرهبك؟**». قال: الذي في السماء. قال: «**فاترك التي في الأرض، واعبد الذي في السماء**».

واعلم أن فقر العبد إلى الله، أن يعبد الله لا يُشرك به شيئاً. ليس له نظيرٌ فيُقاس به. لكنْ يُشبه - من بعض الوجوه - حاجةَ الجسد إلى الطعام والشراب. وبينهما فروقٌ كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبُه وروحه، وهي لا صلاحَ لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو. فلا تطمئنّ في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحةٌ إليه كدحاً فملاقيته، ولا بُدّ لها من لقائه. ولا صلاح لها إلا بلقائه.

ومنْ لقـــاء اللـــه قـــد أحيا ... كان لـــه اللـــه أشـــدّ حبّا

وعكْسُـــه الكـــارهُ فاللـــه اسـألْ ... رحْمتَـــهُ فضـــلاً ولا تتكلْ

ولو حصلَ للعبد لذّات أو سرورٌ بغير الله، فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعّم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال. وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعّم به ويلتذّ، غيرَ منعَّم له ولا ملتذّ له، بل قد يُؤذيه اتّصاله به ووجوده عنده، ويضرُّه ذلك.

وأمّا إلهه فلا بُدّ له منه في كلّ حال وكلّ وقت، وأينما كان فهو معه.

عساك ترضى وكلُّ النـاس غاضبةٌ ... إذا رضـــيت فهـــذا منتهـى أملـي

وفي الحديث: «منْ أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عليه، وأرضى عنه الناس. ومن أسخط الله برضا الناس، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس».

ولا زلت أذكرُ قصّةَ «العَكّوك» الشاعر وقد مدحَ أبا دلف الأمير فقال:

ولا مـــددت يـــداً بالخيـــر واهبة ... إلا قضـــــيت بأرزاق وآجـــال

فسلّطَ الله عليه المأمونَ فقتله على بساطه بسبب هذا البيت. وكذلك تُولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون.

إشاراتٌ في طريق الباحثين

للسعادة والفلاح علاماتٌ تلوح، وإشاراتٌ تظهر، وهي شهودٌ على رقيّ صاحبها، ونجاح حاملها، وفلاح من اتّصف بها.

فمن علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلّما زيد في علمه، زيد في تواضعه ورحمته، فهو كالجوهر الثمين، كلّما زاد وزنه ونفاسته، غاص في قاع البحار، فهو يعلم أن العلم موهبةٌ راسخةٌ يمتحنُ الله بها من شاء، فإن أحسنَ شكرها، واحسنَ في قَبُوله، رفعه به درجات: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾، وكلّما زيد في عمله، زيد في خوفه وحذره، فهو لا يأمن عثرة القدم، وزلّة اللسان، وتقلّب القلب، فهو في محاسبةٍ ومراقبةٍ كالطائر الحذر، كلّما وقع على شجرةٍ تركها لأخرى، يخاف مهارة القنّاص، وطائشة الرصاص، وكلّما زيد في عمره، نقص من حرصه، ويعلم علمَ اليقين أنه قد اقترب من المنتهى، وقطع المرحلة، وأشرف على وادي اليقين، وهو كلّما زيد في ماله، زيد في سخائه وبذله، لأن المال عاريةٌ، والواهب ممتحن، ومناسبات الإمكان فُرَص، وأنوث بالمرصاد، وهو كلّما زيد في قَدْره وجاهه، زيد في قُربه من الناس وقضاء حوائجهم والتّواضع لهم، لأن العباد عيالُ الله، وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله.

وعلامات الشقاوة: أنه كلّما زيد في علمه، زيد في كِبْره وتيهه، فعلمُه غير نافع، وقلبه خاوٍ، وطبيعتُه ثخينةٌ، وطينتُه سباخٌ وغرّةٌ، وهو كلّما زيد في عمله، زيد في فخره واحتقاره للناس، وحُسْنِ ظنّه بنفسه، فهو الناجي وحده، والباقون هلكى، وهو الضامن جوازَ المفازة، والآخرون على شفا

المتالف، وهو كلّما زيد في عمره، زيد في حرصه، فهو جموعٌ منوعٌ. لا تحركه الحوادث، ولا تزعزعه المصائب، ولا توقظه القوارع، وهو كلما زيد في ماله، زيد في بخله وإمساكه، فقلبه مقفر من القيم، وكفُّه شحيحةٌ بالبذل، ووجهه صفيقٌ عريٌّ من المكارم، وهو كلما زيد في قدره وجاهه، زيد في كبره وتيهه، فهو مغرورٌ ممدوحٌ، طائشُ الإرادة منتفخ الرئة، مريش الجناح، لكنه في النهاية لا شيء: **يحشر المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر، يطؤهم الناس بأقدامهم**. وهذه الأمور ابتلاءٌ من الله وامتحان، يبتلي بها عباده فيسعد بها أقوامٌ، ويشقى بها آخرون.

الكرامة ابتلاء

وكذلك الكرامات امتحانٌ وابتلاءٌ، كالمُلك والسُّلطان والمال. قال تعالى عن نبيه سليمان لمّا رأى عرش بلقيس عنده: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرُ أم أكفرُ﴾. فهو سبحانه يُسدي النعمة ليرى مَنْ قَبلها بقَبول حَسَن، وشكرها وحفظها، وثمّرها وانتفع وتنعّم بها، ومَن أهملها وعطّلها، وكفرها وصرفها في محاربة المُعطي، واستعان بها في مُعاندة الواهب جلّ في علاه.

فالنِّعم ابتلاءٌ من الله وامتحانٌ، يظهر بها شُكر الشكور وكُفر الكفور، كما أن المحن بلوى منه سبحانه. فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب. قال تعالى: ﴿فأما الإنسانُ إذا ما ابتلاه ربُّه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن ۝ وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ۝ كلا...﴾، أي ليس كلُّ من وسّعتُ عليه وأكرمتُه ونعّمتُه، يكون ذلك إكراماً مني له، ولا كلُّ من ضيّقتُ عليه رزقه وابتليتُه، يكون إهانة مني له.

الكنوز الباقية

إن المواهب الجزيلة والعطايا الجليلة، هي الكنوز الباقية لأصحابها، الراحلة معهم إلى دار المقام، من الاسلام والإيمان والإحسان والبرّ والتُّقى والهجْرة والجهاد والتوبة والإنابة: ﴿ليس البرّ أن تولّوا وُجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البر من آمن بالله واليوم الآخر ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هم المتّقون﴾.

همّة تنطح الثُّريا

اذا أُعطي العبد همّةً كبرى، ارتحلتْ به في دروب الفضائل، وصَعَدَتْ به في درجات المعالي.

ومن سجايا الإسلام التّحلّي بكِبَر الهمّة، وجلالة المقصود، وسموّ الهدف، وعظمة الغاية. فالهمّة هي مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك، وهي الوقود الحسّيّ والطاقة الملتهبة، التي تمدّ صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد، وكبر الهمّة يجلب لك، بإذن الله، خيراً غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال. فيُجْري في عروقك دم الشهامة، والركْض في ميدان العلم والعمل. فلا يراك الناس واقفاً إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطاً يديك إلا لمهمّات الأمور. تُنافس الرُّوّاد في الفضائل، وتُزاحم السّادة في المزايا، لا ترضى بالدّون، ولا تقنع في الأخير، ولا تقبل بالأقلّ. وبالتحلي بالهمّة، يُسلّب منك سفاسف الآمال

والأعمال. ويُجتثُّ منك شجرةُ الذُّل والهوان. والتملُّق. والمداهنة. فكبيرُ الهمّة ثابتُ الجأش. لا تُرهبه المواقف. وفاقدُها جبان رعديد. تُغلق فمه الشهاهةُ.

ولا تغلطْ فتخلط بين كِبَر الهمة والكِبْر. فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرّجع والأرض ذات الصّدع. فكبر الهمّة تاجٌ على مَفْرق القلب الحُرّ المثابر. يسعى به دائما وأبدا إلى الطُّهر والقداسة والزّيادة والفضل. فكبير الهمّة يتلمّظ على ما فاته من محاسن. ويتحسّر على ما فقده من مآثر. فهو في حنين مستمرّ. ونهم دؤوب للوصول إلى الغاية والنهاية.

كِبَر الهمّة حلْية ورثة الأنبياء. والكِبْر داءُ المرضى بعلّة الجبابرة البؤساء.

فكِبَر الهمّة تصعدُ بصاحبها أبدا إلى الرُّقيّ. والكِبْر يهبط به دائما إلى الحضيض. فيا طالب العلم. ارسم لنفسك كِبَر الهمّة. ولا تنفلت منها وقد أومأ الشرع إليها في فقهيّات تُلابس حياتك. لتكون دائما على يقظة من اغتنامها. ومنها: إباحة التّيمُّم للمكلّف عند فقد الماء. وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء. لما في ذلك من المنّة التي تُنالُ من الهمّة منالا. وعلى هذا فقِسْ.

همــمٌ كأن الشــمس تخطــبُ ودّها ... والبــدرُ يرســمُ في سناها أحرُفا

فالله الله في الاهتمام بالهمّة. وسَلْ سيفها في غمرات الحياة:

هو الجدُّ حتى تفضُل العينُ أختها ... وحــتى يكــون اليــومُ لليوم سيّدا

قراءة العقول

مما يشرح الخاطر ويُسُرُّ النَّفْس، القراءةُ والتأمُّلُ في عقول الأذكياء وأهل الفطنة. فإنها مشمةٌ يسلو بها المُطالع لتلك الإشراقات البديعة من أولئك الفطناء، وسيّد العارفين وخيرة العالمين، رسولُنا ﷺ، ولا يُقاس عليه بقيّة الناس، لأنه مؤيّدٌ بالوحي، مصدّقٌ بالمعجزات، مبعوث بالآيات البيّنات، وهذا فوق ذكاء الأذكياء ولُوع الأدباء.

﴿وإذا مرضتُ فهو يشفين﴾

قال أبقراط: «الإقلال من الضارّ خيرٌ من الإكثار من النافع». وقال: «استديموا الصحة بترك التكاسُل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب».

وقال بعض الحكماء: «من أراد الصحة: فليُجوِّد الغذاء، وليأكُل على نقاء، وليشرب على ظمأ، وليُقلّل من شُرب الماء، وينمْ بعد الغذاء، ويتمشَّ بعد العشاء، ولا ينَمْ حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليَحْذَر دخول الحمّام عَقِيب الامتلاء، ومرّةٌ في الصيف خيرٌ من عشر في الشتاء».

وقال الحارث: «من سرّه البقاء، ولا بقاء، فليُباكر الغَداء، وليُعجّل العشاء، وليُخفّف الرِّداء، وليُقلّ غِشيان النساء».

وقال أفلاطون: «خمسٌ يُذبِّن البدن، وربما قتلن: قِصَر ذات اليد، وفراق الأحبّة، وتجرُّع المغايظ، وردُّ النُّصح، وضحك ذوي الجهل بالعقلاء».

ومن جوامع كلمات أبقراط قوله: «كلُّ كثير، فهو مُعادٍ للطبيعة».

وقيل لجالينوس: ما لك لا تمرض؟ فقال: «لأني لم أجمع بين طعامين رديئين، ولم أدخل طعاما على طعام، ولم أحبس في المعدة طعاماً تأذيتُ منه».

وأربعة أشياء تُمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماعُ الكثير. فالكلام الكثير: يقلّل مُخَّ الدماغ ويُضعفه، ويعجّل الشَّيب، والنوم الكثير: يصفّر الوجه، ويُعمي القلب، ويُهيّج العين، ويُكسِل عن العمل، ويولّد الغليظةَ، والادواءَ العَسِرة، والجماع الكثير: يَهُدّ البدن، ويُضعف القُوى، ويُجفّف رُطوبات البدن، ويُرخي العَصَب، ويُورث السُّدد، ويعمّ ضررُه جميعَ البدن، ونخصُّ الدماغ لكثرة ما يتحلّل منه من الرُّوح النَّفساني، وإضعافُه أكثر من إضعاف جميع المستفرغات، ويستفرغ من جوهر الرُّوح شيئا كثيراً.

أربعةٌ تهدم البَدَن: الهمُّ، والحزنُ، والجوعُ، والسَّهرُ.

وأربعة تُفرح: النَّظر إلى الخُضرة، وإلى الماء الجاري، والمحبوب، والثمار.

نظرنا إلى تلك الوجوه عشيةً فأشرقت الأرواحُ من حُسْن ما نرى

وأربعة تُظلم البصر: المشْي حافياً، والتَّصبُّح والإمساء بوجه البغيض والثقيل والعدو، وكثرة البُكاء، وكثرة النَّظر في الخطّ الدَّقيق.

وأربعةٌ تقوّي الجسم: لُبْسُ الناعم، ودخولُ الحمّام المعتدل، وأكلُ الطعام الحلو والدّسم، وشمُّ الروائح الطيّبة.

وأربعةٌ تُبيّض الوجه، وتُذهب ماءَه وبهجتَه وطلاقتَه: الكذب، والوقاحة، وكثرة السؤال عن غير علم، وكثرة الفجور.

وأربعةٌ تزيد في ماء الوجه وبهجته: المروءة، والوفاء، والكرم، والتقوى.

وأربعةٌ تجلبُ البغضاء والمقت: الكِبْرُ، والحسد، والكذب، والنّميمة.

وأربعةٌ تجلب الرزق: قيامُ الليل، وكثرةُ الاستغفار بالأسحار، وتعاهدُ الصدقة، والذكر أولَ النهار وآخره.

قلتُ لليل هل بصدرك سرٌ ... يا خفي الأخبار والأسرار

قال لم ألْقَ في حياتي سرًا ... كحديث الأحباب في الأسحار

وأربعةٌ تمنع الرزق: نومُ الصُّبْحة، وقلّة الصلاة، والكسلُ، والخيانة.

وأربعةٌ تُضِرُّ بالفهم والذهن: إدمانُ أكلِ الحامض والفواكه، والنوم على القذاء، والهمُّ، والغمُّ.

وأربعةٌ تزيد في الفهم: فراغُ القلب، وقلّةُ التملّي من الطعام والشراب، وحُسْنُ تدبير الغذاء بالأشياء الحلوة والدّسمة، وإخراجُ الفضلات المتحلّلة للبدن.

خُذُوا حِذْرَكم

فالحازم يتوقّف حتى يرى ويبصر، ويترقّب، ويتأمّل، ويُعيد النظر، ويقرأ العواقب، ويقدّر الحملوات، ويُبرم الرأي، ويحتاط ويَحْذَر، لئلاّ يندم، فإن وقعَ الأمرُ على ما أراد، حمد الله، وشكرَ رأيه، وإن كانت الأخرى، قال: قدّر الله، وما شاء فَعَلَ، ورضيَ ولم يحزن.

فتبيَّنُوا

فالعاقل ثابتُ القدم، سديدُ الرّأي، إذا هجمتْ عليه الاخبار، وأشكلت المسائلُ، فلا يأخُذ بالبوادر، ولا يتعجّل الحُكم، وإنما يُمحّص ما يسمع، ويقلّب النظر، ويُحادث الفكر، ويُشاور العقلاء، فإن الرّأي الخمير، خيرٌ من الرأي النضير، وقالوا: لأن تُخطئ في العفو، خيرٌ من أن تخطئ في العقوبة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

اعزم وأقْدم

إن كل ما اكتبُه هنا من آيات وأبيات، وآثار وعِبَر، وقَصَص وحِكَم، تدعوك بأن تبدأ حياة جديدة، ملؤها الرجاء في حُسْنِ العاقبة، وجميلِ الختام، وأفضل النتائج، ولا تستطيع أن تستفيد إلا بهمّة صادقة، وعزم حثيث، ورغبة أكيدة في أن تتخلّص من همومك وغمومك وأحزانك وكآبتك، قيل لأحد العلماء: كيف يثوب العبد؟ قال: لابُدّ له من سموّ عزم، ولذلك

ميّز الله أولي العزم بالهمم « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل ». وآدم ليس من أولي العزم. لأنه « فنسي ولم نجد له عزما ». وكذلك أبناؤه. فهي شنشنةٌ نعرفُها من أخزم. ومن يُشابه أباه فما ظلم. لكن لا نقتدي به في الذنب. ونُخالفه في التوبة. والله المستعان.

ليست حياتنا الدنيا فحسب

سعادة الآخرة مرهونة بسعادة الدنيا. وحقٌ على العاقل أن يعلم أن هذه الحياة متّصلة بتلك. وأنها حياة واحدة. الغيب والشهادة. والدنيا والآخرة. واليوم وغداً. وظنّ بعضُهم أن حياته هنا فحسب. فجمعَ فأوعى. وتشبّث بالبقاء. وتعلّق بحياة الثناء. ثم مات ومآربه وطموحاته ومشاغله في صدره.

تـــروحُ ونغـــدو لحـــاجـاتنـــا ... وحاجـــةُ من عـــاش لا تنقضي

تمـــوت مـــع المـــرء حاجاتُـــه ... وتبقـــى لـــه حاجـــةٌ ما بقـــي

أشـــاب الصـــغير وأفنـــى الكبيـــ ... ـر كرُّ الغـــــداة ومـــرُّ العشـــي

إذا ليلـــــةٌ أهـــــرمتْ يومهـــا ... أتـــى بعـــد ذلك يـــــومٌ فتـــي

وعجبتُ لنفسي والناس من حولي: آمالٌ بعيدة. وأحلامٌ مديدة. وطموحاتٌ عارمة. ونوايا في البقاء. وتطلّعات مُذهلة. ثم يذهب الواحد منّا ولا يُشاوَر أو يُخبَر أو يُخيَّر « وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدا وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت ».

وأنا أعرض عليك ثلاث حقائق:

الأولى: متى تظنُّ أنك سوف تهدأ وترتاح وتطمئنّ. إذا لم ترضَ عن ربّك وعن أحكامه وأفعاله وقضائه وقدره. ولم ترضَ عن رزقك ومواهبك وما عندك!

الثانية: هل شكرتَ على ما عندك. من النّعم والأيادي والخيرات حتى تطلب غيرها. وتسأل سواها؟! إن مَنْ عجز عن القليل، أولى أن يعجزَ عن الكثير.

الثالثة: لماذا لا نستفيد من مواهب الله التي وهبَنا وأعطانا. فننمّيها. وننمّيها. ونوظّفها توظيفاً حسناً. وننقيها من المثالب والشّوائب. وننطلق بها في هذه الحياة نفعاً وعطاء وتأثيراً.

إن الصّفات الحميدة والمواهبَ الجليلة، كامنةٌ في عقولنا وأجسامنا. ولكنّها عند الكثير منّا كالمعادن الثمينة في التّراب. مدفونة مغمورة مطمورة. لم تجدْ حاذقاً يُخرجها من الطّين. فيغسلها وينقّيها. لتلمع وتشعَّ وتُعرفَ مكانتُها.

التّواري من البطش حلٌّ مؤقّت ريثما يبرُق الفرج

قرأت كتاب المتواريين لعبد الغني الأزدي. وهو لطيفٌ جذّاب. يتحدّث فيه عمّن توارى خوفا من الحجاج بن يوسف. فعلمتُ أن في الحياة فسحةً. وفي الشّرّ خياراً. وعن المكروه مندوحةً أحياناً.

وذكرت بيتين للأبيوردي عن توارية، يقول:

تستترتْ من دهري بظلِّ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عنّي ما درتْ وأين مكاني ما عرفت مكاني

هذا القارئ الأديب اللامع الفصيح الصّادق، أبو عمرو بن العلاء، يقول عن مُعاناته في حالة الاختباء: «خافني الحجّاج فهربتُ إلى اليمن. فولجتُ في بيت بصنعاء، فكنتُ أظهر بالليل على سطحه، وأكمُنُ بالنهار فيه، قال: فإنّي لفي غدوة من الغدوات على سطح ذلك البيت، إذ سمعتُ رجلاً يُنشد:

ربّما تجزع النّفوسُ من الأمـ ـر لـه فُرْجةٌ كحلّ العقال

قال: فقلتُ: فُرْجة، قال: فسُرِرتُ بها، قال: وقال آخر: مات الحجّاج، قال: فوالله ما أدري بأيّهما كنتُ أُسَرُّ، بقوله: فُرْجة، أو بقوله: مات الحجّاج».

إن القرار الوحيد النافذ، عند مَن بيده ملكوت السماوات والأرض «كلّ يوم هو في شأن».

توارى الحسنُ البصريُّ عن عين الحجّاج، فجاءه الخبر بموته، فسجد شكراً لله.

سبحان الله الذي مايز بين خلقه، بعضُهم يموت، فيُسجد للشُّكر فرحاً وسروراً «فما بكت عليهم السّماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظرين». وآخرون يموتون، فتتحوّل البيوت إلى مآتم، وتقرح الأجفان، وتُقطّع بموتهم القلوب في سويدائها.

وتوارى إبراهيمُ النَّخعيُّ من الحجّاج، فجاءه الخبر بموته. فبكى إبراهيم فرحاً.

طفح السرورُ عليّ حتى إنني ... من عظم ما قد سرّني أبكاني

إن هناك ملاذات آمنة للخائفين في كنف أرحم الراحمين، فهو يرى ويسمع ويُبصر الظالمين والمظلومين، والغائبين والمغلوبين ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ﴾.

ذكرت بهذا طائراً يسمّى الحُمّرة، جاءت تُرفرف على رأس رسول الله ﷺ، وهو جالسٌ مع أصحابه تحت شجرة، كأنها بلسان الحال تشكو رجلاً أخذ أفراخها من عشّها. فقال ﷺ: من فجع هذه بأفراخها؟ ردّوا عليها أفراخها.

وفي مثل هذا يقول أحدهم:

جاءتْ إليك حمامةٌ مُشتاقةٌ ... تشكو إليك بقلب صبٍّ واجف

مَنْ أخبر الورقاء أنّ مكانكم ... حرمٌ وأنك ملجأٌ للخائف

وقال سعيد بن جبير: والله لقد فررتُ من الحجّاج، حتى استحييتُ من الله عز وجل. ثم جيء به إلى الحجّاج، فلمّا سُلّ السيفُ على رأسه، تبسّم. قال الحجاج: لم تبتسم؟ قال: أعجبُ من جُرأتك على الله، ومن حِلْم الله عليك. يا لها من نَفْس كبيرة، ومن ثقةٍ في وعد الله، وسكون إلى حُسن المصير، وطيب المُنقلَب، وهكذا فليكُنِ الإيمان.

أنت تتعامل مع أرحم الراحمين

إن لفت نظرك هذا الحديث، فقد لفتَ نظري أيضا، وهو ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، أن شيخاً كبيراً أتى النبي ﷺ وهو مُدْعِم على عصا، فقال: يا نبيَّ الله، إن لي غدرات وفجرات، فهل يُغفر لي؟ فقال النبي ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فإن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك». فانطلق وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر.

أفهمُ من الحديث مسائل: منها سعة رحمة أرحم الراحمين، وأن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجبُّ ما قبلها، وأن جبال الذنوب في غفران علاّم الغيوب لا شيء، وأنه يجب عليك حُسْن الظَّنّ بمولاك، والرجاء في كرمه العميم، ورحمته الواسعة.

براهين تدعوك للتفاؤل

في كتاب «حُسْن الظَّنّ بالله» لابن أبي الدنيا، واحدٌ وخمسون ومائة نصٍّ، ما بين آية وحديث، كلُّها تدعوك إلى التفاؤل، وترْك اليأس والقنوط، والمُثابَرَة على حُسْن الظَّنّ وحُسن العمل، حتى إنك لتجد نصوص الوعد أعظمَ من نصوص الوعيد، وأدلّة الرحمة أكثرَ من أدلّة التهديد، وقد جعل الله لكلّ شيء قدْراً.

حياةٌ كلُّها تعب

لا تحزن من كَدَر الحياة. فإنها هكذا خُلقت.

إن الأصل في هذه الحياة المتاعب والضنك. والسرورُ فيها أمرٌ طارئ. والفرح فيها شيءٌ نادر. تحلو لهذه الدار والله لم يرضها لأوليائه مستقرًا؟!

ولولا أن الدنيا دار ابتلاء، لم تكن فيها الأمراض والأكدار. ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار. فآدمُ يُعاني المِحَن إلى أن خرج من الدنيا. ونوحٌ كذَّبه قومُه واستهزؤوا به. وإبراهيم يُكابد النار وذبح الولد. ويعقوب بكى حتى ذهب بصرُه. وموسى يُقاسي ظُلم فرعون. ويلقى من قومه المِحَن. وعيسى ابن مريم عاش معدماً فقيراً. ومحمدٌ ﷺ يُصابر الفقر. وقُتل عمُّه حمزة. وهو من أحبِّ أقاربه إليه. ونفور قومه منه. وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره. ولو خُلقت الدنيا للذَّة، لم يكن للمؤمن حظٌّ منها. وقال النبي ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمن. وجنة الكافر». وفي الدنيا سُجن الصدِّيقون. وابتُلي العلماء العاملون. ونُغِّص على كبار الأولياء. وكدِّرت مشاربُ الصادقين.

وقفـــة

عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيَّته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: **.من جعل الهموم هماً واحداً، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك.**

قال الكاتب المعروف بـ «البيغاء»:

تنكبْ مذاهبَ الهمـــــج ... وعُدْ بالصبر تبتهج

فإن مُظلمَ الأيـــا ... م محجوجٌ بلا حجج

تُسامحنا بلا شكر ... وتمنعنا بلا حرج

ولطفُ اللهِ في إتيا ... نه فتحٌ من اللجج

فمنْ ضيقٍ إلى سعةٍ ... ومنْ غمٍّ إلى فرج

الوَسَطِيَّة نجاةٌ من الهلاك

تمامُ السعادة مبنيٌّ على ثلاثة أشياء:

١. اعتدال الغضب.

٢. اعتدال الشهوة.

٣. اعتدال العلم.

فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً، لئلاَّ تزيد قوةُ الشهوة، فتُخرجه إلى الرُّخص فيهلك، أو تزيد قوةُ الغضب، فيخرُج إلى الجموح فيهلك. **.وخير الأمور أوسطها.**

فإذا توسّطت القُوَى بإشارة قوّة العِلم، دلّ على طريق الهداية. وكذلك الغضب: إذا زاد، سهُل عليه الضرب والقتل. وإذا نقص، ذهبت الغيرة والحميّة في الدين والدنيا. وإذا توسّط، كان الصبر والشجاعة والحكمة. وكذا الشهوة: إذا زادت، كان الفسق والفجور. وإن نقصت، كان العجز والفتور. وإن توسّطت، كان العفة والقناعة وأمثال ذلك. وفي الحديث «عليكم هدياً قاصداً» [٢]، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً [٣].

المرء بصفاته الغالبة

من سعادتك أن تَغلِبَ صفاتُ الخير فيك صفاتِ الذّم، فيُساق إليك الثناء حتى على شيء ليس فيك. ولم يَقبَل الناسُ فيك ذمًّا ولو كان صحيحاً، لأن الماء إذا بلغ قُلّتين لم يحمل الخَبَث. إن الجبل لا يزيد فيه حجر ولا ينقصه حجر.

طالعتُ هجوماً مقذعاً في قيس بن عاصم حليم العرب، وفي البرامكة الكرماء، وفي قُتَيْبة بن مسلم القائد الشهير، ووجدت أن هذا الشتم والهجو، لم يُحفظ ولم يُنقل ولم يُصدّقه أحد، لأنه سقط في بحر المحاسن فغرق. ووجدت على الضدّ من ذلك مدّحاً وثناءً في الحجّاج، وفي أبي مسلم الخراساني، وفي الحاكم بأمر الله العُبَيْدي، ولكنّه لم يُحفظ ولم يُنقل ولم يُصدّقه أحد، لأنه ضاع في ركام زيفهم وظلمهم وتهوّرهم. فسبحان العادل بين خلقه.

هكذا خُلقت

في الحديث: **كلٌ ميسر لما خلق له**.. فلماذا تُعتسف المواهب ويُلوى عنق الصفات والقُدرات ليّاً؟! إن الله إذا أراد شيئاً هيّأ أسبابه. وما هناك أتعس نفساً وأنكد خاطراً من الذي يريد أن يكون غير نفسه. والذكي الأريب هو الذي يدرس نفسه، ويسدُّ الفراغ الذي وُضع له. إن كان في السّاقة كان في السّاقة. وإن كان في الحراسة كان في الحراسة. هذا سيبويه شيخ النّحو. تعلّم الحديث فأعياه. وثبلّد حسّه فيه. فتعلّم النحو. فمهَرَ فيه وأتى بالعُجب العُجاب. يقول أحد الحكماء: الذي يريد عملاً ليس من شأنه. كالذي يزرع النّخل في غوطة دمشق، ويزرع الأُتْرُجّ في الحجاز.

حسان بن ثابت لا يُجيد الأذان. لأنه ليس بلالاً. وخالد بن الوليد لا يقسم المواريث. لأنه ليس زيد بن ثابت. وعلماء التربية يقولون: حدّد موقعك.

وللمعـــارك أبطـــالٌ لها خُلقـوا ... وللـــدواوين حُسّـــابٌ وكُتّـــابُ

لا بُدَّ للذكاء من زكاء

سمعت إذاعة لندن تُخبر عن محاولة اغتيال الكاتب نجيب محفوظ، الحائز على جائزة نوبل في الأدب. وعدتُ بذاكرتي إلى كتب له كنت قرأتُها من قبل. وعجبتُ لهذا الذكيّ، كيف فاتَهُ أن الحقيقة أعظمُ من الخيال. وأن الخلودَ أجلُّ من الفناء. وأن المبدأ الرّبّاني السّماويّ أسمَى من المبدأ البشري

﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يُهدى ﴾. بمعنى أنه كتب مسرحيات من نسج خياله، مستخدماً قدراته القوية في التصوير والعرض والإثارة، والنهاية أنها أخبار لا صحة لها.

لقد استفدتُ من قراءة حياته مسألةً كبرى، وهي أن السعادة ليست إسعادَ الآخرين على حساب سعادتك وراحتك، فليس بصحيح أن يُسَرَّ بك الناس وأنت في همٍّ وغمٍّ وحزنٍ. إن بعض الكُتَّاب يمدح بعضَ المبدعين، ويصفه بأنه يحترق ليُضيءَ للناس، والمنهج السَّوِيُّ الثابت هو الذي يجعل المبدعَ يُضيء في نفسه ويضيء للناس، ويعمر نفسه بالخير والهدى والرُّشد، ليعمرَ قلوبَ الناس بذلك.

إنني لم أجد الآخرةَ وعالمَ الغيب في كتابات نجيب محفوظ، نعم وجدتُ خيالاً وتصويراً وإثارةً وجاذبيةً ودنيا وشهرةً، لكن أين الحقُّ والمقصدُ والرِّسالة والميثاق؟!

أنا أعلم أن نجيب محفوظ وصلَ إلى ما أراد: ﴿ كلاً نُمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاءُ ربك محظوراً ﴾. ولا يكفي الإنسان أن يصل إلى ما يريد هو، بل إلى ما يريد الله ﴿ يُريدُ اللهُ ليُبيِّن لكم ويهديكم سُنَنَ الذين من قبلكم ويتوب عليكم واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴿٢٦﴾ واللهُ يُريدُ أن يتوب عليكم ويُريدُ الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾.

اللَّهمَّ إني لا أشهدُ لأحدٍ بجنَّةٍ أو نارٍ إلا مَنْ شهدَ له الشارعُ أو قامت بذلك البيِّناتُ الشرعيَّة، ولكنِّي أنظُر إلى الأقوال والأعمال والآثار:

﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾. وليت الجميع يهتدون ويدخلون في جنة الله التي عرضها السماوات والأرض.

وبعد هذا، فماذا ينفع الإنسان لو حاز على مُلك كسرى وقلبُه بالباطل مكسور. وحصلَ على سلطان قيصر وأملُه عن الخير مقصور؟! إن الموهبة إذا لم تكن سبباً في النجاة، فما نفعُها وما ثمرتها؟!

كُن جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً

إن من تمام سعادتنا أن نتمتّع بمباهج الحياة في حدود منطق الشرع المقدّس. فالله أنبتَ حدائقَ ذات بهجة، لأنه جميل يحب الجمال. ولنقرأ آيات الوحدانية في هذا الصُّنع البهيج ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾.

فالرائحة الزكية والمُطعم الشهيُّ والمنظر البهيُّ، تزيد الصدر انشراحاً والرُّوح فرحاً ﴿ كُلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾. وفي الحديث: «حُبِّب إليَّ من دنياكم: الطِّيب، والنساء، وجُعِلتَ قُرَّةُ عيني في الصلاة».

إن الزهد القاتم والورع المُظلم، الذي دلف علينا من مناهج أرضيّة، قد شوّه مباهجَ الحياة عند كثير منّا. فعاشوا حياتهم همّاً وغمّاً وجوعاً وسهراً وتبتُّلا. يقول رسولنا ﷺ: «لكنّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنّتي فليس مني».

وإن تعجب، فعجبٌ ما فعلهُ بعضُ المطوّفين بأنفسهم! فهذا لا يأكل الرّطب، وذاك لا يضحك، وآخر لا يشربُ الماء البارد، وكأنهم ما علموا أن هذا تعذيبٌ للنفس وتنسّكٌ لإشراقها ﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق ﴾.

إن رسولنا ﷺ أكلَ العسلَ وهو أزهدُ الناس في الدنيا، والله خلق العسل ليُؤكل: ﴿ يخرجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانهُ فيه شفاءٌ للناس ﴾. وتزوّج الثّيّبات والأبكار: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾. وليس أجملُ الثياب في مناسبات الأعياد وغيرها: ﴿ خذوا زينتكم عند كلّ مسجد ﴾. فهو ﷺ يجمع بين حقّ الرّوح وحقّ الجسد، وسعادة الدنيا والآخرة. لأنه بُعث بدين الفطرة التي فطرَ الله الناس عليها.

أبشر بالفرج القريب

يقول بعض مؤلّفي عصرنا: إن الشدائد ـ مهما تعاظمتْ وامتدّتْ ـ لا تدوم على أصحابها، ولا تخلُد على مصابها. بل إنها أقوى ما تكون اشتداداً وامتداداً واسوداداً، أقربُ ما تكون انقشاعاً وانفراجاً وانبلاجاً. عن يُسر وملاءة، وفرج وهناءة. وحياة رخيّة مشرقة وضّاءة. فيأتي العون من الله والإحسان عند ذروة الشّدّة والامتحان. وهكذا نهايةُ كلّ ليلٍ غاسق، فجرٌ صادق.

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... ويحمدُ غبَّ السّيرِ من هو سائرُ

أنت أرفع من الأحقاد

أسعدُ الناس حالاً وأشرحهم صدراً، هو الذي يريد الآخرة، فلا يحسُد الناس على ما آتاهم الله من فضْله، وإنما عنده رسالةٌ من الخير ومُثُلٌ سامية من البر والإحسان، يريد إيصالَ نفْعه إلى الناس، فإن لم يستطعْ، كفَّ عنهم أذاه. وانظر إلى ابن عباس بحر العلم وترجمان القرآن، كيف استطاع بخُلُقه الجمّ وسخاوة نفسه وسَعَة مسارات الشرعيّة، أن يحوّل أعداءه من بني أميّة وبني مروان ومَنْ شايعهم إلى أصدقاء، فانتفعَ الناسُ بعلْمه وفهْمه، فملأ المجامع فقهاً وذكْراً وتفسيراً وخيراً. لقد نسي ابن عباس آيام الجمل وصفّين، وما قبلها وما بعدها، وانطلقَ يبني ويُصلح، ويرتُق الفتْق، ويمسحُ الجراح، فأحبَّهُ الجميع، وأصبح - بحقّ - حَبْر الأمة المحمدية، وهذا ابن الزبير - رضي الله عنه - وهو مَنْ هو في كرم أصله وشهامته وعبادته وسموّ قدره، فضّل المُواجَهة مجتهداً في ذلك، فكان من النتائج أن شُغل عن الرّواية، وخسر جمعاً كثيراً من المسلمين، ثم حصلت الواقعة، فضُربت الكعبة لأجل مُجاوزته في الحرم، وذُبح كثيرٌ من الناس، وقُتل هو ثم صُلب ﴿ وكان أمرُ الله قدرا مقدورا ﴾، وليس هذا تنقّصاً للقوم، ولا تطاوُلاً على مكانتهم، وإنما هي دراسةٌ تاريخيّة تجمع العبر والعظات. إن الرّفق واللّين والصّفح والعفْو، صفاتٌ لا يجمعها إلا القلّة القليلة من البشر، لأنها تُكلّف الإنسان هضْمَ نفْسه، وكبْحَ طُموحه، وإلجامَ اندفاعه وتطلّعه.

وقفـــة

قوله ﷺ: **تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدّة**. يعني أن العبد إذا اتّقى الله وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرّف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربّه معرفة خاصّة. فعرفه ربّه في الشدّة، ورعى له تعرّفه إليه في الرخاء، فنجّاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصّة، تقتضي قُرب العبد من ربّه ومحبّته له وإجابته لدعائه..

«الصبر إذا قام به العبد كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقّه منحة، واستحالت البليّة عطيّة. وصار المكروه محبوباً. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليُهلكه. وإنّما ابتلاه ليمتحن صبرَه وعبوديّته. فإن لله تعالى على العبد عبوديّة في الضرّاء، كما له عبوديّة في السرّاء. وله عبوديّة عليه فيما يكره، كما له عبوديّة فيما يُحبّ. وأكثر الخلق يُعطون العبوديّة فيما يحبّونه. والشأن في اعطاء العبوديّة في المكاره. ففيه تفاوت مراتب العباد. وبحَسَبه كانت منازلهم عند الله تعالى.

العلم مفتاح اليُسر

العلم واليُسر قرينان وأخوان شقيقان. ولك أن تنظر في بحور الشريعة من العلماء الراسخين. ما أيسرَ حياتهم، وما أسهلَ التعامُلَ معهم! إنهم فهموا المقصد، ووقعوا على المطلوب، وغاصوا في الأعماق. بينما تجد من أعسر الناس، وأصعبهم مراساً، وأشقّهم طريقةَ الزُّهّادُ الذين قلّ نصيبهم

من العلم، لانهم سمعوا جُمَلاً ما فهموها، ومسائلَ ما عرفوها. وما كانت مصيبة الخوارج إلاّ من قلّة علمهم وضحالة فهمهم؛ لأنهم لم يقعوا على الحقائق. ولم يهتدوا إلى المقاصد، فحافظوا على القشر. وضيّعوا المطالب العالية. ووقعوا في أمرٍ مَريج.

ما هكذا تُورد الإبل

طالعتُ كتابين شهيرين، لا أرى إلاّ أن فيهما سطوة عارمة على السعادة واليُسر اللذَين أتى بهما الشارع الحكيم.

فكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، دعوةٌ صارخة للتجويع والعُري (والبهذلة)، والآصار والأغلال التي أتى رسولُنا ﷺ لوَضْعِها عن العالمين. فهو يجمع من الأحاديث، المتردّية والنّطيحة وما أكلَ السَّبُع، وغالبها ضعيفةٌ أو موضوعةٌ. ثم يبني عليها أصُولاً يظنُّها من أعظم ما يُوصِّل العبد إلى ربّه.

وقارنت بين إحياء علوم الدين وبين الصحيحين للبخاري ومسلم، فبانَ البونُ وظَهَرَ الفرق. فذاك عَنَتٌ ومشقّة وتكلّف، وهذه يُسر وسماحة وسهولة. فتذكرتُ قول الباري: ﴿ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾.

والكتاب الثاني: «قُوت القلوب» لأبي طالب المكّي، وهو طلبٌ مُلِحٌّ منه لتَرْك الحياة الدنيا والانزواء عنها، وتعطيل السَّعْي والكسْب، وهجْر الطيّبات، والتّسابُق في طُرق الضنْك والضنى والشدّة.

والمؤلفان: أبو حامد الغزالي. وأبو طالب المكي. أرادا الخير. لكن كانت بضاعتهما في السنة والحديث مُزجاةً. فمن هنا وقعَ الخلل. ولا بُدَّ للدليل أن يكون ماهراً في الطريق. خبيراً في معرفة المسالك ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾.

أشرحُ الناس صدراً

السنّة البارزة في مُعلّم الخير ﷺ: انشراح الصدر والرضا والتفاؤل. فهو مبشّرٌ. ينهى عن المشقّة والتنفير. ولا يعرف اليأس والإحباط. فالبسمة على مُحيّاه. والرضا في خُلُقه. واليُسر في شريعته. والوسطيّة في سُنّته. والسعادة في ملّته. إن جُلَّ مهمّته أن يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

رويداً.. رويداً

إن من إضفاء السعادة على المخاطَبين بكلمة الوعي. التدرُّج في المسائل. الأهمُّ فالمهمّ. يصدّق هذا وصيته ﷺ لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ لمّا أرسله إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**.....» الحديث. إذن في المسألة أول وثانٍ وثالث. فلماذا نُقحم المسائل على المسائل إقحاماً. ولماذا نطرحها جملةً واحدةً؟! ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾.

إن من سعادة المسلمين بإسلامهم أن يشعروا بالارتياح من تعاليمه. وباليُسر في تلقّي أوامره ونواهيه: لأنه أتى أصلاً لإنقاذهم من الاضطراب النفسي والتّشرُّد الذّهني والتّفتُّت الاجتماعي.

«التكليف لم يأتِ في الشرع إلا منفيًا «لا يُكلف الله نفسا إلا وُسعها». لأن التكليف مشقّة، والدين لم يأتِ بالمشقّة، وإنما أتى لإزالتها».

إن الصحابي كان يطلب من الرسول ﷺ وصيتَهُ، فيخبره بحديث مختصَر يحفظه الحاضر والبادي. فإذا الواقعية ومراعاة الحال واليُسر هي السمة البارزة في تلك النصائح الغالية.

إننا نخطئ يوم نسرُد على المستمعين كلّ ما في جعبتنا من وصايا ونصائح، وتعاليمَ وسُنَن وآداب، في مقام واحد «وقرآنا فرقناهُ لتقرأهُ على النّاس على مُكث ونزلناهُ تنزيلا».

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشتملٌ ما هكذا يا سعدُ تُوردُ الإبلُ

كيف تشكُر على الكثير
وقد قصّرتَ في شُكْر القليل

إن مَنْ لا يحمَد الله على الماء البارد العذب الزّلال، لا يحمده على القصور الفخمة، والمراكب الفارهة، والبساتين الفيْحاء.

وإن مَن لا يشكُر الله على الخبز الدافئ، لا يشكره على الموائد الشّهيّة والوجبات اللّذيذة، لأن الكَنود الجَحُود يرى القليلَ والكثيرَ سواءً. وكثيرٌ من

هؤلاء أعطى ربُّه المواثيق الصارمة، على أنه متى أنعم عليه وحباه وأغدق عليه، فسوف يشكر وينفق ويتصدق ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾.

ونحن نلاحظ كلَّ يوم من هذا الصنف بشراً كثيراً. كاسف البال مكدَّر الخاطر، خاوي الضمير، ناقما على ربِّه أنه ما أجزل له العطيَّة، ولا اتحفهُ برزق واسع، بينما هو يرفُل في صحَّة وعافية وكفاف. ولم يشكُر وهو في فراغ وفسحة، فكيف لو شُغل مثل هذا الجاحد بالكنوز والدُّور والقصور؟! إذن كان أكثرَ شُرُوداً من ربِّه، وعقوقاً لمولاه وسيِّده.

حنينٌ وتلك الدَّارُ نصب عيوننا فكيف إذا سرنا مع صحبنا شهرا؟

الحافي منَّا يقول: سوف أشكر ربِّي إذا مَنَحني حذاءً. وصاحب الحذاء يؤجِّل الشُّكر حتى يحصُل على سيَّارة فارهة، فالنِّعم تفقد. وتُعطي الشُّكر نسيئةً، رغباتنا على الله ملحَّة، وأوامر الله عندنا بطيئة الامتثال.

ثلاث لوحات

بعض الأذكياء علَّق على مكتبه ثلاث لوحات ثمينة:

مكتوبٌ على الأولى: **يومك يومك**. أي عِشْ في حدود اليوم.

وعلى الثانية: **فكِّر واشكر**. أي فكِّر في نِعَم الله عليك، واشكُره عليها.

وعلى الثالثة: **لا تغضب**.

إنها ثلاث وصايا تدلُّك على السعادة من أقرب الطرق، ومن أيسَر السُّبُل. ولك أن تكتبها في مُفكِّرتك لتطالعها كلَّ يوم.

وقفة

- من لطائف أسرار اقتران الفَرَج بالكَرْب، واليُسر بالعُسر، أن الكرب إذا اشتدَّ وعظُم وتناهى، وحصَلَ للعبد اليأسُ من كشْفه من جهة المخلوقين تعلَّق قلبُه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التَّوكُّل على الله.

وأيضا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرجَ، وأيسَ منه بعد كثْرة دعائه وتضرُّعه، ولم يظْهَر عليه أثرُ الإجابة، فرجعَ إلى نفسه باللأْمة، وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبَلك، ولو كان فيك خيرٌ لأُجبْتُ. وهذا اللوم أحبُّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يُوجِب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهلٌ لما نزلَ من البلاء، وأنه ليس أهلاً لإجابة الدعاء، فلذلك تُسرع إليه حينئذ إجابةُ الدعاء وتفريجُ الكرب.

يقول إبراهيم بن أدهم الزاهد: «نحن في عيش لو علم به الملوك، لجالَدُونا عليه بالسيوف».

ويقول ابن تيمية شيخ الإسلام: «إنها لتمُرُّ بقلبي ساعاتٌ أقول: إن كان أهلُ الجنة في مثْل ما أنا فيه، فهم في عيشٍ طيِّب».

اطمئنُّوا أيُّها الناس

في كتاب «الفَرَج بعد الشدَّة» أكثر من ثلاثين كتاباً، كلُّها تُخبرنا أن في ذروة المُدلهِمات انفراجاً، وفي قمَّة الأزمات انبلاجاً، وأن أكثَر ما تكون مكبوتاً حزيناً غارقاً في النكْبة، أقرَب ما تكون إلى الفتْح والسُّهولة والخروج

من هذا الضنك. وساق لنا التنوخي في كتابه الطويل الشائق، أكثر من مائتي قصة لمن نُكبوا، او حُبسوا او عُزلوا، او شُرِّدوا وطُردوا، او عُذِّبوا وجُلدوا، او افتقروا وأملقوا. فما هي إلا أيام، فإذا طلائع الإمداد وكتائب الإسعاد وافتهم على حين يأس، وباشرتهم على حين غفلة، ساقها لهم السميع المجيب. إن التنوخي يقول للمصابين والمنكوبين: اطمئنوا، فلقد سبقكم قوم في هذا الطريق وتقدمكم أناسٌ:

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

وبمسا نُحسنُ الصنيع لبيـ ـاليه ولكنْ تكدّرُ الإحسانا

اذن فهذه سُنّة ماضية «ولنبلونكم بشيء» «ولقد فتنا الذين من قبلهم». إنها قضيّة عادلة أن يُمحّص الله عباده، وأن يتعبّدهم بالشدّة كما تعبّدهم بالرخاء، وأن يُغاير عليهم الأطوار كما غاير عليهم الليل والنهار. فلمَ إذن التسخّط والاعتراض والتذمّر «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلٌ منهم».

ولو قلتَ لي طأ في اللظى قلتُ مرحباً فجمرُ اللظى من أجل عينيك عسجدُ

صنائعُ المعروف تقي مصارع السُّوء

من أجمل الكلمات، قولُ أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ: صنائعُ المعروف تقي مصارع السوء. وهذا كلام يُصدّقه النقل والعقل: «فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون». وتقول خديجة

للرسول ﷺ: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر». فانظر كيف استدلت بمحاسن الأفعال على حُسن العواقب، وكرم البداية على جلالة النهاية.

وفي كتاب «الوزراء» للصابي، و«المنتظم» لابن الجوزي، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي قصة، مفادها: أن ابن الفرات الوزير، كان يتتبع أبا جعفر ابن بسطام بالأذية، ويتصيده بالمكاره، فلقي منه في ذلك شدائد كثيرة، وكانت أمّ أبي جعفر قد عوّدته، منذ كان طفلا، أن تجعل له في كل ليلة، تحت مخدّته التي ينام عليها رغيفا من الخبز، فإذا كان في غد، تصدّقت به عنه. فلمّا كان بعد مُدّة من أذية ابن الفرات له، دخل الى ابن الفرات في شيء احتاج إلى ذلك فيه، فقال له ابن الفرات: لك مع أمّك خبز في رغيف؟ قال: لا. فقال: لا بُدّ أن تصدّقني. فذكر أبو جعفر الحديث، فحدّثه به على سبيل التكذيب بذلك من افعال النساء. فقال ابن الفرات: لا تفعل، فإنّي بتُّ البارحة، وأنا أدبّر عليك تدبيرا لو تمّ لاستأصلتك، فنمتُ، فرأيتُ في منامي كأنّ بيدي سيفا مسلولاً، وقد قصدتُك لاقتلك به، فاعترضتني أمّك بيدها رغيف تترسّك به منّي، فما وصلتُ إليك، وانتبهتُ، فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما، وجعل ذلك طريقاً إلى استصلاحه، وبذل له من نفسه ما يريده من حُسن الطاعة، ولم يبرح حتى أرضاه، وصارا صديقين، وقال له ابن الفرات: والله، لا رأيتُ منّي بعدها سوءا أبدا.

استجمام يُعين على مُواصلة السَّير

من المعلوم أن في الشريعة سعةً وفسحةً، تُعين العبد على الاستمرار في عبادته وعطائه وعمله الصالح. فرسولنا ﷺ كان يضحك « وأنه هو أضحك وأبكى ». وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا. وسابقَ عائشة رضي الله عنها. وكان يتخوَّل الصحابة بالموعظة، كراهيةَ السَّآمة عليهم. وكان ينهى عن التَّعمُّق والتَّكلُّف والتشديد. ويُخبر أنه لن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبَهُ. وفي الحديث أن الدين متين، فأوغِلوا فيه برفق. وفي الحديث أيضا أن لكل عابد شِرَّة. وهي الشِّدَّة والضَّراوة والاندفاع. ولا يلبث المتكلِّف إلا أن ينقطع. لأنه نظر إلى الحالة الراهنة ونسيَ الطوارئ وطُول المُدَّة وملالة النَّفس. وإلاَّ فالعاقل له حدٌّ أدنى في العمل يُداوم عليه. فإن نشط زاد. وإن ضعف بقيَ على أصلِه. وهذا معنى الأثر من كلام بعض الصحابة: إن للنفوس إقبالاً وإدباراً. فاغتنموها عند إقبالها. وذَرُوها عند إدبارها.

وما رأيتُ نفراً زادوا في التكيل. وأكثَروا من النوافل. وحاولوا أن يُغالوا. فانقطعوا وعادوا أضعَف ممَّا كانوا قبل البداية.

والدِّين أصلا جاء للإسعاد « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ». وقد لام الله قوماً كلَّفوا أنفُسَهم فوق الطَّاقة. ثم انسحبوا من أرض الواقع تاركين ما ألزموا أنفسَهم به « ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاَّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ».

وميزة الإسلام على سائر الأديان أنه دينُ فطرة. وأنه وسَط. وأنه للرُّوح والجسم. والدنيا والآخرة. وأنه ميسر « ذلك الدينُ القيِّمُ ».

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: «**مؤمنٌ مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ثم رجلٌ معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه**». وفي رواية: «**ينقي الله ويدع الناس من شره**». وعن أبي سعيد قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**». رواه البخاري.

قال عمر: «خُذُوا حظَّكم من العُزلة». وما أحسنَ قولَ الجنيد: «مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة». وقال الخطَّابي: لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة، ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته، لكان ذلك خيراً كثيراً.

وفي هذا معنى ما أخرجه الحاكم، من حديث أبي ذرٍّ مرفوعاً، بلفظ: «**الوحدة خيرٌ من جليس السوء**». وسنده حسن.

وذكر الخطَّابيُّ في كتاب العزلة: أن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلَّقاتهما، فتُحمل الأدلَّة الواردة في الحضِّ على الاجتماع، على ما يتعلَّق بطاعة الأئمة وأمور الدين، وعكسها في عكسه. وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حقِّ معاشه ومحافظة دينه، فالأولى له الانكفافُ من مخالطة الناس، بشرط أن يُحافظ على الجماعة، والسَّلام والرَّدِّ، وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو تَرْك فضول الصُّحبة، لما في ذلك من شغل البال

وتضييع الوقت عن المُهِمَّات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقتصر منه على ما لابدَّ له منه، فهو أروح للبدن والقلب، والله أعلم.

وقال القُشَيريُّ في «الرسالة»: طريقُ مَن آثرَ العُزلة، أن يعتقد سلامة الناس من شرِّه، لا العكس. فإن الأول: يُنتجه استصغارُه نفسَه، وهي صفةُ المتواضع، والثاني: شهوده مزيةً له على غيره، وهذه صفة المتكبِّر.

والناس في مسألة العُزلة والمخالطة طرَفان ووسَط.

فالطرف الأوَّل: مَن اعتزل الناسَ حتى عن الجُمَع والجماعات والأعياد ومجامع الخير، وهؤلاء أخطؤوا.

والطرف الثاني: مَنْ خالطَ الناسَ حتى في مجالس اللَّهو واللَّغو، والقيل والقال وتضييع الزَّمان، وهؤلاء أخطؤوا.

والوسط: من خالط الناس في العبادات التي لا تقوم إلا باجتماع، وشاركَهم في ما فيه تعاونٌ على البرِّ والتقوى وأجرٌ ومثوبةٌ، واعتزلَ مناسبات الضدِّ والإعراض عن الله وفضول المباحات، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً.

وقفـــة

عن عُبادة بن الصامت. قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه بابٌ من أبواب الجنة، يُذهب الله به الغمّ والهمّ**».

وإنما تأثيرُ الجهاد في دفع الهمّ والغمّ، فأمرٌ معلومٌ بالوجدان، فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه، اشتدّ همها وغمُّها، وكربُها وخوفها. فإذا جاهدته لله، أبدل الله ذلك الهمّ والحُزْن فرحا ونشاطا وقوة. كما قال تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۞ ويذهب غيظ قلوبهم﴾. فلا شيء أذهبُ لجوى القلب وغمّه وحزنه من الجهاد. والله المستعان.

قال الشاعر:

وإني لأُغضي مقلتيَ على القذى	وألبسُ ثوب الصبر أبيض أبلجا
وإني لأدعـــو الله والأمرُ ضيقٌ	علـــيَّ فمـــا ينفـــكُّ أن يتفـــرجا
وكـــم من فتىً سُدّتْ عليه وجوهُهُ	أصـــاب لها في دعوة الله مخرجا

مسارحُ النَّظر في الملكوت

من طُرُق الارتياح وبسْطة الخاطر، التَّطلُّعُ إلى آثار القُدرة في بديع السماوات والأرض، فتستلذّ بالبهجة العامرة في خلْق الباري، جل في علاه، في الزهرة، في الشجرة، في الجدول، في الخميلة، في التل والجبل، في

الأرض والسماء، في الليل والنهار، في الشمس والقمر. فتجد المتعة والأنس، وتزداد إيماناً وتسليماً وانقياداً لهذا الخالق العظيم « فاعتبروا يا أولي الأبصار » .

يقول احد الفلاسفة ممن أسلموا: كنت إذا شككتُ في القدرة، نظرتُ إلى كتاب الكون، لأطالع فيه أحرُف الإعجاز والإبداع، فازداد إيمانا .

خطوات مدروسة

يقول الشوكاني: أوصاني بعض العلماء فقال: لا تنقطعْ عن التأليف ولو أن تكتُب في اليوم سطرين. قال: فأخذت بوصيته، فوجدتُ ثمرتها .

وهذا معنى الحديث: **خيرُ العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ** .

وقالوا: القطرة مع القطرة تجتمع سيلاً عظيماً .

أما ترى الحبل بطول المدى على صليب الصخر قد أثرا

وإنما يأتينا الاضطراب من أننا نريد ان نفعل كلَّ شيء مرّة واحدة، فنملّ ونتعب ونترك العمل، ولو أننا أخذنا عملنا شيئاً فشيئاً، وركّزنا على مراحل، لقطعنا المراحل في هدوء، واعتبرَ بالصلاة. فإن الشرع جعلها في خمسة أوقات متفرّقة، ليكون العبد في استجمام وراحة، ويأتي لها بالأشواق. ولو جُمعت في وقت، لملّ العبد. وفي الحديث: **إن المنبتّ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع** . ونجد بالتجربة، أن من يأخذ العمل على فترات،

يُنجز ما لم يُنجزه من أخذه دفعة واحدة، مع بقاء جذوة الرُّوح وتوقُّد العاطفة.

ومما استفدتُه عن بعض العلماء، أن الصلوات ترتّب الأوقات. أخذاً من قول الباري: ﴿إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾. فلو أن العبد وزّع أعماله الدينية والدُّنيوية بعد كلّ صلاة، لوجد سَعَةً في الوقت، وفسحةً في الزمن.

وأنا أضربُ لك مثلاً: فلو أن طالب العلم، جعل ما بعد الفجر للحفظ في أيّ فنّ شاء، وجعل بعد الظُّهر للقراءة السهلة في المجامع العامّة، وجعل بعد العصر للبحث العلميّ الدقيق. وما بعد المغرب للزّيارة والأُنس، وما بعد العشاء لقراءة الكُتُب العصريّة والبحوث والدوريّات والجلوس مع الأهل، لكان هذا حسناً. والعاقل له من بصيرته مَدَدٌ ونورٌ. ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾.

أرجوك بلا فوضوية

مما يُكدّر ويُشتّت الذّهن، الفوضويّةُ الفكريّةُ التي يعيشها بعض الناس. فهو لم يحدّد قُدراته، ولم يقتصد إلى ما يجمع شملَ فكره ونظره؛ لأن المعرفة شعوبٌ ودروب. ولا بُدّ من تحديد أيّتها ومعرفة مسالكها. ويُجمع رأيه على مشرب معروف، لأن التفرد مطلوبٌ.

وكذلك مما يشتت الذهن، ويُورث الغمّ، الديْنُ والتبعاتُ المالية والتكاليفُ المعيشيّة. وهناك أصولٌ في هذه المسألة أريد ذكرها:

أولها: ما نال من اقتصد، ومَنْ أحسَنَ الإنفاق، وحفظ مالَه إلاّ للحاجة، واجتنبَ التبذير والإسراف، وجدَ العون من الله «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين». «والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما».

الثاني: كسْبُ المال من الوجوه المُباحة، وهجْرُ كلّ كسب محرّم، فإن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّبا، والله لا يُبارك في المكسب الخبيث «ولو أعجبك كثرةُ الخبيث».

الثالث: السّعْي في طلب المال الحلال، وجمْعُه من حلّه، وتركُ الكسالة والبطالة، واجتناب إزجاء الأوقات في التفاهات. فهذا ابن عوف يقول: دُلّوني على السوق: «فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».

ثمنُك إيمانُك وخُلُقُك

مرّ هذا الرجل الفقير المعدم، وعليه أسمالٌ بالية وثيابٌ رثّة، جائع البطن، حافي القدم، مغمور النّسَب، لا جاه ولا مال ولا عشيرة، ليس له بيتٌ يأوي إليه، ولا أثاث ولا متاع، يشرب من الحياض العامّة بكفّيه مع الواردين، وينام في المسجد، مخدّتُه ذراعه، وفراشه البطحاء، لكنّه صاحب ذِكر لربّه وتلاوة لكتاب مولاه، لا يغيب عن الصفّ الأول في الصلاة والقتال. مرّ ذات

يوم برسول الله ﷺ فناداه باسمه وصاح به: **يا جليبيب ألا تتزوج؟** . قال: يا رسول الله، ومن يزوجني؟ ولا مال ولا جاه؟ ثم مر به أخرى، فقال له مثل قوله الأول، وأجاب بنفس الجواب، ومر ثالثة، فأعاد عليه السؤال وأعاد هو الجواب، فقال ﷺ: **يا جليبيب، انطلق إلى بيت فلان الأنصاري وقل له: رسول الله ﷺ يقرئك السلام، ويطلب منك أن تزوجني بنتك** .

وهذا الأنصاري من بيت شريف وأسرة موقرة، فانطلق جليبيب الى هذا الأنصاري وطرق عليه الباب وأخبره بما أمره به رسول الله ﷺ فقال الأنصاري: على رسول الله ﷺ السلام، وكيف أزوجك بنتي يا جليبيب ولا مال ولا جاه؟ وتسمع زوجته الخبر فتعجب وتتساءل: جليبيب! لا مال ولا جاه؟ فتسمع البنت المؤمنة كلام جليبيب ورسالة الرسول ﷺ فتقول لأبويها: أتردان طلب رسول الله ﷺ. لا والذي نفسي بيده،

وحصل الزواج المبارك والذرية المباركة والبيت العامر، المؤسس على تقوى من الله ورضوان، ونادى منادي الجهاد، وحضر جليبيب المعركة، وقتل بيده سبعة من الكفار، ثم قتل في سبيل الله، وتوسد الثرى راضياً عن ربه وعن رسوله ﷺ وعن مبدئه الذي مات من اجله، ويتفقد الرسول ﷺ القتلى، فيخبره الناس بأسمائهم، وينسون جليبيبا في غمرة الحديث، لأنه ليس لامعاً ولا مشهوراً، لكن الرسول ﷺ يذكر جليبيباً ولا ينساه، ويحفظ اسمه في الزحام ولا يغفله، ويقول: **لكنني أفقد جليبيبا** .

ويجدد وقد تدثر بالتراب، فينفض التراب عن وجهه ويقول له: **قتلت سبعة ثم قتلت؟ أنت مني وأنا منك، أنت مني وأنا منك، أنت مني وأنا منك**.. ويكفي هذا الوسام النبوي جليبيبا عطاءً ومكافأة وجائزة.

إن ثمن جليبيب، إيمانه وحبُّ رسول الله ﷺ له، ورسالته التي مات من أجلها، إن فقره وعدمه وضآلة أسرته لم تؤخره عن هذا الشرف العظيم والمكسب الضخم، لقد حاز الشهادة والرضا والقبول والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

إن قيمتك في معانيك الجليلة وصفاتك النبيلة.

إن سعادتك في معرفتك للأشياء واهتماماتك وسموك.

إن الفقر والعوز والخمول، ما كان - يوماً من الأيام - عائقاً في طريق التفوق والوصول والاستعلاء. هنيئاً لمن عرف ثمنه فعلاً بنفسه. وهنيئاً لمن أسعد نفسه بتوجيهه وجهاده ونُبله. وهنيئاً لمن أحسن مرتين، وسعد في الحياتين، وأفلح في الكرتين، الدنيا والآخرة.

يا سعادة هؤلاء

أبو بكر - رضي الله عنه -: بآية: ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾.

عمر - رضي الله عنه -: بحديث: «رأيت قصراً أبيض في الجنة، قلت: لمن هذا القصر؟ قيل لي: لعمر بن الخطاب».

وعثمان - رضي الله عنه -: بدعاء: «اللهم اغفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وعلي ـ رضي الله عنه ـ: رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله..

وسعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ: اهتز له عرش الرحمن.

وعبدالله بن عمرو الانصاري ـ رضي الله عنه ـ: كلمه الله كفاحاً بلا ترجمان.

وحنظلة ـ رضي الله عنه ـ: غسلته ملائكة الرحمن.

ويا شقاوة هؤلاء

فرعون: «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا».

وقارون: «فخسفنا به وبداره الأرض».

والوليد بن المغيرة: «سأرهقه صعودا».

وأمية بن خلف: «ويل لكل همزة لمزة».

وأبولهب: «تبت يدا أبي لهب وتب».

والعاص بن وائل: «كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا».

وقفة

.قلة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة

الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم، وضنك المعيشة، وكسف البال... تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضدادُ هذه تتولد عن الطاعة..

أما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق، فمما اشترك في العلم به أهلُ الملل وعقلاءُ كل أمة. إن المعاصي والفساد تُوجب الهمَّ والغمَّ، والخوف والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارها، وسئمتها نفوسُهم، ارتكبوها دفعاً لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم، كما قال شيخ الفسوق:

وكأس شربتُ على لذة ... وأخرى تداويتُ منها بها

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب، فلا دواءَ لها إلا التوبة والاستغفار..

رفقًا بالقوارير

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾. ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾.

وفي الحديث: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم..

وفي حديث آخر: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي..

البيت السعيد هو العامر بالألفة، القائم على الحبّ المملوء تقوى ورضوانا: ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

بسمة في البداية

من حسن الطالع وجميل المقابلة تبسُّم الزوجة لزوجها والزوج لزوجته. إن هذه البسمة إعلانٌ ميدانيٌّ للوفاق والمصالحة: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة». وكان ﷺ ضحّاكا بسّاما.

وفي البداية بالسلام: ﴿ فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾. وردُّ التحية من أحدهما للآخر: ﴿ وإذا حُيِّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها ﴾.

قال كُثيِّر:

حيّتك عزّة بالتسليم وانصرفتْ ... فحيّها مثل ما حيّتك يا جملُ

ليت التحية كانتْ لي فأشكرها ... مكان يا جملا حُيّيت يا رجلُ

ومنها الدعاء عند دخول المنزل: «اللهم إني أسألك خير المولَج وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا».

ومن أسباب سعادة البيت: لين الخطاب من الطرفين: ﴿ وقل لعبادي

يقولوا التي هي أحسن ».

وكلامها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

يا ليت الرجل ويا ليت المرأة. كلٌ منهما يسحب كلام الإساءة وجرّح المشاعر والاستفزاز. يا ليت أنهما يذكران الجانب الجميل المشرق في كلٍ منهما. ويغضّان الطرف عن جانب الضعف البشري في كليهما.

إن الرجل إذا عدّد محاسن امرأته، وتجافى عن النقص، سعد وارتاح. وفي الحديث: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

ومعنى لا يفرك: لا يبغض ولا يكره.

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

من الذي ما ساء سيف فضائله ولا كبا جواد محاسنه: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا».

أكثر مشاكل البيوت من معاناة التوافه ومعايشة صغار المسائل. وقد عشت عشرات القضايا التي تنتهي بالفراق. سبب إيقاد جذوتها أمور هينة سهلة. أحد الأسباب أن البيت لم يكن مرتباً. والطعام لم يقدّم في وقته. وسببه عند آخرين أن المرأة تريد من زوجها أن لا يُكثر من استقبال الضيوف. وخذ من هذه القائمة التي تُورث البؤس والمآسي في البيوت.

إن علينا جميعاً أن نعترف بواقعنا وحالتنا وضعفنا، ولا نعيش الخيال والمثاليات، التي لا تحصل إلا لأولي العزم من أفراد العالم.

نحن بشر نغضب ونحتدُّ، ونضعف ونخطئ. وما علينا إلا البحث عن الأمر النسبي في الموافقة الزوجية حتى بعد هذه السنوات القصيرة بسلام.

إن أريحية أحمد بن حنبل وحسن صحبته تتدفَّم في هذه الكلمة، إذ يقول بعد وفاة زوجته أم عبد الله: لقد صاحبتُها أربعين سنة ما اختلفتُ معها في كلمة.

إن على الرجل أن يسكت إذا غضبتْ زوجته. وعليها أن تسكت هي إذا غضب، حتى تهدأ الثائرة، وتبرد المشاعر، وتسكن اضطرابات النفس.

قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «متى رأيتَ صاحبك قد غضب وأخذ يتكلَّم بما لا يصلح، فلا ينبغي أن تعتمد على ما يقوله خنصرا (أي لا تعتدَّ به ولا تلتفتْ إليه)، ولا أن تؤاخذه به، فإن حاله حال السكران لا يدري ما يجري، بل اصبر ولو فترة، ولا تعوِّل عليها، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر، ومتى أخذتَ في تنسك عليه، أو أجبتَه بمقتضى فعله، كنتَ كعاقل واجه مجنوناً، أو مفيق عاتَب مغمىً عليه، فالذنب لك، بل انظر إليه بعين الرحمة، وتلمَّحْ تصريف القدر له، وتفرَّج في لعب الطبع به.

واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر، وأقلُّ الأقسام أن تُسلِّمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به.

وهذه الحالة ينبغي ان يتلمّحها الولد عند غضب الوالد. والزوجة عند غضب الزوج. فتتركه يشفي بما يقول. ولا تعوّل على ذلك. فسيعود نادماً معتذراً. ومتى قُوبل على حالته ومقالته صارت العداوة متمكّنة. وجازى في الافاقة على ما فُعل في حقّه وقت السُّكْر.

واكثر الناس على غير هذا الطريق. متى رأوا غضبان قابلوه بما يقول ويعمل. وهذا على غير مقتضى الحكمة. بل الحكمة ما ذكرت. وما يعقلها إلا العالمون.

حبّ الانتقام سمٌّ زعاف في النفوس الهائجة

في كتاب «المصلوبون في التاريخ» قصص وحكايات لبعض اهل البطش الذين انزلوا بخصومهم أشدّ العقوبات وأقسى المُثلات. ثم لما قتلوهم ما شفى لهم القتل غليلا، ولا أبرد لهم عليلا. حتى صلبوهم على الخُشُب. والعجب أن المصلوب بعد قتله لا يتألّم ولا يُحسّ ولا يتعذّب. لأن روحه فارقت جسمه. ولكن الحيّ القاتل يأنس ويرتاح. ويُسَرّ بزيادة التنكيل. ان هذه النفوس المتلمّظة على خصومها المضطرمة على أعدائها لن تهدأ ابداً ولن تسعد. لأن نار الانتقام وبركان التشفّي يدمّرهم قبل خصومهم.

وأعجب من هذا أن بعض خلفاء بني العباس فاته أن يقتل خصومه من بني امية. لانهم ماتوا قبل أن يتولّى. فأخرجهم من قبورهم وبعضهم رميمٌ فجلدهم. ثم صلبهم. ثم أحرقهم. إنها ثورة الحقد العارم الذي يُنهي على المسرّات وعلى مباهج النفس واستقرارها.

إن الضرر على المنتقم أعظم، لأنه فقد أعصابه وراحته وهدوءه وطمأنينته.

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

• وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم •.

وقفة

ليس للعبد إذا بُغي عليه وأُوذي وتسلّط عليه خصومه، شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها، وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغ لتدبُّر ما نزل به، بل يتولّى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نُصرته وحفظه والدفع عنه ولابد، فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع، فما كل أحد يُوفّق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

سبحان من يعفو وتهفو دائما ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يُعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لذي الخطا

لا تذُبْ في شخصية غيرك

تمرُّ بالإنسان ثلاثة أطوار: طوَر التقليد، وطور الاختيار، وطور الابتكار. فالتقليد: هو المحاكاة للآخرين وتقمُّص شخصياتهم وانتحال صفاتهم والذوبان فيهم. وسبب هذا التقليد هو الإعجاب والتعلُّق والميْل الشديد. وهذا التقليد الغالي ليحمل بعضهم على التقليد في الحركات واللحظات، ونبرة الصوت والالتفات، ونحو ذلك. وهو وأدٌ للشخصية وانتحار معنوي للذات. ويا لمعاناة هؤلاء من أنفسهم، وهم يعكسون اتجاههم، ويسيرون إلى الخلف!! فالواحد منهم ترك صوته لصوت الآخر، وهجر مشيته لمشية فلان. ليت هذا التقليد كان للصفات الممدوحة التي تُثري العمر وتُضفي عليه هالة من السمو والرِّفعة. كالعلم والكرم والحلم ونحوها. لكنك تفاجأ أن هؤلاء يقلِّدون في مخارج الحروف وطريقة الكلام وإشارة اليد!!

أزيد التأكيد عليك بما سبق: إنك خَلْق آخر وشيء آخر. إنه نهجك أنت من خلال صفاتك وقدراتك. فإنه منذ خلق الله آدم إلى أن ينهي الله العالم، لم يتفق اثنان في الصورة الخارجية للجسم. بحيث ينطبق شكل هذا على شكل ذاك: ﴿واختلافُ ألسنتكم وألوانكم...﴾ الآية. فلماذا نحن نريد أن نتفق مع الآخرين في صفاتنا ومواهبنا وقدراتنا؟!

إن جمال صوتك أن يكون متفرِّداً، وإن حسن إلقائك أن يكون متميِّزاً: ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سودٌ﴾.

تجمَّعْن شتَّى من ثلاث وأربع ... وواحدة أخرى فصارتْ ثمانيا

سُليمى وسلْمى والرباب وأختُها ... وسُعدى ولُبنى والمنى وقطاميا

المكظومون في انتظار لطف الله

هذا الخطيب المصقع لا يلتوي لسانه إذا تراكضت الألفاظ في ميدان البيان، بل يمضي ساطعا صارماً متدفقاً.

هو خطيب الرسول ﷺ وحسب، وخطيب الإسلام وكفى. كان يرفع صوته بالخطب بين يدي رسول الله ﷺ لنصرة الدين. إنه ثابت بن قيس بن شماس. وأنزل الله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾. وظنّ قيس أنه هو المقصود. فاعتزل الناس واختبأ في بيته يبكي. وفقده رسول الله ﷺ فسأل عنه. فأخبره الصحابة الخبر. فقال: «**كلا، بل هو من أهل الجنة**».

فصارت النذارة بشارة.

هنـاءً محـا ذاك العـزاء المقدّما ... فمـا جـزع المحـزونُ حتى تبسّما

وتبقى عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، تبكي شهراً كاملاً ليلاً ونهاراً، حتى كاد البكاء أن يمزّق كبدها ويفري جسمها، لأنها طُعنت في عِرضها الشريف، العفيف، فجاء الفرج: ﴿ إن الذين يرمون المُحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدُنيا والآخرة ﴾. وحمدت الله وصارت أطهرَ الطُهر، كما كانت، وفرح المؤمنون بهذا الفتح المبين.

والثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، أتاهم الفرج ممن يملكه ـ سبحانه ـ ونزل عليهم الغوث من السميع القريب.

احرصْ على العمل الذي ترتاح له

يقول ابن تيمية: «ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيدُ المرضَ، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك. أليست النفس إذا فرحتْ وسُرَّتْ قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلتُ له: فإن نفسي تُسَرُّ بالعلم، فتقوى به الطبيعة، فأجدُ راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا. ﴿لا تحسبوهُ شرًا لكم بل هو خيرٌ لكم﴾.

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبُهُ ... فربما صحت الأجسامُ بالعلل

كلاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء

ما أحوجنا إلى المثابرة واستثمار الوقت، ومسابقة الأنفاس بالعمل الصالح النافع المفيد. إننا سوف نسعد يوم نقدِّم للآخرين نفعاً ووعياً وخدمة وثقافة وحضارة. وسوف نسعد إذا علمنا أننا لم نأتِ إلى الحياة سدى، ولم نُخلق عبثاً، ولم نُوجد لعباً.

يوم تصفَّحتُ «الأعلام» للزركلي فوجدتُ تراجم شرقيين وغربيين، ساسة وعلماء، وحكماء وأدباء وأطباء، يجمعهم أنهم نابغون مؤثِّرون لامعون. ووجدتُ في سيَرهم جميعاً سنة الله في خلقه، ووعد الله في عباده، وهي أن من أحسنَ من أجل الدنيا وُفِّي نصيبه من الدنيا، من الذيوع والشهرة والانتشار، وما يلحق ذلك من مال ومنصب وإتحاف، ومن أحسن للآخرة

وجدها هنا وهناك. من النفع والقبول والرضا والأجر والمثوبة: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾.

ووجدتُ في الكتاب أيضاً أن هؤلاء العباقرة الذين قدّموا للبشرية نفعاً ونتاجاً ولم يعملوا للآخرة. وبالخصوص غير المؤمنين بالله ولقائه. وجدتُهم أسعدوا الناس أكثر من أنفسهم، وأفرحوا أرواح الآخرين أكثر من أرواحهم. فإذا بعضهم ينتحر، وبعضهم يثور من واقعه ويغضب من حياته، وآخرون منهم يعيشون بؤساً وضنكاً.

وسألتُ نفسي: ما هي الفائدة إذا سعد بي قوم وشقيت أنا، وانتفع بي ملأ وحُرمتُ أنا؟!

وأسعدت الكثير وأنت تشقى ... وأضحكت الأنام وأنت تبكي

ووجدتُ أن الله أعطى كل أحد من هؤلاء البارزين ما أراد. تحقيقا لوعده. فجمعٌ منهم حصل على جائزة نوبل، لأنه أرادها وسعى لها، ومنهم من تبوأ الصدارة في الشهرة، لأنه بحث عنها وشغف بها، ومنهم من وجد المال، لأنه هام به وأحبه. ومنهم عباد الله الصالحون، حصلوا على ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة - إن شاء الله -، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

إن من المعادلات الصحيحة المقبولة: أن المغمور السعيد الواثق من منهجه وطريقه، أنعم حظاً من اللامع الشهير الشقي بعبادته وفكره.

إن راعي الإبل المسلم في جزيرة العرب أسعد حالاً بإسلامه من «تولوستوي» الكاتب الروائي الشهير، لأن الأول قضى حياته مطمئناً راضياً

ساكناً يعرف مصيره ومنقلبه. والثاني عاش ممزّق الإرادة، مبعثر الجهد، لم يبرد غليله من مراده، ولا يعرف مستقبله.

عند المسلمين أعظم دواء عرفتْه البشرية، وأجلُّ علاج اكتشفته الإنسانية، إنه الإيمان بالقضاء والقدر، حتى قال بعض الحكماء: لن يسعد في الحياة كافرٌ بالقضاء والقدر. وقد أعدتُ عليك هذا المعنى كثيراً، وعرضتُه لك في أساليبَ شتّى، وأنا على عمْد، لأنني أعرف من نفسي ومن كثير مثلي أننا نؤمن بالقضاء والقدر فيما نحبه، وقد نتسخّط عليه فيما نكرهه، ولذلك كان شرط المِلّة وميثاق الوحي: أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه.

ومَن يؤمن بالله يَهد قلبه

أسوق هنا قصة لتظهر سعادة من رضي بالقضاء، وحيرةَ وتكدُّرَ وشكَّ مَنْ سخط من القضاء:

فهذا كاتب أمريكي لامع، اسمه «بودلي»، مؤلف كتاب «رياح على الصحراء»، و«الرسول ﷺ»، وأربعة عشر كتاباً أخرى. وقد استوطن عام ١٩١٨م أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عاش مع قوم من الرُّحّل البدو المسلمين، يصلُّون ويصومون ويذكرون الله. يقول عن بعض مشاهده وهو معهم: هبّت ذات يوم عاصفة عاتية، حملت رمال الصحراء، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمَتْ بها وادي الرون في فرنسا. وكانت العاصفة

حارة شديدة الحرارة. حتى أحسستُ كأنَّ شعر رأسي يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحرّ. فأحسستُ من فرط الغيظ كأنني مدفوع إلى الجنون. ولكنَّ العرب لم يشكوا إطلاقاً. فقد هزُّوا أكتافهم وقالوا: قضاء مكتوب. واندفعوا إلى العمل بنشاط. وقال رئيس القبيلة الشيخ: لم نفقد الشيء الكثير. فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء. ولكن الحمد لله وشكراً. فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا. وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد.

وثمَّة حادثة أخرى.. فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يوماً فانفجر أحد الإطارات. وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي. وتولاَّني الغضب. وانتابني القلق والهمّ. وسألتُ صحبي من الأعراب: ماذا عسى أن نفعل؟ فذكَّروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يُجدي فتيلاً. بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق. ومن ثم درجتْ بنا السيارة وهي تجري على ثلاثة إطارات ليس إلا. لكنها ما لبثت أن كفَّت عن السير. وعلمت أن البنزين قد نفد. وهناك أيضاً لم تثر ثائرة أحد من رفاقي الأعراب. ولا فارقهم هدوءُهم. بل مضوا يذرعون الطريق سيراً على الأقدام. وهم يترنَّمون بالغناء!

قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتُها في الصحراء بين الأعراب الرحَّل. أن الملتاثين. ومرضى التنفس. والسكيرين. الذين تحفل بهم أمريكا وأوروبا. ما هم إلا ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساساً لها.

انني لم اعان شيئاً من القلق قطُّ، وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله، وجدتُ السكينة والقناعة والرضا، وكثيرون من الناس يهزؤون بالجبرية التي يؤمن بها الاعراب، ويسخرون من امتثالهم للقضاء والقدر.

ولكن من يدري؟ فلعلَّ الاعراب أصابوا كبد الحقيقة. فإني إذ أعود بذاكرتي إلى الوراء... وأستعرض حياتي، أرى جلياً أنها كانت تتشكّل في فترات متباعدة تبعاً لحوادث تطرأ عليها، ولم تكن قطُّ في الحسبان أو مما أستطيع له دفعاً. والعرب يطلقون على هذا اللون من الحوادث اسم: «قدر» أو «قسمة» أو «قضاء الله». وسمّه أنت ما شئت.

وخلاصة القول: انني بعد القضاء سبعة عشرة عاماً على مغادرتي الصحراء، ما زلتُ أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله. فاقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحتْ هذه الطباع التي اكتسبتُها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تنلح الاف المسكّنات والعقاقير!... اهـ.

أقول: إن أعراب الصحراء تلقّنوا هذا الحق من مشكاة محمد ﷺ وإن خلاصة رسالة المعصوم هي انقاذ الناس من التّيه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ونفض التراب عن رؤوسهم، ووضع الأصار والأغلال عنهم، إنّ الوثيقة التي بُعث بها رسول الهدى ﷺ فيها أسرار الهدوء والأمن، وبها معالم النجاة من الفشل، فهي اعتراف بالقضاء وعمل بالدليل، ووصول إلى غاية، وسعي إلى نجاة، وكدح بنتيجة. إن الرسالة الربانية جاءت لتحدد لك موقعك في الكون المأنوس، ليسكن خاطرك، ويطمئن قلبك، ويزول همك، ويزكو عملك، ويجمُل خلقك، لتكون العبدَ المثالي الذي عرف سرَّ وجوده، وأدرك القصد من نشأته.

المنهج وسط

- وكذلك جعلناكم أمة وسطا -.

السعادة في الوسط. فلا غلوّ ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط. وإن الوسطيّة منهج ربّاني حميد يمنع العبد من الميل إلى أحد الطرفين. إن من خصائص الإسلام أنه دين وسط. فهو وسط بين اليهودية والنصرانية: اليهودية التي حملت العلم وأغفلت العمل، والنصرانية التي غالت في العبادة وأطّرحت الدليل. فجاء الإسلام بالعلم والعمل، والروح والجسد، والعقل والنقل.

وإن مما يسعدك في حياتك الوسطية. الوسطية في عبادتك: فلا تأتي فتنهك جسمك وتقضي على نشاطك ومداومتك، ولا تجنح فتدع النوافل وتخذل الفرائض وتركن إلى التسويف. وفي النفقات: فلا تكلف نفسك وتبذر دخلك فتقع حسيرا مُلوما، ولا تمسك عن الإنفاق وتحل بنفسك الفقر فتعيش ملوما محسورا. وفي علاقاتك: بين الحقّ المجرد والخلق المتداعي، بين العزيمة الكالح والضحك الماجن، بين العزلة الموحشة والمخالطة المرهقة، بين الحق.

إنه منهج الاعتدال في أخذ الأمور والحكم على الأشياء، وعلاقاته الأخرى. فلا إفراط ولا تفريط. ولا [illegible]

إن الحسنة بين السيئتين: سيئة الإفراط وسيئة التفريط. وإن الخير بين الشرين: شر الغلو وشر المجافاة. وإن الحق بين الباطلين: باطل الزيادة وباطل النقص. وإن السعادة بين الشقاءين: شقاء التهور وشقاء النكوص.

لا هذا ولا هذا

يقول مطرّف بن عبدالله: أشرُّ السير الحقحقة. وهو الذي يجتهد في السير حتى يضرّ بنفسه ودابته. وفي الحديث: «شرُّ الرّعاء الحطمة». وهو الذي يتعسّف في ولايته لأهله أو من ولاد الله شأنه. إن الكرم بين الإسراف والبخل. وإن الشجاعة بين الجبن والتهور. وإن الحلم بين الحدّة والتبلّد. وإن البسمة بين العبوس والضحك. وإن الصبر بين القسوة والجزع. وللغلو دواء هو التخفيف من هذا الغلو. وإطفاء شيء من هذا اللهيب المحرق. وللجفاء دواء هو سوط عزم. ووميضة همّة. وبارقة من رجاء. ﴿ اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

وقفة

«ليس في الوجود شيءٌ أصعبُ من الصبر. إما عن المحبوب. أو على المكروهات. وخصوصاً إذا امتدّ الزمان. أو وقع اليأس من الفرج. وتلك المدة تحتاج إلى زادٍ يُقطع به سفرُها. والزاد يتنوع من أجناس:

فمنه: تلمُّح مقدار البلاء وقد يمكن أن يكون أكثر.

ومنه: أنه في حال فوقها أعظم منها، مثل أن يُبتلَى بفقد ولد وعنده أعزُّ منه.

ومن ذلك: رجاء العِوَض في الدنيا.

ومنه: تلمُّح الأجر في الآخرة.

ومنه: التلذُّذ بتصوير المدح والثناء من الخلق فيما يمدحون عليه، والأجر من الحق عز وجل.

ومن ذلك: أن الجزَع لا يفيد، بل يفضح صاحبه.

إلى غير ذلك من الأشياء التي يقدحها العقل والفكر، فليس في طريق الصبر نفقة سواها، فينبغي للصابر أن يشغل بها نفسه، ويقطع بها ساعات ابتلائه.

مَن هُم الأولياء

من صفات الأولياء: انتظار الأذان بالأشواق، والتَّهافُت على تكبيرة الإحرام، والوَلَه بالصف الأوّل، ومداومة الجلوس في الروضة، وسلامة الصدر، وظهور مراسيم السُّنَّة، وكثرة الذكر، والكلل للحلال، وترك ما لا يعني، والرضا بالكَفاف، وتعلُّم الوحي كتاباً وسنة، وطُلاقة المُحيَّا، والتوجُّع لمصائب المسلمين، وترك الخلاف، والصبر للشدائد، وبذل المعروف.

التوسط في المعيشة أفضل ما يكون، فلا غنى مطغيا ولا فقرا منسيا، وانما ما كفى وشفى، وقضى الفرض. وأنى بالمقصود في المعيشة، فهو أجلُّ العيش عائدة، وأحسن القوت فائدة.

والكفاية: بيتٌ تسكُنه، وزوجة تأوي إليها، ومركب حسن، وما يكفي من المال لسدّ الحاجة وقضاء اللازم.

الله لطيف بعباده

أخبرني أحد أعيان مدينة الرياض أنه في عام ١٣٧٦هـ، ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهنّ لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا تصلّي صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلي لله عز وجل كلّ صلاة، وما حصلنا على شيء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!! فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلّبها وانظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر، ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها في البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلتُ لنا بعد أن تركنا الصلاة.

هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذي عصيتما الله فيه. فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال. ونزلوا هناك في خيمتهم. ثم اقتربوا من البحر ثانية. فصادوا سمكة الكنعد. فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة في بطن تلك السمكة. وقالوا: الحمد لله الذي رزقنا رزقا طيباً. بعد أن بدؤوا يصلُّون ويذكرون الله ويستغفرونه. فأخذوا اللؤلؤة.أ.هـ.

فانظر كيف كان من ذي قبل، في وقت معصية، وكان رزقاً خبيثاً. وانظر كيف اصبح الآن في وقت طاعة، وأصبح رزقا طيبا. ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾.

إنه لطف الله. ومن ترك شيئا لله عوَّضه الله خيرا منه.

يذكرني هذا بقصة لعليٍّ - رضي الله عنه -. وقد دخل مسجد الكوفة ليصلي ركعتي الضحى. فوجد غلاماً عند الباب. فقال: يا غلام. احبس بغلتي حتى أصلي. ودخل عليٌّ المسجد. يريد ان يعطي هذا الغلام درهما، جزاءَ حبسه للبغلة. فلما دخل عليٌّ المسجد. أتى الغلام إلى خطام البغلة. فاقتلعه من رأسها وذهب به الى السوق ليبيعه. وخرج عليٌّ فما وجد الغلام. ووجد البغلة بلا خطام. فأرسل رجلا في أثره. وقال: اذهب إلى السوق. لعلّه يبيع الخطام هناك. وذهب الرجل. فوجد هذا الغلام يخرج على الخطام. فشراه بدرهم. وعاد يخبر عليًا. قال سبحان الله! والله لقد نويت أن أعطيه درهما حلالاً. فأبى الا ان يكون حراما.

إنه لطف الله عز وجل، يلاحق عباده أينما ساروا وأينما حلّوا وأينما ارتحلوا: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾.

﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

وقد ذكر التنوخي في كتابه «الفرج بعد الشدة» ما يناسب هذا المقام: أن رجلاً ضاقت عليه الحيل، وأغلقت عليه أبواب المعيشة، وأصبح ذات يوم هو وأهله لا شيء في بيتهم، قال: فبقيت أنا وأهلي اليوم الأول جوعى وفي الثاني، فلما دنت الشمس للمغيب، قالت لي زوجتي: اذهب وانطلق، والتمس لنا رزقاً أو طعاماً أو أكلاً، فقد أشرفنا على الموت. قال: فتذكرتُ امرأة قريبة لي، فذهبتُ إليها وأخبرتُها الخبر، قالت: ما في بيتنا إلا هذه السمكة وقد أنتنتْ، قلت: عليَّ بها، فإنا قد أشرفنا على الهلاك. وذهبتُ بها وبقرتُ بطنها، فأخرجتُ منها لؤلؤة، بعتُها بآلاف الدنانير، وأخبرتُ قريبتي، قالت: لا آخذ معكم إلا قسمي، قال: فاغتنيتُ فيما بعد، وانتقلتُ من ذلك بيتي، وأصلحت حالي، وتوسّعت في رزقي، فهو لطف الله سبحانه وتعالى ليس غيره.

• وما بكم من نعمة فمن الله ﴾.

• إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾

حدَّثنا أحد الفضلاء من العُبَّاد: أنه كان بأهله في الصحراء، في جهة البادية، وكان عابداً فانتاً منيباً ذاكراً لله. قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا. وذهبتُ أنتمس ماءً لأهلي، فوجدتُ أن الغدير قد جفَّ، فعُدتُ إليهم. ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة، فلم نجد ولو قطرة. وأدركنا الظمأ، واحتاج أطفالي للماء، فتذكرتُ ربَّ العزة - سبحانه - القريب المجيب، فقمتُ فتيمَّمتُ، واستقبلتُ القبلة وصليتُ ركعتين، ثم رفعتُ يديَّ وبكيتُ، وسالتْ دموعي. وسألتُ الله بالحاح، وتذكرتُ قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ الآية. ووالله ما هو إلا أن قمتُ من مقامي، وليس في السماء من سَحَاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسَّطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمتْ على المكان، ثم انزلتْ ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا، فشربنا واغتسلنا وتوضأنا، وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلتُ قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدْبُ والقحط، فعلمتُ أن الله ساقها لي بدعائي. فحمدتُ الله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

إنه لابدَّ أن نلجَّ على الله سبحانه وتعالى. فإنه لا يصلح الأنفس، ولا يرزق ولا يهدي، ولا يوفِّق ولا يثبِّت، ولا يعين ولا يغيث، إلاَّ هو سبحانه وتعالى. والله ذكر أحد أنبيائه فقال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

عوضه الله خيرا منه

ذكر ابن رجب وغيره ان رجلا من العُبّاد كان في مكة، وانقطعت نفقته، وجاع جوعا شديدا، وأشرف على الهلاك. وبينما هو يدور في أحد ازقة مكة إذ عثر على عقد ثمين فقال لنفسه: فآخذه في كمّه وأذهب الى الحرم، وإذا برجل ينشد عن هذا العقد. قال: فوصفه لي. فما أخطأ من صفته شيئا. فدفعتُ له العِقْد على ان يعطيني شيئا. قال: فأخذ العقد وذهب. لا يلوي على شيء. وما سلّمني درهما ولا نقيرا ولا قطميرا. قلتُ: اللهم اني تركتُ هذا لك، فعوّضني خيرا منه. ثم ركب جهة البحر فذهب بقاربه، فهبّت ريح هوجاء، وتحطّم هذا القارب، وركب هذا الرجل على خشبة، وأصبح على سطح الماء تلعب به الريح يمنة ويسرة، حتى ألقته إلى جزيرة، ونزل بها، ووجد بها مسجدا وقوما يصلّون فصلّى. ثم وجد أوراقا من المصحف فأخذ يقرأ. قال: أهل تلك الجزيرة: أتلك تقرأ القرآن؟ قلتُ: نعم. قالوا: علّم ابناءنا القرآن. فأخذتُ أعلّمهم بحرة. ثم كتبتُ خطأ. قالوا: أتعلّم ابناءنا الخطأ؟ قلتُ: نعم. فعلّمتُهم بأجرة.

ثم قالوا: ان هنا بنتا يتيمة كانت لرجل منا فيه خير وتوفي عنها. هل لك ان تتزوجها؟ قلت: لا بأس. قال: فتزوجتُها. ودخلتُ بها فوجدت العقد ذلك بعينه. فقلتُ: ما قصة هذا العقد؟ فأخبرت الخبر. وتكررتْ ان [illegible] في تلك الجزيرة رجل فضلني [illegible] فكان يرسل [illegible] في سنة من السنين أرسل زوجي كذلك الرجل. قال: فمات الرسول.

[illegible] ان الله [illegible] لا يزيل الا خيرا.

إذا سألت فاسأل الله

إن الله قريب، وإنه سميع مجيب، وإن التقصير هنا، أننا نحاجه ماسئة إلى أن يلحّ وندعوه، ولا نملّ ولا نسأم، ولا يقول أحدنا: دعوت ودعوت فلم يستجب لي، بل نمرّغ وجوهنا في التراب، ونهتف، ونلظّ بـ «يا ذا الجلال والإكرام»، ونعيد ونبدي تلك الأسماء الحسنى والصفات العُلى، حتى يحيب الله سبحانه وتعالى طلبنا، أو يختار لنا خيرة من عنده سبحانه وتعالى، «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية».

ذكر أحد الدعاة في بعض رسائله أن رجلاً مسلماً ذهب إلى إحدى الدول والتجأ بأهله إليها، وطلب بأن تمنحه جنسية، «أُغلقتْ في وجهه الأبواب، وحاول هذا الرجل كلّ المحاولة، واستفرغ جهده، وعرض الأمر على كلّ معارفه، فبارت الحيل، وسُدّت السبل، ثم لقي عالماً ورعاً فشكا إليه الحال، قال: عليك بالثلث الأخير من الليل، ادعُ مولاك، فإنه الميسر سبحانه وتعالى، وهذا معناه في الحديث: **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**». قال هذا الرجل: فوالله لقد تركتُ الذهاب إلى الناس، وطلب الشفاعات، وأخذتُ أداوم على الثلث الأخير كما أخبرني هذا العالم، وكنتُ أهتف بالله في السَّحَر وأدعوه، فما هو إلا بعد أيام، وتقدّمتُ بمعروض عادي ولم أجعل بيني وبينهم واسطة، فذهب هذا الخطاب، وما هو إلا أيام وفوجئتُ في بيتي، وإذا أنا أُدعى وأُسلّم الجنسية، وكانت في ظروف صعبة.

﴿اللّٰهُ لطيفٌ بعبادِهِ﴾

الدقائق الغالية:

ذكر التنوخي: أن أحد الوزراء في بغداد ـ وقد سمّاه ـ اعتدى على أموال امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها. ذهبتْ إليه تبكي وتشتكي من ظلمه وجوره، فما ارتدع وما تاب وما أناب. قالت: لأدعونّ الله عليك، فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال: عليك بالثلث الأخير من الليل. وهذا لجبروته وفسْقه يقول باستهزاء. فذهبتْ وداومتْ على الثلث الأخير. فما هو إلا وقتٌ قصير إذ عُزل هذا الوزير وسُلبتْ أمواله، وأُخذ عقاره، ثم أُقيم في السوق يُجلد تعزيراً له على أفعاله بالناس. فمرّت به العجوز، فقالت له: أحسنتَ! لقد وصلت لي الثلث الأخير من الليل. فوجدتُه أحسن ما يكون.

إن ذاك الثلث غالٍ من حياتنا، نفيس في أوقاتنا، يومَ يقول رب العزة: **هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داعٍ فأجيبه..**

لقد عشتُ في حياتي على أني شابٌّ، وسمعتُ سماعات، وأثر في حياتي حادثات لا أنساها أبداً الدهر، وما وجدتُ أقرب من التوبة، عنده الفرج، وعنده الغوث، وعنده اللطف سبحانه وتعالى.

ارتحلتُ مع نفر من الناس في طائرة من أبها إلى الرياض، في أثناء أزمة الخليج. فلما أصبحنا في السماء أخبرنا أننا سوف نعود مرة ثانية إلى مطار أبها لخلل في الطائرة. وعدنا وأصلحوا ما استطاعوا إصلاحه، ثم

ارتحلنا مرة أخرى. فلما اقتربنا من الرياض آبتْ العجلات أن تنزل. فأخذ يدور بنا على سماء الرياض ساعة كاملة، ويحاول أكثر من عشر محاولات. يأتي المطار ويحاول الهبوط فلا يستطيع. فيرتحل مرة أخرى. وأصابنا الهلع، وأصاب الكثير الانهيار، وكثر بكاءُ النساء، ورأيتُ الدموع تسيل على الخدود، وأصبحنا بين السماء والأرض ننتظر الموت أقرب من لمح البصر، وتذكرتُ كلّ شيء فما وجدتُ كالعمل الصالح، وارتحل القلب إلى الله عز وجل وإلى الآخرة، فإذا تفاهة الدنيا، ورخص الدنيا، وزهادة الدنيا، وأخذنا نكرّر: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**، في هتاف صادق، وقام شيخ كبير مسنٌ ينهتف بالناس أن يلجؤوا إلى الله وأن يدعوه، وأن يستغفروه وأن ينيبوا له.

وقد ذكر الله عن الناس أنهم: ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾.

ودعونا الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وألححنا في الدعاء، وما هو إلا وقت، ونعود للمرة الحادية عشرة والثانية عشرة، فنهبط بسلام، فلما نزلنا كأنا خرجنا من القبور، وعادت النفوس إلى ما كانت، وجفت الدموع، وظهرت البسمات، فما أعظم لطف الله سبحانه وتعالى.

كمْ نطلبُ اللهَ في ضُرٍّ يحلُّ بنا ... فإنْ تولّتْ بلايانا نسيناهُ

ندعوه في البحرِ أنْ ينجي سفينتنا ... فإنْ رجعنا إلى الشاطي عصيناهُ

ونركبُ الجوَّ في أمنٍ وفي دعةٍ ... وما ستطنا لأنَّ الحافظ اللهُ

إنه لطف الباري سبحانه وتعالى، وعنايته، ليس إلا.

«من لنا وقت الضائقة؟»

ذكرت جريدة «القبس» - وهي جريدة قديمة كانت تصدر في البلاد - ذكرت أن شاباً في دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت. ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية في أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف وثلوجاً، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أصلاً منها أن تفوته الرحلة، لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركّابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتاً في فراشه.

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾.

فرّ من الموت وفي الموت وقع.

وقد قالت العامة: «للناجي في البحر طريق».

وإذا حضر الأجل فأيُّ شيء يقتل الإنسان.

من قصص الموت

ذكر الشيخ علي الطنطاوي في سماعاته ومشاهداته، أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة نوري، فركب معه رجل في ظهر السيارة، وكان في

ظهر السيارة نعش مهيأ للأموات. وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة. فانطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل في النعش وتغطى بالشراع. وركب آخر فصعد في ظهر الشاحنة بجانب النعش. ولا يعلم أنّ في النعش أحد. واستمر نزول الغيث. وهذا الرجل الراكب الثاني يظنّ أنه وحده في ظهر السيارة. وفجأة أخرج هذا الرجل يده من النعش. ليرى: هل كف المطر أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها. فاخذ هذا الراكب الثاني الهلع والجزع والخوف.. وظنّ أن هذا الميت قد عاد حيّاً. فنسي نفسه وسقط من السيارة. فوقع على أمّ رأسه فمات.

وهكذا كتب الله أن يكون أجل هذا بهذه الطريقة. وأن يكون الموت بهذه الوسيلة.

كلّ شيء بقضاء وقدر والمنايا غير ما نحن نعبر

وعلى العبد أن يتذكّر دائماً أنه يحمل كفنه. وأنه يسعى إلى قبره. وأنه ينتظر الموت صباح مساء. وهذا من الكلمة الرائعة التي قالها عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه. وهو يقول: إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة. وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة. فكونوا من أبناء الآخرة. ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإن اليوم عمل ولا حساب. وغداً حساب ولا عمل.

وهنا يفيدنا أنّ على الانسان أن يتهيأ وأن يتجهز وأن يصلح من حاله. وأن يجدد توبته. وأن يعلم أنه يتعامل مع ربّ كريم قوي عظيم لطيف.

إن الموت لا يستأذن على أحد، ولا يحابي أحداً، ولا يجامل، وليس للموت إنذار مبكر يخبر به الناس. ﴿ وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ ﴾.

﴿لا تَسْتَأخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً ولا تَسْتَقْدِمُونَ﴾

ذكر الطنطاوي أيضاً في سماعاته ومشاهداته: أن باصاً كان ملينا بالركاب، وكان سائقه يلتفتُ يمنة ويسرة، وفجأة وقف، فقال له الركاب: لمَ تقف؟ قال: اقف لهذا الشيخ الكبير الذي يُشير بيده ليركب معنا، قالوا: لا نرى أحداً، قال: انظروا إليه، قالوا: لا نرى أحداً! قال: هو أقبل الآن ليركب معنا، قالوا كلهم: والله لا نرى أحداً من الناس! وفجأة مات هذا السائق على مقعد سيارته.

لقد حضرت منيته، وحلّت وفاته، وكان هذا سبباً. ﴿ فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾. إن الإنسان يجبن من المخاوف، وينخلع قلبه من مظانّ المنايا، وإذا بالمأمن تقتله، ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾. والعجيب فيما أننا لا نفكر في لقاء الله عز وجل، ولا في حقارة الدنيا، ولا في قصة الارتحال منها إلا إذا وقعنا في المخاوف.

ضلّ من تدعون إلاّ إياه

في عام ١٤١٣هـ سافرتُ من الرياض إلى مدينة الدمّام. فوصلتُ ما يقارب الساعة الثانية عشرة ظهرا. ونزلتُ المطار وأنا أريد صديقا لي، ولكنه كان في عمله ولا يخرج إلا متأخرا. فذهبتُ إلى فندق هناك، وأخذت سيارة إلى ذلك المكان. فلما دخلت الفندق لم أجد فيه كثير ناس. وليس الموسم موسم عطل ولا زوّار. واستأجرتُ غرفة في الفندق وكانت في الدور الرابع. بعيدة عن الموظفين وعن العمال. ولا أحد معي في الفندق. ودخلتُ الغرفة ووضعتُ حقيبتي على السرير. وأتيتُ لأتوضأ. وأغلقتُ عليّ غرفة الوضوء. فلما انتهيتُ من الوضوء أتيتُ لأفتح الباب فوجدته مغلقا لا يُفتَح. وحاولتُ أن أفتح الباب بكل وسيلة. ولكن ما انفتح لي. وأصبحت داخل هذا المكان الضيق. فلا نافذة تشرف. ولا هاتف اتصل به. ولا قريب أناديه. ولا جار أدعوه. وتذكّرتُ ربَّ العزة سبحانه. ووقفتُ في مكاني ثلث ساعة. لكنها كأنها ثلاثة أيام. ثلث ساعة سال العرق. ورجف منها القلب. واهتزّ منها الجسم لقضايا. منها: أنه في مكان غريب عجيب. ومنها: أن الأمر مفاجئ. ومنها: أنه ليس هناك اتصال فيُخبَرُ صديق أو قريب. ثم إن المكان ليس لائقاً. وأتت العِبَر والذكريات. وماجت الأحداث في ثلث ساعة.

قد يضيقُ العمرُ إلاّ ساعة ... وتضيقُ الأرضُ إلا موضعا

وفي الأخير فكّرت ان اهزّ الباب هزّا. وبالفعل بدأتُ بهزّ الباب بجسم ناحل ضعيف، مرتبك. واكتشفتُ ان قطعة الحديد تفتح رويدا رويدا كعقرب الساعة. فاهزّ الباب وإذا تعبتُ وقفتُ. ثم أواصل فإذا تعبتُ وقفتُ. وفي

النهاية فتح الباب، وكأني خرجت من قبر، وعدت إلى غرفتي، وحمدت الله على ما حدث، وفكرت بضعف الإنسان، وقلة حيلته، وملاحقة الموت له، وذكرت تقصيرنا في بيتنا وهي أمامنا، ونسياننا لآخرتنا.

﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾.

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾.

وقرأت في هذا الباب كتاب، وسمعت فيه غرائب، فالرجل يذهب إلى الموت وإذا هي الحياة، ويذهب آخر إلى الحياة فإذا هو الموت المحقق، وآخر يطلب العلاج فإذا هو الهلاك، وثاني يفادي بنفسه ويطلب الهلاك مطلقاً فإذا هو الناجي. فسبحان الخالق المدبر الحكيم جل في علاه!!

فربما صحت الأجسام بالعلل

ذكر أهل السير: أن رجلاً أصابه الشلل، فأقعد في بيته، ومرت عليه سنوات طوال من الملل واليأس والإحباط، وعجز الأطباء في علاجه، وبلّغوا أهله وبناته، وفي ذات يوم نزلت عليه عقرب من سقف منزله، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه، فأتت إلى رأسه وضربته برأسها ضربات ولدغته لدغات، فاهتز جسمه من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، وإذا بالحياة تدب في أعضائه، وإذا بالبرء والشفاء يسير في أنحاء جسمه، وينتفض الرجل ويعود نشيطاً، ثم يقف على قدميه، ثم يمشي في غرفته، ثم يفتح بابه، وينادي أهله وأطفاله، فإذا الرجل واقف، فما كانوا يصدقون، وكادوا من الذهول يُصعقون، فأخبرهم الخبر.

فسبحان الذي جعل علاج هذا الرجل في هذا!!

وقد ذكرتُ هذا لبعض الأطباء فلم يُلْقِ للمسألة. وذكر أن هناك مصلا عاما يُستخدم بتخفيف كبعادي. ويُعالج به هؤلاء المشلولين.

فجلُّ الطبيب في علاج ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء.

وللأولياء كرامات

هذا صلة بن أشيم العابد الزاهد من التابعين، يذهب إلى الشمال ليجاهد في سبيل الله. ويضمُّه الليل فيذهب إلى غابة ليصلي فيها. ويدخل بين الشجر ويتوضأ. ويقوم مصليا. وينهدُ عليه أسدٌ كاسر. ويقترب من صلة، وهو في صلاته. ويدور به. وصلة في تبتُّله مستمر. ولم يقطع صلاته وذكره. ويسلِّم صلة بن أشيم من ركعتين. ثم يقول للأسد: إن كنت أُمرت بقتلي فكلني. وإن لم تُؤمر فاتركني أناجي ربي. فأرخى الأسد ذيله وذهب من المكان. وترك صلة يصلي.

ولك أن تنظر في «البداية والنهاية» وغيرها من كتب التاريخ. وهذا مذكور عن «سفينة» مولى رسول الله ﷺ في كتب تراجم الصحابة. أنه أتى هو ورُفْقَة معه من ساحل البحر. فلما نزلوا البرَّ فإذا بأسد كاسر مُقبل يريدهم. فقال سفينة: يا أيها الأسد أنا من أصحاب رسول الله ﷺ وأنا خادمه. وهؤلاء رفقتي ولا سبيل لك علينا. فولَّى الأسد هاربا. وزأر زأرة كاد يملأ بها ربوع المكان.

وهذه الوقائع والأحداث لا ينكرها إلا مكابر، وإلا ففي سنن الله في خلقه ما يشهد بمثل هذا، ولولا طول المقام لأوردتُ عشراتِ القصص الصحيحة الثابتة في هذا الباب، لكنْ يكفيك دلالة من هذا الحديث، لتعلم أن هناك ربًا لطيفاً حكيماً لا تغيب عنه غائبة، إن علم الله بملاحق الناس، ولطفه سبحانه وتعالى وشهوده واطلاعه: «ما يكونُ من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا».

كفى بالله وكيلاً وشهيداً

ذكر البخاري في صحيحه: أن رجلاً من بني إسرائيل طلب من رجل أن يُقرضه ألف دينار، قال: هل لك شاهد؟ قال: ما معي شاهد إلا الله، قال: كفى بالله شهيداً، قال: هل معك وكيل؟ قال: ما معي وكيل إلا الله، قال: كفى بالله وكيلاً، ثم أعطاه ألف دينار، وذهب الرجل وكان بينهما موعد وأجلٌ مسمّى، وبينهما نهر في تلك الديار، فلما حان الموعد التي صاحب الدنانير ليعيدها لصاحبها الأول، فوقف على شاطئ النهر، يريد قاربا يركبه إليه، فما وجد شيئا، وأتى الليل وبقي وقتا طويلاً، فلم يجد من يحمله، فقال: اللهم إنه سألني شهيداً فما وجدتُ إلا أنت، وسألني كفيلا فما وجدتُ إلا أنت، اللهم بلّغه هذه الرسالة، ثم أخذ خشبة فنقرها وأدخل الدنانير فيها، وكتب فيها رسالة، ثم أخذ الخشبة ورماها في النهر، فذهبتْ بإذن الله، وبلطف الله، وبعناية الله سبحانه وتعالى، وخرج ذاك الرجل

صاحب الدنانير الاول ينتظر موعد صاحبه. فوقف على شاطىء النهر وانتظر فما وجد أحداً. فقال: لِمَ لا آخذ حطباً لأهل بيتي؟! فعرضت له الخشبة بالدنانير. فأخذها وذهب بها إلى بيته. فكسرها فوجد الدنانير والرسالة.

لأن الشهيد سبحانه وتعالى أعان، ولأن الوكيل ادى الوكالة. فتعالى الله في علاه.

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون ».

« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ».

وقفة

قال لبيد:

فاكذب النفس إذا حدثتها ... إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وقال البستي:

أقلل طموحك المكدود بالهمم راحة ... تجمّ وعللّه بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملح

وقال أبو علي بن الشبل:

بحفظ الجسم تبقى النفس فيه ... بقاء النار تحفظ بالوعاء

فباليأس الممضّ فسلا تمنّها ... ولا تمدد لها طول الرجاء

وعدها في شدائدها رخاء وذكرها الشدائد في الرخاء

يعد صلاحها هذا وهذا وبالتركيب منفعة الدواء

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة

كان سعد بن أبي وقاص يدرك هذه الحقيقة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد دعا له ﷺ بسداد الرمي وإجابة الدعوة، فكان إذا دعا أجيبت دعوته كفلق الصبح.

أرسل عمر - رضي الله عنه - أناسًا من الصحابة يسألون عن عدل سعد في الكوفة، فأثنى الناس عليه خيرًا، ولما أتوا إلى مسجد حي لبني عبس، قام رجل فقال: ما سألتموني عن سعد؛ فإنه لا يعدل في القضية، ولا يحكم بالسوية، ولا يسير في الرعية، فقال سعد: اللهم إن كان قام هذا رياء وسمعة فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فطال عمر هذا الرجل، وسقط حاجباه على عينيه، وأخذ يتعرض للجواري ويغمزهن في سوارع الكوفة، ويقول: شيخ مفتون، أصابتني دعوة سعد.

إنه الاتصال بالله عز وجل، وصدق اللهجة معه، والوثوق بموعوده، تبارك الله رب العالمين.

وفي سير أعلام النبلاء: عن سعد أيضًا: أن رجلًا ألم بسعد عائبًا علي - رضي الله عنه -، فدافع سعد عن علي، واستمر الرجل في السب والشتم، فقال سعد: اللهم اكفنيه بما شئت، فانطلق بعير من الكوفة فأقبل

مسلم عباً. لا يلوي على شيء. واخذ يدخل من بين الناس حتى وصل الى الرجل. ثم دنسه بخفيه. حتى قتله أمام مشهد ومرأى من الناس.

إنا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ».

« التي اعرض لك هذه القصص لتزداد إيمانا ووثوقاً بموعود ربك. فتستعد للتلقيه. وتعلم ان اللطف لطفه سبحانه. وانه قد ذكر في محكم التنزيل فقال: « ادعوني أستجب لكم » .. وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ».

ثم استدعى الحجاج الحسن البصري ليوبخه. وذهب الحسن وما في ذهنه إلا عنايه الله ولطف الله. والوثوق بوعد الله. فأخذ يدعو ربه. ويهتف باسمائه الحسنى. وصفاته العلى. فيحول الله قلب الحجاج. ويخلف في نفسه الرعب. فما وصل الحسن إلا وقد نسيا الحجاج لاستقباله. وقام الى الباب. واستقبل الحسن. وجلسه معه على السرير. وأخذ يطيب خاطره. ويترضاه. ويلتمس له في الخطاء !!

« ما هو الا تسخير رب العزة والجلال.

إن لطف الله يسري في الوجود. في عالم الانسان. في عالم الحيوان. في البر والبحر. في الليل والنهار. في المتحرك والساكن. « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ».

صح: أن سليمان عليه السلام قد أوتي منطق الطير. فخرج يستسقي بالناس. وفي طريقه من بيته إلى المصلى رأى نملة قد رفعت رجليها تدعو

رب العزة، تدعو الإله الذي يعطي ويمنح ويلطف ويغيث. فقال سليمان: أيها الناس، عودوا فقد كُفيتم بدعاء غيركم.

فأخذ الغيث ينهمر بدعاء تلك النملة. النملة التي فهم كلامها سليمان عليه السلام، وهو يزحف بجيشه الجرار، فتعظ أخواتها في عالم النمل: ﴿ قالت نملةٌ يا أيها النملُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون ﴿١٨﴾ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾.

في كثير من الأحيان يأتي لطف الباري سبحانه وتعالى بسبب هذه المجموعات.

وقد ذكر أبو يعلى في أثر قدسي أن الله يقول: «وعزتي وجلالي، لولا شيوخ رُكّع، وأطفال رُضّع، وبهائمُ رُتّع، لمنعتُ عنكم قطر السماء».

وإنْ من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمْدِ ربه

إن الهدهد في عالم الطيور عرف ربه، وأذعن لمولاه، وأخبتَ لخالقه. يقول الله عز وجل عن سليمان: ﴿ وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ﴿٢٠﴾ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴿٢١﴾ فمكث غير بعيد فقال أحطتُ بما لم تُحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين ﴿٢٢﴾ إني وجدتُ امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيءٍ ولها عرشٌ عظيم ﴿٢٣﴾ وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطانُ أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الخبء في السماوات

والأرض ويعلمُ ما تُخفُون وما تُعلنُون ۞ اللهُ لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم ۞ قال سننظرُ أصدقت أم كنت من الكاذبين ۞ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثمّ تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون ۞.

وذهب الهدهد. وكانت تلك القصة الطويلة. وانتهت إلى تلك النتائج التاريخية. وكان سببها هذا الطائر الذي عرف ربه. حتى قال بعض العلماء: عجيب! الهدهد أذكى من فرعون. فرعون كفر في الرخاء فما نفعه إيمانه في الشدّة. والهدهد آمن بربه في الرخاء. فنفعه إيمانه في الشدة.

الهدهد قال: ۞ ألاّ يسجدُوا لله الذي يُخرجُ الخبء... ۞. وفرعون يقول: ۞ ما علمتُ لكُم من إله غيري... ۞. إن الشقي مَن كان الهدهد أذكى منه. وانتملة أفهم لمصيرها منه. وإن البليد من أظلمتْ سبُله. وتقطّعتْ حباله. وتعطّلت جوارحه عن النفع. ۞ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها ۞.

في عالم النحل لطف الله يسري. وخيره يجري. وعنايته تلاحق تلكم الحشرة الضئيلة المسكينة. تنطلق من خليتها بتسخير من الباري. تلتمس رزقها. لا تتبع إلا على الطيب النقي الطاهر. تمصّ الرحيق. تهيم بالورود. تعشق الزهر. تعود محمّلة بشراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. تعود إلى خليتها لا إلى خلية أخرى. لا تضلّ طريقها. ولا تحار في سبلها. ۞ وأوحى ربّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ۞ ثم كُلي من كل الثمرات فاسلكي سُبل ربك ذُللا يخرجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاءٌ للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكّرون ۞.

إن سعادتك من هذا القصص، ومن هذا الحديث، ومن هذا الخبر: أن تعلم أن هناك لهثًا خفيًا لله الواحد الأحد، فتدعوه وحده، وترجوه وحده، وتسأله وحده، وأنَّ عليك واجبا شرعيًا نزل في الميثاق الرباني، وفي النهج السماوي أن تسجد له، وأن تشكره، وأن تتولاه، وأن تتجه بقلبك إليه، إن عليك أن تعلم أن هذا البشر الكثير وهذا العالم الضخم، لا يُغنون عنك من الله شيئًا، إنهم مساكين، إنهم كلهم محتاجون إلى الله، إنهم يطلبون رزقهم صباحَ مساء، ويطلبون سعادتهم وصحتهم وعافيتهم وأشياءهم وأموالهم ومناصبهم من الله الذي يملك كل شيء.

﴿ يا أيها الناسُ أنتمُ الفقراءُ إلى الله واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ ﴾. إن عليك أن تعلم علم اليقين أنه لا يهديك ولا ينصرك، ولا يحميك ولا يتولاك، ولا يحفظك، ولا يمنحك إلا الله، إن عليك أن توحِّد اتجاه القلب، وتفرد الرب بالوحدانية والألوهية والسؤال والاستعانة والرجاء، وأن تعلم قدْر البشر، وأن المخلوق يحتاج إلى الخالق، وأن الفاني يحتاج إلى الباقي، وأن الفقير يحتاج إلى الغني، وأن الضعيف يحتاج إلى القوي، والقوة والغنى والبقاء والعزّة المطلقة يملكها الله وحده.

إذا علمتَ ذلك، فاسعدْ بقربه وبعبادته والتبتل إليه، إن استغفرتَه غفر لك، وإن تبتَ إليه تاب عليك، وإن سألتَه أعطاك، وإن طلبتَ منه الرزق رزقك، وإن استنصرتَه نصرك، وإن شكرتَه زادك.

ارض عن الله عز وجل

من لوازم «رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا» أن ترضى عن ربك سبحانه وتعالى، فترضى بأحكامه، وترضى بقضائه وقدره، خيره وشره، حلوه ومره.

إن الاغترارة بالإيمان بالقضاء والقدر ليست صحيحة، وهي أن ترضى فحسب عند موافقة القضاء لرغباتك، وتتسخط إذا خالف مرادك وميلك، فهذا ليس من شأن العبد.

إن قومًا رضوا مرهم في الرخاء، وسخطوا في البلاء، وانقادوا في النعمة، وعاندوا وقت الشدة، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة».

لقد كان الأعراب يُسلمون، فإذا وجدوا في الإسلام رغد، ونزول غيث، ودر لبن، وبرت عشب، قالوا: هذا دين خير، فتمادوا وحافظوا على دينهم.

فإذا وجدوا الأخرى، جدبًا وقحطًا وجدبًا واضمحلالًا في الأموال وهلاك للمواشي، ارتدوا على أعقابهم وتركوا رسالتهم ودينهم.

[illegible]

إن مَن يرشحه الله للعبوديّة ويصطفيه للخدمة ويجتبيه لسدانة المِلّة، ثم لا يرضى بهذا الترشيح والاصطفاء والاجتباء، لهو حقيق بالسقوط الأبدي والهلاك السّرمدي: ﴿ آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾، ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾.

إن الرّضا بواية الديانة الكبرى، منها يلجُ المتربّون إلى ربّهم، الفرحون بهداه، المنقادون لأمره، المستسلمون لحكمه.

قسّم ﷺ غنائم حُنَين، فأعطى كثيراً من رؤساء العرب ومتأخري العرب، وترك الأنصار، ثقة بما في قلوبهم من الرضى والإيمان واليقين والخير العميم، فكأنهم عتبوا لأن المقصود لم يظهر لهم، فجمعهم ﷺ وفسّر لهم السرّ في المسألة، وأخبرهم أنه معهم، وأنه يحبّهم، وإنه ما أعطى أولئك إلا تأليفاً لقلوبهم، لنقْص ما عندهم من اليقين، وأما الأنصار فقال لهم: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وتنقلبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟! الأنصار شعار، والناس دثار، رحم الله الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، لو سلك الناس شعْباً ووادياً، وسلك الأنصار شعبا ووادياً لسلكتُ وادي الأنصار وشعْب الأنصار». فغمرتْهم الفرحة، وملأتْهم المسرّة، ونزلت عليهم السكينة، وفازوا برضا الله ورضا رسوله ﷺ.

إن الذين يتطلّعون إلى رضوان الله ويتشوّقون إلى جنّة عرضها السماوات والأرض، لا يقبلون الدنيا بحذافيرها بدلاً من هذا الرضوان، ولا عوضاً عن هذا النوال العظيم.

أسلم أعرابيٌ بين يدي رسول الله ﷺ فأعطاه ﷺ بعض المال، فقال: يا رسول الله، ما على هذا بايعتُك. فقال رسول الله ﷺ: **على ماذا بايعتني؟**.. قال: بايعتُك على أن يأتيني سهم طائش فيقع هنا (وأشار إلى حلقه) ويخرج من هنا (وأشار إلى قفاه)، قال له: **إن تصدُق الله يصدقك**.. وحضر المعركة، وجاءه سهم طائش ونفذ من نحره، ولقي ربَّه راضياً مرضيًا.

ما المالُ والأيامُ ما الدُّنيا وما ... تلك الكنوزُ من الجواهر والذهبْ

ما المجدُ والقصرُ المنيفُ وما المنى ... ما هذه الأكدارُ من أغلى النشبْ

لا شيء كلُّ نفيسةٍ مرغوبةٍ ... تفنى ويبقى اللهُ أكرمُ من وهبْ

ووزَّع ﷺ ذات يوم أموالاً، فأعطى أناساً، قليلي الدين، ضحلي الأمانة، مقلِّين في عالم المثل، وترك أناساً ثُلمتْ سيوفهم في سبيل الله، وأُنفقت أموالهم، وجُرحت أجسامهم في الجهاد والذبِّ عن الملَّة، ثم قام ﷺ خطيبا في المسجد وأخبرهم بالأمر، وقال لهم: **إني أعطي أناساً لما جعل الله في قلوبهم من الجزع والطمع، وأدعُ أناساً لما جعل الله في قلوبهم من الإيمان - أو الخير - منهم: عمرو بن تغلب**.. فقال عمرو بن تغلب: كلمة ما أريد أنَّ لي بها الدنيا وما فيها.

إنه الرضا عن الله عزَّ وجل، الرضا عن حكْم رسوله ﷺ، طلب ما عند الله، إنَّ الدنيا لا تساوي عند الصحابي الواحد كلمة راضية باسمة منه ﷺ.

لقد كانت وُعود الرسول ﷺ لأصحابه ثوابا من عند الله، وجنة عند ورضوانا منه، لم يَعِد ﷺ أحدا منهم بقصر أو ولاية إقليم أو حديقة، كان

يقول لهم: من يفعل كذا وله الجنة؟ ولآخر: وهو رفيقي في الجنة؟ لأن البذل الذي بذلوه والمال الذي أنفقوه والجهد الذي قدّموه، لا جزاء له إلا في الدار الآخرة، لأن الدنيا بما فيها لا تكافئ المجهود الضخم؛ لأنها ثمن بخيس، وعطاء رخيص وبذل زهيد.

وعند الترمذي: يستأذن عمر - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ في العمرة، قال: **لا تنسنا من دعائك يا أخي**.

وقائل هذه الكلمة هو رسول الهدى ﷺ، الإمام المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، ولكنها كلمة عظيمة وثمينة ونفيسة، قال عمر فيما بعد: كلمة ما أريد أن لي بها الدنيا وما فيها.

ولك أن تشعر أن رسول الله ﷺ، قال لك أنت بعينك: لا تنسنا من دعائك يا أخي:

هجرنا ونام الركبُ والليلُ مسرف ... وما نمتُ عن ذكراك يا أكرم البشرْ

لأنك أفعمت القلوب محبة ... وكحلت أجفان الليالي سنا القمرْ

كان رضا رسول الله ﷺ عن ربه فوق ما يصفه الواصفون، فهو راض في الغنى والفقر، راض في السلم والحرب، راض وقت القوة والضعف، راض وقت الصحة والسقم، راض في الشدة والرخاء.

عاش ﷺ مرارة اليتم، وأسى اليتم، ولوعة اليتم فكان راضيا، واقتُتر ﷺ حتى ما يجد دقل التمر - أي رديئه - وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويقترض شعيرا من يهودي ويرهن درعه عنده، وينام على الحصير

فيؤثر في جنبه، وتمرُّ ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله، ومع ذلك كان راضياً عن الله رب العالمين: «تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً».

ورضي عن ربه وقتَ المجابهة الأولى، يوم وقف هو في حزب الله، ووقفت الدنيا - كل الدنيا - تحاربه بخيلها ورجلها، بغناها بزخرفها، بزهوها بخيلائها، فكان راضياً عن الله. رضي عن الله في الفترة الحرجة، يوم مات عمُّه ومماتت زوجتُه خديجة، وأوذي أشدَّ الأذى، وكُذب أشد التكذيب، وخُدشت كرامته، ورُمي في صدقه، فقيل له: كذَّاب، وساحر، وكاهن ومجنون، وشاعر.

ورضي يوم طُرد من بلده، ومسقط رأسه، فيها مراتع صباه، وملاعب طفولته، وأفانين شبابه، فيلتفت إلى مكة وتسيل دموعه، ويقول: «إنك أحبُّ بلاد الله إليَّ، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ».

ورضي عن الله وهو يذهب إلى الطائف ليعرض دعوته، فيُواجَه بأقبح ردٍّ، وبأسوأ استقبال، ويُرمى بالحجارة حتى تسيل قدماه، فيرضى عن مولاه.

ويرضى عن الله وهو يخرج من مكة مرغماً، فيسير إلى المدينة ويطارد بالخيل، وتُوضع العراقيل في طريقه أينما ذهب.

يرضى عن ربه في كلِّ موطن، وفي كل مكان، وفي كل زمان.

يحضر أُحُداً فيُشجُّ رأسُه، وتُكسر ثنيته، ويُقتل عمُّه، ويُذبح أصحابه، ويُغلب جيشُه، فيقول: «صفوا وراءي لأُثني على ربي».

يرضى عن ربه وقد ظهر حلف كافر ضدٌ من المنافقين واليهود والمشركين، فيقف صامداً متوكلاً على الله، مفوضاً الأمر إليه.

وجزاء هذا الرضا منه ﷺ: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾.

هتافٌ في وادي نخلة

أُخرج محمدٌ المعصوم ﷺ من مكة حيث أهله وأبناؤه ودار ووطنه، طُرد طرداً وشُرِّد تشريداً، والتجأ إلى الطائف فقوبل بالتكذيب وجُوبه بالجحود، وتهاوت عليه الحجارة والأذى والسبُّ والشتم.

فعيناه بدموع الأسى تكفان، وقدماه بدماء الطهر تنزفان، وقلبه بمرارة المصيبة يلعج. فإلى مَن يلتجئ؟ ومَن يسأل؟ وإلى من يشكو؟ وإلى من يقصد؟ إلى الله، إلى القوي إلى القهار، إلى العزيز، إلى الناصر.

استقبل محمد ﷺ القبلة، وقصد ربه، وشكر مولاه، وتدفق لسانه بعبارات الشكوى وصادق النجوى وأحرِّ الطلب، ودعا وأنَّ وبكى، وشكا وتظلَّم وتألَّم.

المأقي من الخطوب بكاءُ ... والمآسي على الخدود ظماءُ

وشفاءُ الأيام تلتمس وجهاً ... تختفيه الرعودُ والأنواءُ

اسمع سؤال النبي ﷺ مولاه وإليه ليلة نخلة، إذ يقول: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين،

ورب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى قريب يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك علي غضبٌ فلا أبالي. غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

جوائز للرعيل الأول

• لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا •.

هذه غاية ما يتمناه المؤمنون وما يطلبه الصادقون وما يحرص عليه المفلحون.. رضوان الله وكفى، ولا أجلّ من ذلك ولا أرفع ولا أسمى، ولا أثمن من رضوان الله. ان الرضا أجلّ المطالب وأنبل المقاصد وأسمى المواهب.

هنا في هذه الآية جاء رضا الله، بينما ذكر في موضع آخر الغفران: • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر •. وفي موطن ثان التوبة: • لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار •. وفي ثالث العفو: • عفا الله عنك لم أذنت لهم •.

أما هناء فالرضوان المحقّق. لأنهم يبايعونك تحت الشجرة وعلم الله ما في قلوبهم. فبيعتهم بيعة لأرواحهم الثمينة عندهم لتزهق لمرضاة الملك

الحق، وبيعة لأنفسهم النفيسة لتذهب لمرضاة الواحد القهار، وبيعة لوجودهم وحياتهم، لأنّ في عدمهم حياة للرسالة، وفي فنائهم خلودا للملة، وفي ذهابهم بقاء للميثاق.

وعلم ما في قلوبهم من الإيمان المكين والمعتقد المتين، والإخلاص الصافي والصدق الوافي. لقد تعبوا وسهروا، وجاعوا وظمئوا، وحسابهم الضرر والضيق، والمشقة والعنت، لكنه رضي عنهم.

لقد فارقوا الأهل والأموال والأولاد والديار، وذاقوا مرارة الفراق ولوعة الغربة، ووعثاء السفر وكآبة الارتحال، لكنه رضي عنهم.

لقد شُرِّدوا وطُردوا وفُرِّقوا وأُخيفوا واضطهدوا، لكنّه رضي عنهم.

هل جزاء هؤلاء المجاهدين والمناضلين عن الملة غنائم من إبل وبقر وغنم؟ هل مكافأة هؤلاء المناضلين عن الرسالة المدافعين عن الدين عروض مالية؟ هل تظنّ أنه يليق بجليل هؤلاء الصفوة المختارة والنخبة المصطفاة دراهم معدودة أو بساتين غناء أو دور مفروشة؟ لا.

[illegible] وحزنهم سما صبروا [illegible] لكنهم فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا [illegible] وتتلألأ وجوههم نضرة ناعمة [illegible]

الرضا ولو على جمر الغضا

خرج رجل من بني عبْس يبحث عن إبله التي ضلّت، فذهب والتمسها، ومكث ثلاثة أيام في غيابه، وكان هذا الرجل غنيًا، أعطاه الله ماشاء من المال والإبل والبقر والغنم والبنين والبنات، وكان هذا المال والأهل في منزل رخْب، على ممرٍّ سيْل في ديار بني عبس، في رغد وأمن وأمان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبناؤه أن الحوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقد الليل مسروراً بأوّله ... إنّ الحوادث قد يطْرقْن أسْحارا

نام الأهل جميعاً كبارهم وصغارهم، معهم أموالهم في أرض مستوية، ووالدهم غائب يبحث عن ضالّته، وأرسل الله عليهم سيْلاً جارفاً لا يلوي على شيء، يحمل الصخور كما يحمل التراب، ومرّ عليهم في آخر الليل، فاجتاحهم جميعاً، واقتلع بيوتهم من أصلها، وأخذ الأموال معه جميعاً، وأخذ الأهل جميعاً، وزهقتْ أرواحهم مع تدفّق الماء، وصاروا أثراً بعدَ عَيْن، فكأنهم لم يكونوا، صاروا حديثاً يُتلى على اللسان.

وعاد الأب بعد ثلاثة أيام إلى الوادي، فلم يُحِسّ أحداً، ولم يسمع رافداً، لا حيّ ولا ناطق ولا أنيس، المكان قاع صفصف، يا الله!! يا للداهية الدهياء!! لا زوجة لا ابن لا ابنة، لا ناقة لا شاة لا بقرة، لا درهم لا دينار، لا ثوب لا شيء، إنها مصيبة!!

وزيادة في البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فأعمى عينيه. وأخذ الرجل يصيح في الصحراء علّه أن يجد رجلاً يقوده إلى مكان يأوي إليه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابي آخر، فأتى إليه وقاده، وذهب به إلى الوليد بن عبدالملك الخليفة في دمشق، وأخبره الخبر. فقال: كيف أنت؟ قال: رضيتُ عن الله.

وهي كلمة كبيرة عظيمة، يقولها هذا المسلم الذي حمل التوحيد في قلبه، وأصبح آية للسائلين، وعِظةً للمتَّعظين، وعبرة للمعتبرين.

والشاهد: الرضا عن الله.

والذي لا يرضى ولا يسلّم للمقدّر، فإن استطاع أن يبتغيَ نفقاً في الأرض أو سُلَّماً في السماء، وإن شاء: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

وقفـــة

قال أبو علي بن الشبل:

وإذا هممتَ فتاح نفسك بالمنى ... وعُدا فخيراتُ الجنان عداتُ

واجعلْ رجاءك دون يأسك جُنَّةً ... حتى تزول بهمك الأوقاتُ

واسترْ عن الجلساء بثك إنما ... جلساؤك الحسّادُ والشُّمَاتُ

ودع التوقُّع للحوادث إنه ... للحيِّ من قبل الممات ممات

فالهمُّ ليس له ثباتٌ مثل ما ... في أهله ما للسرور ثباتُ

لولا مغالطة النفوس عقولها ... لم تصفُ للمتيقظين حياةُ

اتخاذُ القرار

﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾.

﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾.

إن كثيراً منا يضطرب عندما يريد أن يتخذ قراراً. فيصيبه القلق والحيرة والإرباك والشكُّ. فيبقى في ألمٍ مستمر وفي صداع دائم. إن على العبد أن يشاور وأن يستخير الله. وأن يتأمَّل قليلاً. فإذا غلب على ظنه الرأي الأصوب والمسلك الأحسن أقدمَ بلا إحجام. وانتهى وقت المشاورة والاستخارة. وعزم وتوكَّل. وصمَّم وجزم. لينهي حياة التردُّد والاضطراب.

لقد شاور ﷺ الناس وهو على المنبر يوم أُحُد. فأشاروا عليه بالخروج. فلبس لأمته وأخذ سيفه. قالوا: لعلَّنا أكرهناك يا رسول الله؟ لو بقيتَ في المدينة. قال: **«ما كان لنبي إذا لبس لأمته ان ينزعها حتى يقضي الله بينه وبين عدوه»**. وعزم ﷺ على الخروج.

إن المسألة لا تحتاج إلى تردد. بل إلى مضاء وتصميم وعزم أكيد. فإن الشجاعة والبسالة والقيادة في اتخاذ القرار.

تداول ﷺ مع أصحابه الرأيَ في بدر: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾، ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾، فأشاروا عليه، فعزم ﷺ وأقدم، ولم يلو على شيء.

إن التردُّد فسادٌ في الرأي، وبرودٌ في الهِمَّة، وخورٌ في التصميم، وشتات للجهد، وإخفاق في السَّير، وهذا التردُّد مرض لا دواء له إلا العزم والجزم والثبات، أعرف أناساً من سنوات وهم يُقدمون ويُحجمون في قرارات صغيرة، وفي مسائل حقيرة، وما أعرف عنهم إلا روح الشك والاضطراب، في أنفسهم وفي مَن حولهم.

إنهم سمحوا للإخفاق أن يصل إلى أرواحهم فوصل، وسمحوا للتشتُّت ليزور أذهانهم فزار.

إنه يجب عليك بعد أن تدرس الواقعة، وتتأمَّل المسألة، وتستشير أهل الرأي، وتستخير رب السماوات والأرض، أن تُقدم ولا تُحجم، وأن تُنفذ ما ظهر لك عاجلا غيرَ آجل.

وقف أبوبكر الصدِّيق يستشير الناس في حروب الردة، فأشار الناس كلهم عليه بعدم القتال، لكنَّ هذا الخليفة الصدِّيق انشرح صدره للقتال، لأن هذا إعزاز للإسلام، وقطْع لدابر الفتنة، وسحْق للفئات الخارجة على قداسة الدين، ورأى بنور الله أن القتال خير، فصمَّم على رأيه، وأقسم: والذي نفسي بيده، لأُقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه لرسول الله ﷺ لقاتلتُهم عليه، قال عمر: فلما علمتُ أن الله شرح صدر أبي بكر، علمتُ أنه الحقُّ، ومضى وانتصر وكان رأيه الطيب المبارك، الصحيح الذي لا لُبْس فيه ولا عِوَج.

إلى متى نضطرب؟ وإلى متى نراوح في أماكننا؟ وإلى متى نتردد في اتخاذ القرار؟

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

إن من طبيعة المنافقين إفشال الخطة بكثرة تكرار القول، وإعادة النظر في الرأي: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾. ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾.

إنهم يصطحبون «لو» دائماً، ويحيون «ليت»، ويعشقون «لعل»، فحياتهم مبنية على التسويف، وعلى الإقدام والإحجام، وعلى التذبذب، ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾.

مرة معنا ومرة معهم، مرة هنا ومرة هناك.

كما في الحديث: «كالشاة العائرة بين القطيعين من الغنم»، وهم يقولون في أوقات الأزمات: ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾. وهم كاذبون على الله كاذبون على أنفسهم، فهم يسرون وقت الأزمة، ويأتون وقت الرخاء. وأحدهم يقول: ﴿ائذن لي ولا تفتني﴾. إنه لم يتخذ إلا قرار الفشل والإحباط. ويقولون في الأحزاب: ﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة﴾. ولكنه التخلص من الواجب، والتملص من الحق المبين.

اثبتْ أحْد

إن من طبيعة المؤمن: الثبات والتصميم والجزم والعزم. ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾. أما أولئك: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾. وفي قرارهم يضطربون. وعلى أدبارهم ينكصون. ولعهودهم ينقضون. إن عليك أيُّها العبد إذا لمع بارق الصواب. وظهر لك غالب الظن. وترجّح لديك النفع. أن تُقدم بلا التواء ولا تأخُّر.

اطْـرحْ ليتاً وسـوفاً ولعـلْ ... وامضِ كالسيف على كفّ البطلْ

لقد تردّد رجل في طلاق زوجته التي أذاقته الأمرّين. وذهب إلى حكيم يشتكيه. قال: كم لك من سنة مع هذه الزوجة؟ قال: أربع سنوات. قال: أربع سنوات وأنت تحتسي السُّمّ؟!

صحيح أن هناك صبراً وتحمُّلاً وانتظاراً. لكن إلى متى؟ إن الفطن يعلم أن هذا الأمر يتمُّ أو لا يتم. يصلح أو لا يصلح. يستمر أو لا يستمر. فلْيتخذْ قراراً.

والشاعر يقول:

وعـلاجُ مـا لا تشْـتهيـ ... ـه النفسُ تعجيلُ الفراق

والذي يظهر من السَّبْر واستقراء أحوال الناس. أن الإرباك والحيرة يأتيهم في مواقفَ كثيرة. لكن غالب ما يأتيهم في أربع مسائل:

الأولى: في الدراسة واختيار التخصُّص. فهو لا يدري أيُّ قسم يسلكه. فيبقى في ذلك فترة. وعرفتُ طُلاّباً ضيَّعوا سنوات بسبب تردُّدهم في الأقسام. وفي الكليات. فيبقى بعضهم متردداً قبل التسجيل. حتى يفوته

التسجيل. وبعضهم يدخل في قسم سنة أو سنتين. فيرتضي الشريعة ثم يرى الاقتصاد، ثم يعود إلى الطب، فيذهب عمره شَذَرَ مَذَرَ.

ولو أنه درس أمره وشاور واستخار الله في أول أمره، ثم ذهب لا يلوي على شيء، لأحرز عمرَه وصان وقته. ونال ما أراد من هذا التخصُّص.

الثانية: العمل المناسب، فبعضهم لا يعرف ما هو العمل الذي يناسبه. فمرة يعتنق وظيفة، ثم يتركها ليذهب إلى شركة. ثم يهجر الشركة إلى عمل تجاري بحت. ثم يحصل على العدم والإفلاس والفقر ثم يلزم بيته مع صفوف العاطلين.

وأقول لهؤلاء: من فُتح له باب رزق فليلزمْهُ، فإنَّ رزقه من هذا المكان، ومن لزم باباً أُوتي سهولته وفتحه وحكمته.

الثالثة: الزواج، وأكثر ما يأتي الشباب الحيرة والاضطراب في مسألة اختيار الزوجة، وقد يدخل رأي الآخرين في الاختيار، فالوالد يرى لولده امرأة غير التي يراها الابن أو التي تراها الأم، فربما وافق الابن رغبة والده، فيحصل ما لا يريده، وما لا يحبه، وما لا يقدمه.

ونصيحتي لهؤلاء أن لا يُقدموا في مسألة الزواج بالخصوص إلا على ما يرتاحون إليه في جانب الدين والحسن والموافقة، لأن المسألة مسألة مصير امرأة لا مكان للمجازفة بها.

الرابعة: تأتي الحيرة والاضطراب في مسألة الطلاق، فيوماً يرى الفراق، ويوماً يرى المعايشة، ويوماً يرى أن يُنهي المعايشة. وآخر يرى أن

يقطع الحبْل. فيصيبه من الاعياء. وخُمْنى الروح. وفساد الراي. وتشتُّت الأمر. ما الله به عليم.

إن على العبد أن يُنهي هذه الضوائق النفسية بقراره الصارم. إن العمر واحد. وإن اليوم لن يتكرّر. وإن الساعة لن تعود. فعليه أن يعيشها سعادة يشارك فيها بنفسه. يشارك بنفسه في استجلاب هذه السعادة. وتأتي هذه السعادة باتخاذ القرار. إن العبد المسلم إذا همّ وعزم وتوكل على الله بعد أن يستخير ويُشاور. صار كما قال الأول:

إذا هم ألقى بين عينيه عينه ... واعرض عن ذكر العواقب جانبا

إقدامٌ كإقدام السيل. ومضاء كمضاء السيف. وتصميم كتصميم الدهر. وانطلاق كانطلاق الفجر. ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ﴾.

كما تدين تُدان

عجباً لنا! نريد من الناس ان يكونوا حلماء ونحن نغضب. ونريد منهم أن يكونوا كرماء ونحن نبخل. ونريد منهم الوفاء بحسن الإخاء. ونحن لا نؤدي ذلك.

تريدُ مهذباً لا عيب فيه ... وهل عُودٌ يفوحُ بلا دُخان

وقالوا: مَن لأخيك كلّه.

وقال آخر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه ... على شعث أي الرجال المهذّب

وقال ابن الرومي:

ومن عجب الأيام أنك تبتغي الـ ... ـمهذّب في الدنيا ولست مُهذّبا

وقفة

قال إيليا أبو ماضي:

أيها الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو إذا غدوت عليلا

إنّ شرّ الجناة في الأرض نفسٌ ... تتوقّى قبل الرحيل الرحيلا

وترى الشوك في الورود وتعمى ... أن ترى فوقها الندى إكليلا

هو عبءٌ على الحياة ثقيلٌ ... من يظنّ الحياة عبئاً ثقيلا

والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

فتمتّع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزولا

وإذا ما أظلّ رأسك همٌّ ... فضع البحث فيه كيلا يطولا

أدركت كنهها طيور الروابي ... فمن العار أن تظلّ جهولا

ما تراها والحقل ملك سواها ... تخذت فيه مسرحاً ومقيلا

ضريبة الكلام الخلاب

إن سعادتنا تكمل في قيامنا بواجبنا مع خالقنا، ثم مع خلقه، مع الله ثم مع الإنسان. إن الكلام سهلٌ تطلقه وتحبيره وزخرفته. لكن الأصعب من ذلك صياغته في مُثُلٍ عليا من الصفات الحميدة والأعمال الجليلة. ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

إن الآمرَ بالمعروف التارك له، والناهي عن المنكر الفاعل له، يُوضع - كما في الحديث الصحيح - يوم القيامة في النار، فيدور بأمعائه كما يدور الحمار برَحَاه، فيسأله أهل النار عن سرِّ هلاكه، فقال: كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ

وقف الواعظ الشهير أبو معاذ الرازي، فبكى وأبكى الناس، ثم قال:

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناس بالتقى ... طبيبٌ يداوي الناس وهو عليلُ

كان بعض السلف إذا أراد أن يأمر الناس بالصدقة، تصدَّق هو أولاً، ثم أمرهم، فاستجابوا طواعية.

وقرأتُ أنَّ واعظاً في عهد القرون المفضَّلة، أراد أن يأمر الناس بالعتق، وقد طلب منه كثير من الرقيق ان يسأل الناس ذلك، فجمع نقوداً في وقت طويل ثم أعتق رقبةً، ثم أمَّ فأمر بالعتق، فاقتدى الناسُ وأعتقوا رقاباً كثيرة.

الراحة في الجنة

﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾.

يقول أحمد بن حنبل. وقد قيل له: متى الراحة؟ قال: إذا وضعت قدمك في الجنة ارتحت.

لا راحة قبل الجنة. هنا في الدنيا إزعاجات وزعازع وفتن وحوادث ومصائب ونكبات. مرض وهمٌ وغمٌ وحزن ويأس.

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار

أخبرني زميل دراسة من نيجيريا. وكان رجلاً صاحب أمانة. أخبرني أن أمّه كانت تُوقظه في الثلث الأخير. قال: يا أمّاه. أريد الراحة قليلاً. قالت: ما أوقظك إلا لراحتك. يا بني إذا دخلتَ الجنة فارتحْ.

كان مسروق. أحد علماء السلف. ينام ساجداً. فقال له أصحابه: لو أرحتَ نفسك. قال: راحتها أريد.

إن الذين يتعجّلون الراحة بترك الواجب. إنما يتعجّلون العذاب حقيقة.

إن الراحة في أداء العمل الصالح. والنفع المتعدّي. واستثمار الوقت فيما يقرّب من الله.

إن الكافر يريد حظّه هنا. وراحته هنا. ولذلك يقولون: ﴿ ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب ﴾.

قال بعض المفسّرين: أي: نصيبنا من الخير وحظّنا من الرزق قبل يوم القيامة.

﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ﴾. ولا يفكّرون في الغد ولا في المستقبل. وبذلك خسروا اليوم والغد، والعمل والنتيجة، والبداية والنهاية.

وهكذا خُلقت الحياة. خاتمتُها الفناء. فهي شرب مكدّر. وهي مزاج ملوّن لا تستقرُّ على شيء. نعمة ونقمة، شدّة ورخاء، غنى وفقر.

يقول أحدهم:

نطوف ما نطوف ثم يأوي ... ذوو الأموال منا والعديم

إلى حفر أسافلهن جوفٌ ... وأعلاهن صفاحٌ مُقيم

هذه هي النهاية:

﴿ ثم رُدّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحُكم وهو أسرع الحاسبين ﴾.

وقفة

قال إيليا أبو ماضي:

كم تشتكي وتقول إنك معدم ... والأرضُ ملكُك والسما والأنجمُ؟

ولك الحقول وزهرها وأريجها ... ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضّةٌ رقراقةٌ ... والشمسُ فوقك عسجدٌ يتضرم

والنور يبني في السفوح وفي الذرا ... دوراً مزخرفةً وحيناً يهدم

هشّت لك الدنيا فما لك واجماً؟ ... وتبسّمت فعلام لا تتبسّم؟

إن كنت مكتئبا لعز قد مضى هيهات يرجعه إليك تندم

أو كنت تشفق من حلول مصيبة هيهات يمنع أن يحل تجهم

أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل شاخ الزمان فإنه لا يهرم

انظر فما زالت تطل من الثرى صور تكاد لحسنها تتكلم

الرفق يعين على حصول المقصود

مرّت آثار ونصوص في الرفق. والرفق شفيع لا يُردُّ في طلب الحاجات. ولك ان تعلم أن الطريق الضيق بين جدارين. الذي لا يتسع إلا لمرور سيارة واحدة فحسب. لا تدخلها هذه السيارة إلا برفق من قائدها وحذر وتوقّ. بينما لو أقبل بها مسرعاً وأراد المرور من هذا المكان الضيق لأصطدم بمنة ويسرة وتعطلت سيارته. والطريق لم يزد ولم ينقص. والسيارة هي هي. لكنّ الطريقة هي التي اختلفت. تلك برفق وهذه بشدّة. والشجرة الصغيرة التي نغرسها في حوض فناء أحدنا. إذا سكبت عليها الماء شيئاً فشيئاً تشرب منه وينفعها. فإذا أخذت كمية من هذا الماء بعينه وحجمه وألقيته دفعة واحدة لاقتلعت هذه النبتة من مكانها. إن كمية الماء واحدة ولكن الأسلوب تغيّر.

إن من يخلع ثوبه برفق يضمن سلامة ثوبه. خلاف من يجذبه بقوة ويسحبه بسرعة. فإنه يشكو من تقطّع أزراره وتمزّقه.

ومن اللطائف في انكشاف عدم صدق إخوة يوسف في مجيئهم بثوبه، وزعمهم أن الذئب أكله: أنهم خلعوا الثوب برفق فلم يحصل فيه شقوق، ولو أكله الذئب كما زعموا لمزّق الثوبَ كلُّ ممزّقٍ، ولم يخلّعه خلعاً.

إن حياتنا تحتاج إلى رفق، نرفق بأنفسنا: «وإن لنفسك عليك حقّاً»، نرفق بإخواننا: «إن الله رفيق يحب الرفق»، نرفق بالمرأة: «رفقاً بالقوارير».

على الجسور الخشبية التي بناها الأتراك على ممرات الأنهار، مكتوب في أول الجسر: رفقاً رفقاً، لأن المارَّ بهدوء لا يسقط، أما المسرع فجدير أن يهوي إلى مستقر النهر.

وفي مذكّرات لأديب سوري كان يسكن في مدينة «سلمية» وله دراجة نارية، أراد أن يعبر بها على جسر بناه الأتراك من الخشب على النهر، وهم ينوّه لمن أراد أن يمشي بدراجته متئداً متأنياً، قال هذا الرجل: فذهبتُ مسرعاً على جسري، فلما أصبحتُ من أعلى الجسر متوسّطاً النهر، نظرتُ يمنة ويسرة، وأنا لم أرفق بنفسي ولا بدراجتي فاضطربتْ بي، واختلّ نظري، فوقعتُ بدراجتي في النهر... وكانت قصة طويلة.

إن على مداخل حدائق الزهور والورود في بعض مدن أوروبا: لوحةً مكتوب فيها: «ترفّق»، لأن الداخل مسرعاً لا يرى ذاك النبت الجميل ولا يضمن سلامة ذاك الورد الباهي، فيحصل الدعس والدفس والإبادة، لأنه ما رفق ولا تأنّى.

هناك معادلة تربوية تقول: إن العصفور لا يترفّق كالنحلة. وفي الحديث: «المؤمن كالنحلة، تأكل طيباً وتضع طيباً، وإذا وقعت على عُود لم تكسره». فالنحلة لا تُحسُّ بها الزهرة أبداً، وهي تلمق الرحيق بهدوء، وتنال مطلوبها برفق. والعصفور على ضآلة جسمه يخبر الناس بنزوله على سنابل، فإذا أراد النزول سقط سقوطاً، ووثب وثْباً.

ولا أزال أذكر قصة الرسّام الهندي، وقد رسم لوحة بديعة الحسن، ملخّصها: سنبلة قمح عليها عصفور قد وقع، وهذه السنبلة مليئة بالحَبّ، مترعرعة النمو، باسقة الطول، وعلّقها المَلِك على جدار ديوانه، ودخل الناس يهنّئون الملك بهذه اللوحة ويشكرون الرسّام على حسنها، ودخل رجل فقير مغمور في وسط الزحام فاعترض على اللوحة، وأخبر أنها خطأ، وضجّ الناس به وصخِبُوا، لأنه خالف الإجماع، فاستدعاه الملك برفق، وقال: ما عندك؟ قال: هذه اللوحة خطأ رسمها، وغلط عرْضها، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الرسام رسَم العصفور على السنبلة وترك السنبلة مستقيمة ممتدة، وهذا خطأ، فإن العصفور إذا نزل على سنبلة القمح أمالها، وأخضعها، لأنه ثقيل لا يملك الرفق. قال الملك: صدقتَ، وقال الناس: صدقتَ، وأنزل اللَّوْحة، وسُحبت الجائزة من الرسام.

إن الأطباء يُوصون بالرفق في تناول العلاج، وفي مداولة العمل والأخذ والعطاء.

فذاك يقلع ظُفْرَه بيده، وذاك يباشر كسر سِنّه بنفسه، وآخر يَغُصّ باللقمة، لأنه أكبرها وما أحسن مضغها.

إن الماء يترفّق ويتدفّق، وإن الريح تُزمجرُ فتدمّر. قرأتُ لبعض السلف أنه قال: إن من فقه الرجل رفقه في دخوله منزله وخروجه منه، وارتداء ثوبه وخلع نعله وركوب دابته.

إن العَجلة والهوج والطيْش في أخذ الأمور وتناول الاشياء، كفيلةٌ بحصول الضرر وتفويت المنفعة، لأن الخير بُني على الرفق. **ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، وما نُزع الرفق من شيء إلاّ شانه**..

إن الرفق في التعامل تُذعن له الأرواح، وتنقاد له القلوب، وتخشع له النفوس.

إن الرفيق من البشر مفتاح لكل خير، تستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحاقدة، وقد ما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ».

ترفّقْ أيُّها القمرُ المنيرْ ... ولا تسكْ كالرياح لها زئيرْ

فإنك بالسناء ملأت وجهي ... ووجهُك في دياجينا نضيرْ

وتلك الريحُ هاجتْ في عتوْ ... فزلزلت المنازلَ والقصورْ

وقفـــة

طه حسين يتحدّث عن نفسه بصيغة الغائب:

«كان يرى نفسه إنساناً من الناس وُلد كما يُولدون، وعاش كما يعيشون، يتسلّم الوقت والنشاط فيما يتسلّمون فيه وقتهم ونشاطهم، ولكنه لم يكن يأنس إلى أحد، ولم يكن يطمئنّ إلى شيء، قد ضُرب بينه وبين الناس والأشياء حجابٌ، ظاهره الرضا والأمن، وباطنه من قِبَله السخط والخوف والقلق واضطراب النفس، في صحراء موحشة لا تحدُّها الحدود، ولا تقوم فيها الأعلام، ولا يتبيّن فيها طريقه التي يمكن أن يسلكها، وغايته التي يمكن أن ينتهي إليها».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنها تمرُّ بالقلب لحظات من السرور أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا العيش، إنهم لفي عيش طيّب».

وقال إبراهيم بن أدهم: «نحن في عيش لو علم به الملوك لجالدونا عليه بالسُّيوف».

لا ينفعُك القلقُ شيئاً

مقصودي من سرد هذا الحديث ان اصل إلى نتيجة، مؤدّاها أن على العبد أن لا يقلق، وأن يسلّم للقضاء، وأن يرضى عن اختيار ربه له، وأن لا يندم على الماضي.

كنت في الابتدائية أتوق لترتيب متقدّم بين زملائي، فأجهد نفسي في المذاكرة، فإذا قدّمت ورقة الامتحان بقيتُ قلقاً فزِعاً خائفاً من النتيجة، أعيد إجابة الأسئلة في البيت، وأضع لنفسي درجات، وأصحّح إجاباتي، وأقلم من القلق أظفاري بأسناني، ثم تظهر النتيجة، حيناً ترضيني وحيناً تسوؤني، وما أذكر مرة من المرّات أنّ قلقي زاد في درجاتي، ولا صحّح إجابتي، ولا قدّم ترتيبي.

فعشتُ ولا أبالي بالرزايا ... لأنّي ما انتفعتُ بأنْ أبالي

الراحة مع الكفاف

ذهبتُ إلى معهد الرياض العلمي، وتركتُ أهلي في الجنوب، وسكنتُ مع أعمامي على شظف من العيش، وجهد من الدراسة، ومعاناة من المواصلات وشؤون البيت، كنتُ أمشي على قدمي كل صباح ما يقارب ثلث ساعة إلى نصف ساعة، وأعود في الظهيرة ماشياً بنفس الزمن أو أطوَل. كنتُ أشارك مَن معي في الطبخ صباحاً وظهراً ومساءً، وأكنس البيت وأغسله، وأُصلح الأثاث، وأرتّب المطبخ، وأذاكر دروسي، وأشارك في نشاط المعهد، أحصل على درجات مُرْضِيَة، وترتيب مريح، كان لي ثوب واحد ليس إلاّ، أغسله وأكويه وأرتديه، فهو للبيت وللدراسة ولحضور الحفلات، لأن المكافأة كانت ضئيلة، ونفقة الطعام وإيجار البيت ولوازم المعيشة تأتي على هذه المكافأة، كنا نشتري قليلاً من اللحم، ونادراً ما نذوق الفاكهة، ونحن في عمل دؤوب من المذاكرة والحفظ والاطلاع، لا أجد فراغاً إلاّ مرة كل شهر أو أكثر

للنزهة. كانت المواد الدراسية ما يقارب سبع عشرة مادة، وقد أُدخل علينا الإنجليزي والهندسة والجبر والعلوم بأنواعها، زيادة على مواد الدين والعربية. وبدأتُ من (أولى متوسط) أستعير كتب الأدب من المعهد العلمي. وكنتُ إذا بدأتُ بكتاب الأدب كانني في غيبوبة عن جلساتي، لكثرة الانسجام.

والشاهد من هذا الحديث: أنني كنتُ مع هذا الشظف والنصب والمشقة وقلّة ذات اليد في سعادة، أنام قرير العين، هادئ البال، راضي النفس، ثم استمرت الحياة فوجدتُ - والحمد لله - سكناً مريحاً، وطعاماً كثيراً، وأنواعاً من الملابس، ورغداً من العيش. ولكنني لم أكن في نفسيتي الأولى، كثُرت المشاغل والمزعجات والكدّر، وهذا دليل على أن وفرة الشيء ليست هي السعادة والراحة، ولذلك لا تظنَّ أن سبب حزنك وهمّك وغمّك قلةُ ذات يدك، أو عدم توفُّر أسباب الرفاهية في حياتك، فإنّ هذا ليس بصحيح. فغالب الذين يعيشون الكفاف أسعدُ حالاً من غالب الأثرياء.

توقُّعُ أسوأ الاحتمالات

كنتُ في أولى ثانوي بمعهد أبها، حرصتُ كلّ الحرص على التقدُّم في الترتيب، ونافستُ على الأول، ووطّنتُ نفسي على المركز الثاني، وكان مجموع الدرجات يمنحني تقدير الامتياز، ولكنْ ماذا تتوقع بعد مذاكرتي وجهدي وسهري؟ ظهرت النتيجة ولكن مع الناجحين، رسبتُ في مادة

الإنجليزي التي كانت سبب رسوبي وإخفاقي. وكانت هذه المادة صعبة على نفسي، ثقيلة على روحي، لا أحفظ ولا أفهم. وجاءتني سحابة من الهمّ سوداء كالحة. وأرقتُ ليالي معدودة، وشئمتُ بي من شاء أن يشمت من زملائي، لأن الأمر لم يكن متوقّعاً بالكلية، بل كنتُ أعد نفسي بالامتياز مع الترتيب الأول. وتأجّجت عواطفي، وضاقتْ نفسي، ومن هوّل الامر عندي، والمبالغة في التألّم: أنّ أحد الأساتذة كلّمني مسلّياً ومشجّعاً، فقلتُ مستشهداً:

لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ

وكلما تذكرتُ، فيما بعد، تهويلي للأمر، واستشهادي بهذا البيت عجبتُ وضحكتُ من نفسي. وما نفعني هذا الحزن شيئاً، ولم يغيّر هذا القلق من النتيجة شيئاً. بل لو طاوعته لما استطعتُ المذاكرة والنجاح في الدور الثاني.

وأقول لك: **لا تظنّ أنك** إذا حزنتَ وأزبدتَ وأرعدتَ عند إخفاقك، أنك سوف تنجح في الحال، أو أن النتيجة سوف تُغيّر لصالحك. كلا! بل سوف تؤكّد الرسوب وتضاعف الإخفاق.

لمّا ناقشتُ الماجستير في الحديث النبوي، رغبتُ كما يرغب الناس في الامتياز، وظننتُ أنني أحسنتُ في الإجابات، وأجدتُ في المناقشة، وإذا بالتقدير جيد جداً. فأعطيتُ الأمر أكثر مما يستحقّ من الكدر والاهتمام والحزن، فقال لي صاحبي وهو يحاورني: هبْ أنك لم تحصل على

الماجستير أصلاً، وألغيت الرسالة لسبب أو لآخر. فماذا كنتَ تفعل؟! ثم ما هو الفرق العملي بين التقديرين، والمؤدّى واحد. وهي شهادة الماجستير؟! وصدق فيما قال. وثاب إليّ رشدي وهدأ بالي. فإذا توقّعتَ أمراً مكدّراً وشيكاً منغصاً، فوطّن نفسك على تقبُّل أسوأ الاحتمالات. ثم أنفذْ ما يمكن إنفاذه. أما الاستغراق في اليد والتلاوم والقلق، فلن يحقق شيئاً يُذكر إلا ضيق الصدر، وتكدُّر الخاطر.

وقد استفدتُ من درس الماجستير هذا في تأجيل مناقشة الدكتوراه، فقد قدمتُها وهي صالحة علميًا ونظاميًا، ومُنيتُ بثرب المناقشة، ثم أُجّلت طويلاً فكان الخبر على قلبي سهلاً. لم أكترثْ له مثلما فعلتُ من ذي قبل. وهذا يجعلنا نتوقع أسوأ الفروض، ونتعايش مع أخطر الاحتمالات، ثم نستمر في حياتنا كأنْ شيئاً لم يكن.

ومن توقّع إفلاس تجارته وذهاب كل ماله، رضي بخسارة جزئية. ومَن توقّع القتل حمد الله على الحبس فقط، فيصبح عنده ألم المصاب هيّناً سهلاً.

إذا وجدت القوت والعافية فعلى الدنيا السلام

كنا في عام ١٤٠٠هـ في مخيّم دَعَوِيّ على حدود اليمن، افتتح هذا المخيم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. وذهبتُ مع مدرّستنا في التفسير بكلية أصول الدين إلى أبها، ولما عدنا راجعين إلى المخيم سلكنا طريق

(أبها - تهامة) الجبلي الوَعِر. وكان أكثره محطماً من آثرَ السيول الجارفة. وكان هذا الشيخ على علمه بالتفسير، آيةً في قلّة المعرفة بقيادة السيارة. ورفض أن أتولى القيادة، إما إشفاقاً عليَّ أو إشفاقاً على سيارته. وليته مع سوء قيادته يتمهّل في سيره، بل ينطلق كأنه في سباق، حتى كاد أن يهوي بنا في مكان سحيق، ويربط على سيارته فتسمع لها صرصرة. والحقيقة أنني عشت تلك الليلة بين الحياة والموت. أودّع الدنيا إلى الآخرة ثم أعود حيًا. اشدُّ أضراسي ورجليَّ ويديَّ ثم أرخي جسمي. أعظه أخاطبه أنصحه، وكأنني أغريه بالسرعة والإقدام حتى وصلنا وادياً رحْباً، والسماء ممطرة، وفاجأنا سيلٌ زاحف، وتساهلنا بأمره، فلما توسّطنا الوادي غاصتْ عجلات سيارتنا، وأخذ الماء يرتفع شيئاً فشيئاً، حتى دخل علينا في السيارة. فنزلنا مهرولين، وتركنا سيارتنا، واجتزنا الوادي بصعوبة، وبقينا في طرف الوادي من وسط الليل إلى الصباح، بلا طعام، ولا شراب، ولا لحاف، ولا فراش، لأننا كنا ننتظر الموت. فرضينا من الغنيمة بالإياب، ووجدنا وضعْنا لا بأس به بالنسبة لما توقعنا من ذَهاب الأرواح في هذا السيل العرمرم، وحمدنا الله على السلامة، ولو مع المعاناة وتعب السفر والسهر. وفي الصباح أتى مَن أنقذنا، وعدنا سالمين. وتذكرتُ قصة السفينة الحربية: الأمريكي الذي شارك في الحرب العالمية الثانية. وضُربتْ سفينته بصاروخ، فغاصت في بحر اليابان، وبقي ثلاثة عشر يوماً تحت الماء، معه فحسب ماء بارد وخبز يابس، فلما خرج سائلاً سُئل: ما هي أكبر تجربة استفدتها؟ فقال: تعلمتُ في هذه الأيام المخيفة أن مَن كان معافىً وعنده خبز وماء، فقد حاز مُلْك الدنيا.

وأنا أقول لك: ما هي الدنيا؟ هل هي الا عافية البدن، وراحة البال، وخبز تأكله، وماء تشربه، وثوب تلبسه، وعلى بقية الدنيا العفاء والسلام.

لماذا لا أستعمل أنا وإياك الحساب في حياتنا، فنسأل أنفسنا: ماذا عندنا؟ وماذا ينقصنا؟

وسوف نجد أن الذي عندنا أكثر من ٨٠٪ من وسائل العيش، ونِعَم الحياة، وأن الذي ينقصنا أقل من ٢٠٪ من الرغد والسعادة. وغالب الناس مثلي ومثلُك، إلا في حالات نادرة تكون البليّة أعظم من العطية، لكنني أنا وأنت نبكي على ما ينقصنا، ولا نضحك لما عندنا، ونحزن على ما فاتنا من النعم، ولا نفرح لما وصلنا من الخير، ونأسف لما أصابنا، ولا نشكر على ما يبقى لنا وتوفّر لدينا.

أطفئ نارَ العداوة قبلَ أن تضطرم

وجدتُ في حياتي القصيرة العادية أنني ما ذهبتُ لاستيفاء حقي، أو ردّ اعتباري نحوَ نقدٍ أو مضايقة، إلاّ وجدتُ الخسارة أعظم، والندمَ أجلّ، بمعنى: أنني كنتُ أظنّ أنني إذا محّصتُ في ثبوت ما بلغني من سوء عن شخص، أو نالني من مضايقة عن طريق رجل ما، أنني بهذا التمحيص والمطالبة والسؤال، أعيد لنفسي حقّها واعتبارها ومكانها، فإذا الأمر على العكس، والمسألة على الضدّ، تقع الوحشة بيني وبين هذا الإنسان، ويستمرّ العداء، وتستقرّ الخصومة، ويلجُّ هو في خطئه، وأتمنى أنني ما طالبتُ أو

تحقّقتَ أو تساءلتَ. وأن اجعل من هذا كله وأحسن وأطيب: العفو والصفح والإعراض والصبر والتحمّل. وتجاهل هذا الشيء. وهذا منطلق الوحي الصادق: « خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين » . « وليعفوا وليصفحوا » . « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » . « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » . « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ » . « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

إذن: فإذا سمعتَ من شخص كلمة نابية، فلا تردّها فتصبح عشراً. وإذا هُجيتَ بقصيدة، فكنْ كأنّك لم تسمع. لأنك لو ناقضتها بقصيدة من عندك تتشاغل بها الناس. وحفظها الأدباء. وإذا كُتب عنك مقالة لاذعة فاهتمّها طبخاً بالتجاهل، وكأنه يقصد غيرك، وإذا انتقدك ناقد حاقد. فتغافلْ، كأنه يريد بكلامه حائط الجيران. وقديماً قال السلف: الاحتمال دفنٌ للمعائب.

لا يضرُّ البحرَ أمسى زاخراً ... أنْ رمى فيه غلامٌ بحجرْ

البحر: طهورٌ ماؤه حلٌّ ميتتُه. لأن كثير الماء إذا تجاوز القُلّتين لم يحمل الخبث. وكذلك الرجل الشهم الصبور، عنده مناعة من نبذ الشانئين. « إنّ شانئك هو الأبتر » . ولديه حصانة من هرج الفارغين. « فإنك بأعيننا » .

لا تحطّ من مكانة أحد

عرفتُ في حياتي صفة جرّبتُها واستعملتُها، فما خاب فيها ظني. وهي أن المدح المؤدب المقتصد يؤثر في الناس، فمهما كان وزعهم وزهدهم، وبعدهم عن المظاهر، لكنهم عند كلمة الثناء يتأثرون لها ويرتاحون، فمن مُقِلٍّ ومن مستكثر.

لقد جلستُ مع علماء أهل تقوى وديانة، فإذا وجدوا كلمة شكر وثناء لانتْ عريكتُهم، وصفت سرائرهم، وتبلّجت أسارير وجوههم. إن الكلمة اللينة تفعل فعلَها في القلوب. وإن منهج الحقّ الموروث عن نبي الحق هو إنزال الناس منازلهم من التبجيل والتكريم. وإنها موهبة ربانية أن تُسعد الناس، وأن تُسعد نفسك بحسن تعاملك. ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

إن مؤلف كتاب (كيف تكسب الأصدقاء) يرى أنّ من عوامل جذب الناس هو التبذير في مدحهم والإسراف في الثناء عليهم، ولا أرى هذا، وإنما الاقتصاد والاعتدال في ذلك: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾، فلا تملّق مكشوف مفتعل، ولا جفاء وجفاف قاحل، إنما خلقٌ وسموٌّ وأريحية.

أنا وأنت بإمكاننا أن نسمح بأنوفنا .. في الناس، وأن نعبس في وجوههم، لكننا سوف نخسرهم ولا يخسروننا، لأنهم سوف يجدون غيرتي وغيرك، ممن يتواضع لهم، ويبتسم لهم، ويوطّن كنفَه لهم، ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾.

إن من سعادتنا كسب الناس؛ لأنهم أهل الثناء والدعاء والمحبة والتعاطف، وهم شهداء الله في الأرض. ﴿وقولوا للناس حسنا﴾.

وقد عرفتُ في حياتي أناساً يجيدون فنّ الاندماج، فما أسرع ما تهفو حولهم القلوب، وتتساقط عليهم الأرواح، كأنهم ورق الصفصاف مع الريح العليل البارد، وتشيعهم الأبصار أينما حلُّوا وأينما ارتحلوا، وجوههم طلقةٌ للناس، قلوبُهم صافية، ألسنتهم بريئة، فيالسعادتهم!! ويالسعادة الناس بهم!!.

وبمقدور العبد، بعد توفيق الله جلّ في علاه، أن يسعى لمنزلة القبول في الأرض، وهو لا يشترى بكنوز قارون، ولا بملك سليمان، ولا بخلافة هارون الرشيد، ولكنه يكسب بإخلاص النية لله، والصدق معه، ومحبة الخير للناس، وحبِّ الله ورسوله ﷺ، ومقت النفس وتحقيرها وازدرائها ولومها.

إن الصفات الحميدة والخصال الجميلة تُتعب، لأنها في صعود، وأما مساوئ الأخلاق وشراسة الطبع، فهي سهلة لمن أرادها؛ لأنها في انحدار، والصعود مكلّف شاقٌّ، والهبوط سهل ميسّر.

مَنْ يهنْ يسهلِ الهوانُ عليه ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

وذقتُ طعم الحياة فوجدتُ فيها نوْعاً يسوق لك وللآخرين الإسعاد، وهو احترام مواهبهم، والاعتراف بقدراتهم، وتشجيع طموحاتهم، وعدم مصادرة جهودهم، وإلغاء دوْرهم.

إن مما ينغص على الناس عيشهم، ويكدر أنفسهم: هذا الذي لا يرى إلا نفسه. فهو وحده الكوكب الدُّرِّيُّ، وقبة الفلك، ونادرة الزمان، وبركة الوقت، وغيره قاصرٌ. وعليه مآخذ وملاحظات.

صاحَبْتُ أناساً لهم جهود في الخير لا بأس بها على مستواهم وقدراتهم، وكنتُ أظنُّ أنهم يعرفون قدْرهم ولا يبالغون في دورهم أو يغالون في مكانتهم، فلمَّا كاشَفْتُهم، إذا كثير منهم يرى أن جهوده فوق ما يراها الناس، وأعلى مما يتصوَّرها الآخرون.

هذا طالب يؤلِّف كُتَيِّبات صغيرة مستعجلة للناشئة، فأشكره على جهده، فيُسهب أيَّما إسهاب في كثرة ما وُزِّع منها، وكيف أقبل الناس عليها، وكم بيع منها، ومَن أثنى عليها من الناس، ومَن قَبِل هذا الحديث، فعجبتُ للإنسان، ما أعظم نفسه عنده، وما أغلى ما يقدِّمه ولا أبغضَ إليه ممَّن يحطُّ من قدره، أو لا يعترف بمجهوده، أو يتجاهل دوره.

وسمعتُ شريطاً لا بأسَ به لطالب علم آخر، ليس مشهوراً ولا مغموراً. وأردت شكره وتشجيعه ليواصل ويستمرَّ، فكلَّمتُه بالهاتف، فما إن ذكرتُ له الشريط وأثنيتُ عليه، إلاَّ واهتبلها فرصة سانحة، فابتهل أولاً إلى الله العلي القدير أن ينفع بشريطه جميع المسلمين والمسلمات، وأن يعمَّ به النفع، وكأن هذا الشريط قد طبَّق الخافقيْن، وسار مسير الشمس، ثم ذكر لي كيف حضر للمحاضرة وعدد الحضور، ونحو ذلك من الكلام الذي ما ظننتُ أنه يحمله، فعلمتُ أن النفس البشرية تغالي في وزنها وقيمتها ودوْرها وتأثيرها أضعافاً مضاعفة، وكم هي مصيبتها لو فُوجِئَتْ بمن يهوِّن من قدرها، ويضع من مكانتها.

شكرتُ واعظاً على موعظة ألقاها وقد سمعتُ عنها ولم أحضرها، فأخبرني بكثرة من حضر، وتأثُّر الناس وبكائهم، وتوبة بعض الناس على يديه.

إذن فاحذر أن تلقي مكانة أحد مهما كانت، أو تزدري الآخرين، وتغضَّ من قدرهم. ﴿ لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن ﴾.

إن مما يحبِّب الناس فيك تشجيعك لمواهبهم واهتمامك بهم، وإقبالك عليهم، وهذا منهج قرآني راشد: ﴿ ولا تطرُد الذين يدعُون ربَّهم بالغداة والعشي ﴾. ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾. ﴿ عبس وتولى ﴿ أن جاءهُ الأعمى ﴿ وما يُدريك لعلَّهُ يزكى ﴾.

ذكروا في السيرة أن الذي صرف جبلة بن الأيهم عن الإسلام، أنه ما أُنزِلَ منزلته، وما وجد الاهتمام به كما يبغي في زعمه.

وقد ذكر طه حسين في كتابه «الأيام» أن شيخاً في الأزهر أتى يمتحنه وقتَ القبول. فقال له: اقرأ يا أعمى سورة الكهف. وبقيت هذه الكلمة في أُذن طه حسين تهزه وتزلزله وتزعجه، وكان من نتائجها أن انقضَّ على الأزهر سباباً وناقماً وشاتماً، ثم تركه إلى الأبد.

من الذي يرخِّص نفسه ولا يقيم لها وزناً؟ من الذي يرى أنه لا شيء وليس له شأن يُذكر؟ لا أحد. كلٌّ يحبُّ نفسه. وكلٌّ يغالي بقيمته، وكلٌّ يعرف قدره.

لاحظْ وأنت في أي مجلس أنّ مَن يتحدّث في هذا المجلس يُكثر من كلمة «أنا» وضمير المتكلّم: قلتُ، وخرجتُ، وقابلتُ، وقيل لي، واتصل علي، فهل تريد أنا وأنت - بلا مبالاة - تحطيم هذه النزعات، والكوامن النفسية؟!.

كنتُ في معهد الرياض بالثانية المتوسطة، أتعاطى الشعر وأهتم به، فكتبتُ مقطوعة في مجلّة المعهد. فأثنى عليّ بعض الأساتذة، فصرتُ عند نفسي كأبي تمام أو المتنبي، أو أجود قليلاً.

ووفد إلى المعهد طلّبة معهد آخر زائرين. فأقيمتْ لهم حفلة، وطُلب مني إلقاء قصيدة؛ لأنه ليس في الطلاب شعراء، أو مدّعُون للشعر مثلي. فتعيّن عليّ نظم القصيدة «فلم تجدوا ماء فتيمّموا صعيدا طيّبا». وحظيتُ باستاذ الأدب في المعهد فأثنى على القصيدة، وعلى أسلوبها، وجزالة ألفاظها، وصدْقتُه، وظننتُ أنها رائعة الروائع، وأنها نادرة المثال. ولما كبرتُ وذقتُ الأدب وعرفتُ الشعر، ضحكتُ من نفسي ومن قصيدتي، وكان مطلعها:

لك يا معهدي الأجلّ سلامي ... عامرٌ الودّ والأماني أمامي

فماذا أستفيد أنا وأنت من تحطيم الآخرين، إنهم لن يتراجعوا عن سيرهم، ولكننا نكدّر أمزجتهم، ونكسب عداءهم ومقتهم.

فما عليك إذن إلا أن تثني على الجانب المُشرق في حياة الناس، وتشيد بصفات الخير فيهم، وتشكر لهم فضائلهم، وتغضّ طرْفك عن مساوئهم وتقصيرهم.

كما تدين تُدان

يقول بعض الحكماء: متتبّع العيوب: كالذباب لا يقع إلا على الجرح وبعض الناس مصاب بـ«لكن». كلما ذكرتَ له شخصاً قال: فيه خير ولكن... ثم اسمع ما يأتي بعد لكن: هجاءٌ مقذع. وسباب آثيم. وهتك متعمّد: ﴿ ويلٌ لكلّ همزة ﴾. ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾. ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾.

إن سعادتي وسعادتك تكمن في إسعاد الآخرين. وإدخال السرور عليهم. والاعتراف بمواهبهم وقدراتهم وحسناتهم. ولقد لاحظتُ أنه بقدْر احترامنا للناس واهتمامنا بهم واعترافنا بفضلهم. نجد الاحترام والاهتمام والاعتراف منهم.

وبقدر التجاهل والتجافي والإعراض عنهم. نجد منهم التجاهل والتجافي والإعراض. ﴿جزاء وفاقا﴾.

مَن هو هذا الذكيُّ منا الذي يريد تكريم الناس له. وهو يعشق إهانتهم؟! ويرغب في تبجيلهم له. وهو يسعى في إذلالهم؟! وهذه قسمة ضيزى. ﴿ ويلٌ للمطففين ﴾.

لا تصادرْ جهودَ الآخرين

استفدتُ من العلاقات الاجتماعية. أن من إسعادك لنفسك ولصديقك: منحه الحفاوة اللائقة بمثله. ومنها: نداؤه بأحب الأسماء إليه. وهو اسمه الذي عُرف به أو كنيته. وما أبرد ولا أثقل حسّاً ممن ينادي آخاه بالضمائر

المجهولة، فيقول: أنت يا هذا، أو يا ذاك، وهل تريد أنت أن يتجاهل اسمك أحد، أو ينطق اسمك خطأ، أو كنيتك غلطاً؟ ما أظنُّك!

إن أسلوب التجاهل والإسقاط يدلُّ على ثخانة الطبع، وكثافة الإحساس، وبرود العواطف.

كم هي المفاجأة للمرأة في البيت، وقد نظَّمتْ بيتَها، ورتَّبت مجلسها، وأضفتْ على جوِّ الغرفة طيباً زكيّاً، ثم يدخل الزوج فيتعامى عن هذا كله، ولا يقول كلمة شكر أو إعجاب أو انتباه، إن مثل هذا التصرُّف إحباط للجهد ونسفٌ للاهتمام.

إذن فأعرِ غيرك الانتباه والاهتمام، واشكر لصاحب الصنيع صنيعه، وامدح المنظر الحسن، والرائحة الجميلة، والفعل الطيب، والصفة المحمودة، والقصيدة المؤثرة، والكتاب النافع، لتُكْتَبَ في سجل الأوفياء الأمناء أهل المروءة.

اطرح المحاكاة المتكلَّفة

سمعتُ الشاعر عمر أبا ريشة هو يُلقي قصيدته: «أنا في مكة»، ومطلعها:

لم تزالي على مَمرِ الليالي ... موئلَ الحقِّ يا عروسَ الرمال

وقد استرعاني حسن الإلقاء، وجودة العرض وعذوبة النغمة، فحفظتُ القصيدة، وطريقة الإلقاء، ونظمتُ من عندي قصيدة، وقمتُ ألقيها في

حفل المعهد العلمي، وحاولتُ أن أتقمّص شخصية أبي ريشة. وأن ألقي كما كان يلقي. لكنني لستُ أبا ريشة، فجاء الإلقاء ثقيلا، مملولا باردا. وبعدها تركتُ التقليد، وألقيتُ القصائد على سجيتي.

ومثل هذا مشهد إمام مسجد صلّيتُ وراءه في مدينة جدّة صلاة العشاء، فحاول أن يقلد قارئاً مشهوراً، ولكن هيهات، الصوت غير الصوت، والنبرة غير النبرة، وارتعدتْ فرائص هذا الامام، واكتظّ صوتُه، وتقطّعتْ أنفاسه، وتعبتُ أنا وراءه من حالته ومعاناته، وتكليفه نفسه ما لا يطيق، وعلمتُ علم اليقين أن الباري سبحانه وتعالى خلق لكل إنسان قدرات ومواهب وصفات، لا تشابه الآخرين: ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾.

فما عليك إذا أردت الإبداع والتأثير إلاّ أن تكون على طريقتك وسجيّتك وموهبتك: ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾. فلا تتشبّه بأصوات الآخرين، وبطريقتهم في الحديث، أو مشيهم أو جلوسهم. تنعفي نفسك من رقّ التقليد، وتبعيّة التشبّه، وضريبة المحاكاة. إن جاذبيتك وطلاوتك وعذوبتك تكمن في استقلاليتك في الإبداع والتأثير، وتفرّدك في العطاء، وتميّزك في الطرح.

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْهُ

كنتُ أخطب الجمعة بمدينة أبها، وأكثر خطبي عن السيرة، وكان الناس ارتاحوا لهذا الطرح، الذي لا بأس به، وطُلب مني أن أتحدّث عن مشكلة غلاء المهور، لحاجة الناس إليها، وهو موضوع تقديري يميل الى الأمثلة

الواقعية والحوادث العامية. وأنا لا أنشط لمثل هذه الطرح كثيرا، لأن قدرتي وموهبتي ونشاطي في باب السير، وأجد لذات راحة وأريحية، فلبيت الطلب وارتجلت خطبة عن غلاء المهور، فذكرت آية وحديثا، ثم ذهبت في الحديث يمنة ويسرة، أحاول أجمع شتات الموضوع وشوارده، فأزيده تمزقا وتقطيعا، وعلاني العرق، وظهر عليّ الإحجام والبرود، وانتهيت الخطبة، ولم أجد لها عنوانا أنسب من شعاع في الأفق، ليكون تائها مثلها باردا كبرودتها، وأيقنت بعدها أن من الأصلح لي أن أتكلم فيما اجيد، وأخطب فيما أحسن، وأن أريح أعصابي من عناء التكلف، وفي التنزيل: ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ وقال عمر: نهينا عن التكلف.

فعلينا جميعا إذا أردنا السعادة، وهدوء البال، والجودة فيما نقدم للناس، أن نتحدث ونعمل ونعطي الشيء الذي نستطيعه ونحسنه ونتقنه، وفي الحديث: إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه .. لأن الإتقان شفاء للنفس من داء الندم، وراحة للضمير من معاناة التأنيب، وأداء للأمانة إلى أهلها.

لا تكنْ فوضوياً في حياتك

جمعتُ يوماً من الأيام اثني عشر تفسيرا: الطبري، وابن كثير، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والظلال، والشنقيطي، والرازي، وفتح القدير، والخازن، وأبي مسعود، والقاسمي، ثم عزمتُ على أن أقرأ كلَّ يوم آية في كل تفسير من هذه التفاسير، فأبدأ بأولها حتى أنهي الآية، ثم الثانية، ثم

الثالثة، حتى انتهى الاثني عشر تفسيراً. ثم سألتُ نفسي: ماذا بقي منها في ذهني؟ فلا أجد شيئاً يذكر إلا معاني كلام ما كنتُ أجهله في الغالب، ولكنني أحسستُ بملل وسأم وارتباك. والسبب أن الطريقة ليست ناجحة في المطالعة، وليس فيها تنسيق وترتيب، وإنما هي ارتجال واستعجال.

فهل تريد الانتفاع بهدوء، والاستفادة بارتياح؟ لا تُرْبِكْ نفسك بكثرة المصادر والمراجع، وتشتيت الذهن، وإتعاب القلب. بل عليك دراسة خطة ناجحة ممتعة مُوصلة، تحميك من العجلة والسأم، وتضمن لك المداومة والاستمرار، ولو كان العائد قليلاً. فالمداومة مع القليل أصل عظيم، وكان ﷺ أحبَّ العمل إليه ما داوم عليه صاحبه، وإن قلَّ.

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

ذهبتُ بحماس منقطع النظير إلى مكتبة عامَّة، بعدما حصل لي مبلغ من المال، وعزمتُ على شراء نسخة من كل كتاب، لشدَّة الشغف وعظيم الرغبة، وعبَّأتُ الرفوف من كل تخصُّص، حتى اشتريتُ عشرات الكتب في علم النفس، ودقائق أصول الفقه، وزُبَدِ الثقافة العامة، وجئتُ أطالع فما أدري كيف أبدأ، وماذا أختار، وماذا أترك، ووجدتُ كثيراً من الكتب يعيد بعضُها بعضاً، فما في هذا الكتاب في ذاك، ووجدتُ طائفة منها لا تمنحني الفائدة المرجوَّة، وطائفة أخرى فيها كلام بلا علم، ولفظ بلا معنى، ومرَّتْ علي سنوات، وعشرات منها على رفوفها لم أحرِّك منها ساكناً، إنما أقلقني وجودها وترتيبها واختلاطها، حتى جالستُ علماء أذكياء، ورجالاً نبلاء، وعرضتُ لهم الحال، فأرشدوني إلى طريقة ناجحة مفيدة، وهي اقتناء

عيون الكتب وأمهاتها وأصولها وأجودها. وترتيبها وضبطها. ومطالعتها وملازمة البحث فيها. وترك ما سوى ذلك إلا لبحث أو نحوه. فقرّت روحي. وهدأت مشاعري. وسكنت نفسي لهذا الرأي السديد.

فإن كان لديك مكتبة أو تحب المطالعة والاستفادة. فخذ لك عيون المعارف. وأفضل المصنفات. واشتغل بها. لتسلم من عناء الشتات وانشغال البال. والحيرة في الأخذ والاختيار.

قالوا خذ العين من كلٍّ فقلتُ لهم ... في العين فضلٌ ولكنْ ناظرُ العين

﴿ ألهاكم التكاثر ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾.

وبالمناسبة ذكرت طلبة علم يسألون عن غوامض الكتب. ونادر المخطوط. وغريب المصنفات. وهم في جمع مستمر للكتب. وقراءتهم ضحلة. ومعرفتهم بالأصول من الكتب قليلة. إنما همهم تكثير المكتبة. والإغراب على الحضور بأسماء مصنفات كعنقاء مُغرب. أو كالكبريت الأحمر. فمنهم من يتأسف على عدم حصوله على تفسير مقاتل بن سليمان. وهو ما قرأ تفسير ابن كثير كاملاً. ومنهم من يتحسر على «فوائد تمام». ولا يعرف من فتح الباري إلا اسم مؤلفه ولون غلافه. ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾.

فلا تشغل نفسك ببُنيّات الطريق مع إهمال الجادة الواضحة. ولا تتقطع وراء الجزئيات بعد هجر الكليات. ومن الحكمة: البداية بالأهم فالمهم. ومَن لم يعرف المقصود طال عليه الطريق. وكلّت راحلته. واجهد نفسه. ولم يحصل على مطلوبه.

حتى تكون أسعد الناس

- الإيمان يذهب الهموم، ويزيل الغموم، وهو قرة عين الموحدين، وسلوة العابدين.
- ما مضى فات، وما ذهب مات، فلا تفكر فيما مضى، فقد ذهب وانقضى.
- ارضَ بالقضاء المحتوم، والرزق المقسوم، كل شيء بقدر، فدع الضجر.
- ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وتحط الذنوب، وبه يرضى علام الغيوب، وبه تفرج الكروب.
- لا تنتظر شكرا من أحد، ويكفي ثواب الصمد، وما عليك ممن جحد، وحقد وحسد.
- إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وعش في حدود اليوم، وأجمع همك لإصلاح يومك.
- اترك المستقبل حتى يأتي، ولا تهتم بالغد؛ لأنك إذا أصلحت يومك صلح غدك.
- طهّر قلبك من الحسد، ونقّه من الحقد، وأخرج منه البغضاء، وأزل منه الشحناء.
- اعتزل الناس إلا من خير، وكن جليس بيتك، وأقبل على شأنك، وقلّل من المخالطة.
- الكتاب أحسن الأصحاب، فسامر الكتب، وصاحب العلم، ورافق المعرفة.
- الكون بُني على النظام، فعليك بالترتيب في ملبسك وبيتك ومكتبك وواجبك.

- اخرج إلى الفضاء، وطالع الحدائق الغناء، وتضرّع في خلق الباري وإبداع الخالق.
- عليك بالمشي والرياضة، واجتنب الكسل والخمول، واهجر الفراغ والبطالة.
- اقرأ التاريخ، وتفكر في عجائبه، وتدبر غرائبه، واستمتع بقصصه وأخباره.
- جدّد حياتك، ونوّع أساليب معيشتك، وغيّر من الروتين الذي تعيشه.
- اهجر المنبهات والإكثار منها كالشاي والقهوة، واحذر التدخين والشيشة وغيرها.
- اعتنِ بنظافة ثوبك، وحسن رائحتك، وترتيب مظهرك، مع السواك والطيب.
- لا تقرأ بعض الكتب التي تربي التشاؤم والإحباط واليأس والقنوط.
- تذكر أن ربك واسع المغفرة، يقبل التوبة، ويعفو عن عباده، ويبدل السيئات حسنات.
- اشكر ربك على نعمة الدين والعقل والعافية والستر والسمع والبصر والرزق والذرية وغيرها.
- ألا تعلم أن في الناس من فقد عقله أو صحته أو هو محبوس أو مشلول أو مبتلى؟!.
- عش مع القرآن حفظاً وتلاوة وسماعاً وتدبراً، فإنه من أعظم العلاج لطرد الحزن والهم.
- توكل على الله وفوّض الأمر إليه، وارض بحكمه، والجأ إليه، واعتمد عليه فهو حسبك وكافيك.

- اعفُ عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأعطِ من حرمك، واحلم على من أساء إليك تجد السرور والأمن.
- كرر «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فإنها تشرح البال، وتصلح الحال، وتُحمل بها الأثقال، وترضي ذا الجلال.
- أكثر من الاستغفار، فمعه الرزق والفرج والذرية والعلم النافع والتيسير وحط الخطايا.
- اقنع بصورتك وموهبتك ودخلك وأهلك وبيتك تجد الراحة والسعادة.
- اعلم أن مع العسر يسراً، وأن الفرج مع الكرب وأنه لا يدوم الحال، وأن الأيام دول.
- تفاءل ولا تقنط ولا تيأس، وأحسن الظن بربك وانتظر منه كل خير وجميل.
- افرح باختيار الله لك، فإنك لا تدري بالمصلحة فقد تكون الشدة لك خير من الرخاء.
- البلاء يقرب بينك وبين الله ويعلّمك الدعاء، ويذهب عنك الكبر والعجب والتفخر.
- أنت تحمل في نفسك قناطير النعم، وكنوز الخيرات التي وهبك الله إياها.
- أحسن إلى الناس، وقدم الخير للبشر؛ لتلقى السعادة من عيادة مريض، وإعطاء فقير، والرحمة بيتيم.
- اجتنب سوء الظن، واطرح الأوهام، والخيالات الفاسدة، والأفكار المريضة.
- اعلم أنك لست الوحيد في البلاء، فما سلم من الهمّ أحد، وما نجا من الشدة بشر.

- تيقّن أن الدنيا دار محن وبلاء ومنغّصات وكدر، فاقبلها على حالها واستعن بالله.
- تفكر فيمن سبقوك في مسيرة الحياة ممن عُزل وحبس وقتل وامتحن وابتلي ونكب وصودر.
- كل ما أصابك فأجره على الله من الهم والغم والحزن والجوع والفقر والمرض والدَّين والمصائب.
- اعلم أن الشدائد تفتح الأسماع والأبصار، وتحيي القلب، وتردع النفس، وتذكر العبد، وتزيد الثواب.
- لا تتوقع الحوادث، ولا تنتظر السوء، ولا تصدق الشائعات، ولا تستسلم للأراجيف.
- أكثر ما يُخاف لا يكون، وغالب ما يُسمع من مكروه لا يقع، وفي الله كفاية، وعنده رعاية، ومنه العون.
- لا تجالس البُغضاء والثُقلاء والحُسّدة، فإنهم حُمّى الروح، وهم رسل الكدر وحملة الأحزان.
- حافظ على تكبيرة الإحرام جماعة، وأكثر المكث في المسجد، وعوّد نفسك المبادرة للصلاة لتجد السرور.
- إياك والذنوب، فإنها مصدر الهموم والأحزان، وهي سبب النكبات، وباب المصائب والأزمات.
- داوم على «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فلها سرٌ عجيب في كشف الكرب، ونبأ عظيم في رفع المحن.

- لا تتأثر من القول القبيح والكلام السيئ الذي يقال فيك. فإنه يؤذي قائله ولا يؤذيك.
- سبُّ أعدائك لك وشتم حسّادك يساوي قيمتك: لأنك أصبحت شيئاً مذكوراً، ورجلاً مهماً.
- اعلم أن من اغتابك فقد أهدى لك حسناته، وحطّ من سيئاتك. وجعلك مشهوراً. وهذه نعمة.
- لا تشدّد على نفسك في العبادة، والزم السنة واقتصد في الطاعة، واسلك الوسط وإياك والغلو.
- أخلص توحيدك لربك لينشرح صدرك، فبقدر صفاء توحيدك ونقاء إخلاصك تكون سعادتك.
- كن شجاعاً قوي القلب، ثابت النفس، لديك همة وعزيمة، ولا تفرنّك الزوابع والأراجيف.
- عليك بالجود فإن صدر الجواد منشرح، وباله واسع، والبخيل ضيق الصدر، مظلم القلب، مكدر الخاطر.
- أبسط وجهك للناس تكسب ودّهم، وألن لهم الكلام يحبوك، وتواضع لهم يجلّوك.
- ادفع بالتي هي أحسن، وترفق بالناس، وأطفئ العداوات، وسالم أعداءك، وكثّر أصدقاءك.
- من أعظم أبواب السعادة دعاء الوالدين، فاغتنمه ببرّهما ليكون لك دعاؤهما حصناً حصيناً من كل مكروه.

- اقبل الناس على ما هم عليه، وسامح ما يبدر منهم، واعلم ان هذه هي سنة الله في الناس والحياة.
- لا تعش في المثاليات، بل عش واقعك. فانت تريد من الناس شيئاً لا تستطيعه فكن عادلاً.
- عش حياة البساطة. وإياك والترفيهية والاسراف والبذخ، فكلما ترفه الجسم تعقدت الروح.
- حافظ على اذكار المناسبات فيها حفظ لك وصيانة. وفيها من السداد والإرشاد ما يصلح به يومك.
- وزّع الأعمال ولا تجمعها في وقت واحد، بل اجعلها في فترات وبينها أوقات للراحة ليكن عطاؤك جيداً.
- انظر إلى من هو دونك في الجسم والصورة والمال والبيت والوظيفة والذرية، لتعلم انك فوق الوف الناس.
- تيقّن أن كل من تعاملهم من أخ وابن وزوجة قريب وصديق لا يخلو من عيب. فوطّن نفسك على تقبل الجميع.
- الزم المرهبة التي أعطيتها، والعلم الذي ترتاح له، والرزق الذي قُنع لك، والعمل الذي يناسبك.
- إياك وتجريح الأشخاص والهيئات، وكن سليم اللسان، طيب الكلام، عذب الألفاظ، مأمون الجانب.
- اعلم أن الاحتمال دفن للمعائب، والحلم ستر للخطايا، والجود ثوب واسع يغطي النقائص والمثالب.

- انفرد بنفسك ساعة تدبّر فيها أمورك، وتراجع فيها نفسك، وتتفكر في آخرتك، وتصلح بها دنياك.
- مكتبتك المنزلية هي بستانك الوارف، وحديقتك الغنّاء، فتنزه فيها مع العلماء والحكماء والأدباء والشعراء.
- اكسب الرزق الحلال وإياك والحرام، واجتنب سؤال الناس، والتجارة خير من الوظيفة، وضارب بمالك واقتصد في المعيشة.
- البس وسطاً، لا لباس المترفين ولا لباس البائسين، ولا تُشهر نفسك بلباس، وكن كعامة الناس.
- لا تغضب فإن الغضب يفسد المزاج، ويغيّر الخلق ويسيء العشرة، ويفسد المودة، ويقطع الصلة.
- سافر أحياناً لتجدد حياتك، وتطالع عوالم أخرى، وتشاهد معالم جديدة، وبلداناً أخرى، فالسفر متعة.
- احتفظ بمذكرة في جيبك ترتب لك أعمالك، وتنظم أوقاتك، وتذكرك بمواعيدك، وتكتب بها ملاحظاتك.
- ابدأ الناس بالسلام، وحيّهم بالبسمة، وأعرهم الاهتمام؛ تكن حبيباً إلى قلوبهم قريباً منهم.
- ثق بنفسك ولا تعتمد على الناس، واعتبر أنهم عليك لا لك، وليس معك إلا الله، ولا تغتر بإخوان الرخاء.
- احذر كلمة (سوف) وتأخير الأعمال والتسويف بأداء الواجب، فإن هذا عنوان الفشل والإخفاق.

- اترك التردد في اتخاذ القرار. وإياك والتذبذب في المواقف. بل اجزم واعزم وتقدم.
- لا تضيّع عمرك في التنقل بين التخصصات والوظائف والمهن. فإن معنى هذا أنك لم تنجح في شيء.
- افرح بمكفرات الذنوب كالصالحات، والمصائب، والتوبة، ودعاء المسلمين، ورحمة الرحمن، وشفاعة الرسول ﷺ.
- عليك بالصدقة ولو بالقليل، فإنها تطفئ الخطيئة، وتسر القلب، وتذهب الهمّ، وتزيد في الرزق.
- اجعل قدوتك إمامك محمداً ﷺ، فإنه القائد إلى السعادة، والدالّ على النجاح، والمرشد إلى النجاة والفلاح.
- زُر المستشفى لتعرف نعمة العافية، والسجن لتعرف نعمة الحرية، والمارستان لتعرف نعمة العقل: لأنك في نِعَم لا تدري بها.
- لا تحطمك التوافه، ولا تعط المسألة أكبر من حجمها، واحذر من تهويل الأمور والمبالغة في الأحداث.
- كن واسع الأفق، والتمس الأعذار لمن أساء إليك تتعش في سكينة وهدوء. وإياك ومحاولة الانتقام.
- لا تُفرح أعداءك بغضبك وحزنك، فإن هذا ما يريدون، فلا تحقق أمنيتهم الغالية في تعكير حياتك.
- لا توقد فرناً في صدرك من العداوات والأحقاد، وبغض الناس، وكره الآخرين، فإن هذا عذاب دائم.

- كن منهدئاً في مجلسك، صَموتاً إلا من خير، طَلق الوجه، منحترماً لجلاّسك، منصتاً لحديثهم، ولا تقاطعهم أثناء الكلام.
- لا تكن كالذباب لا يقع إلا على الجرح، فإياك والوقوع في أعراض الناس وذكر مثالبهم والفرح بعثراتهم وطلب زلاتهم.
- المؤمن لا يحزن لفوات الدنيا ولا يهتم بها، ولا يرهب من كوارثها، لأنها زائلة ذاهبة حقيرة فانية.
- اهجر العشق والغرام، والحب المحرم؛ فإنه عذاب للروح، ومرض للقلب، وافزع إلى الله وإلى ذكره وطاعته.
- إطلاق النظر إلى الحرام يورث همـوما وغـمـوما وجـراحـاً في القلب، والبعد من غضّ بصره وخالف ربه.
- احرص على ترتيب وجبات الطعام، وعليك بالمفيد، واجتنب التخمة، ولا تقم وأنت شبعان.
- قدّر أسوأ الاحتمالات عند الخوف من الحوادث، ثم وطّن نفسك لتقبل ذلك فسوف تجد الراحة واليسر.
- إذا اشتد الحبل انقطع، وإذا أظلم الليل انقشع، وإذا ضاق الأمر اتّسع، ولن يغلب عسر يسرين.
- تفكر في رحمة الرحمن، غفر لبغيّ سقت كلبا، وعفا عمن قتل مائة نفس، وبسط يده للتائبين، ودعا النصارى للتوبة.
- بعد الجوع شبع، وعقب الظمأ رِيّ، وإثر المرض عافية، والفقر يعقبه الغنى، والهمّ يتلوه السرور، سنة ثابتة.

- تدبّر سورة «ألم نشرح لك صدرك» وتذكرها عند الشدائد، واعلم أنها من أعظم الأدوية عند الأزمات.
- أين أنت من دعاء الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».
- لا تغضب وإذا غضبت فاسكت وتعوذ من الشيطان وغيّر مكانك، وإن كنت قائماً فاجلس وتوضأ وأكثر من الذكر.
- لا تجزع من الشدة فإنها تقوي قلبك، وتذيقك طعم العافية، وتشد من أزرك، وترفع شأنك، وتظهر صبرك.
- التفكر في الماضي حمق وجنون، وهو مثل طحن الطحين ونشر النشارة وإخراج الأموات من قبورهم.
- انظر إلى الجانب المشرق من المصيبة، وتلمّح اجرها، واعلم انها أسهل من غيرها، وتأسَّ بالمنكوبين.
- ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وجفَّ القلم بما أنت لاقٍ، ولاحيلة لك في القضاء.
- حوّل خساراتك إلى أرباح، واصنع من الليمون شرابا حلوا، وأضف إلى ماء المصائب حفنة سكر، وتكيّف مع ظروفك.
- لا تيأس من روح الله، ولا تقنط من رحمة الله، ولا تنس عون الله، فإن المعونة تنزل على قدر المؤونة.

- الخيرة فيما تكره أكثر منها فيما تحب. وأنت لا تدري بالعواقب. وكم من نعمة في طيّ نقمة. ومن خير في جلباب شر.
- قيّد خيالك لئلا يجمح بك في أودية الهموم. وحاول أن تفكر في النعم والمواهب والفتوحات التي عندك.
- اجتنب الصخب والضجة في بيتك ومكتبك. ومن علامات السعادة الهدوء والسكينة والانتظام.
- الصلاة خير معين على المصاعب. وهي تسمو بالنفس في آفاق علوية. وتهاجر بالروح إلى فضاء النور والفلاح.
- إن العمل الجاد المثمر يحرر النفس من النزوات الشريرة. والخواطر الآثمة. والنزعات المحرّمة.
- السعادة شجرة مأواها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها الإيمان بالله. والدار الآخرة.
- من عنده أدب جمّ. وذوق سليم. وخلق شريف. أسعد نفسه. وأسعد الناس. ونال صلاح البال. والحال.
- روّح على قلبك فإن القلب يكلّ ويمل. ونوّع عليه الأساليب. والتمس له فنون الحكمة وأنواع المعرفة.
- العلم يشرح الصدر. ويوسع مدارك النظر. ويفتح الآفاق أمام النفس فتخرج من همها وغمها وحزنها.
- من السعادة الانتصار على العقبات ومغالبة الصعاب. فلذة الظفر لا تعدلها لذة. وفرحة النجاح لا تساويها فرحة.

- إذا أردت أن تسعد مع الناس فعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولا تبخسهم أشياءهم، ولا تتبع من أقدارهم.
- إذا عرف الإنسان نفسه، والعلم الذي يناسبه، وقام به على أكمل وجه؛ وجد لذة النجاح، ومتعة الانتصار.
- المعرفة والتجربة والخبرة أعظم من رصيد المال؛ لأن الفرح بالمال بهيمي، والفرح بالمعرفة إنساني.
- إذا غضب أحد الزوجين فليصمت الآخر، وليقبّل كل منهما الآخر على ما فيه فإنه لن يخلو أحد من عيب.
- الجليس الصالح المتفائل يهوّن عليك الصعاب، ويفتح لك باب الرجاء، والمتشائم يسوّد الدنيا في عينك.
- من عنده زوجة وبيت وصحة وكفاية مال فقد حاز صفو العيش، فليحمد الله وليقنع، فما فوق ذلك إلا الهم.
- **من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».**
- **«من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، كان حقاً على الله أن يرضيه».** وهذه أركان الرضا.
- أصول النجاح أن يرضى الله عنك، وأن يرضى عنك من حولك، وأن تكون نفسك راضية، وأن تقدم عملاً مثمراً.
- الطعام سعادة يوم، والسفر سعادة أسبوع، والزواج سعادة شهر، والمال سعادة سنة، والإيمان سعادة العمر كله.

- لن تسعد بالنوم ولا بالاكل ولا بالشرب ولا بالنكاح. وانما تسعد بالعمل. وهو الذي اوجد للعظماء مكانا تحت الشمس.
- من تيسرت له القراءة فانه سعيد؛ لأنه يقتطف من حدائق العالم، ويطوف على عجائب الدنيا، ويطوي الزمان والمكان.
- محادثة الإخوان تذهب الاحزان. والمزاح البريء راحة، وسماع الشعر يريح الخاطر.
- انت الذي تلوّن حياتك بنظرك إليها. فحياتك من صنع افكارك، فلا تسمح لنظارة سوداء على عينيك.
- فكر في الذين تحبهم ولا تعط من تكرههم لحظة واحدة من حياتك. فانهم لا يعلمون عنك وعن همّك.
- إذا استغرقت في العمل المثمر بردت أعصابك، وسكنت نفسك، وثمرك فيض من الاطمئنان.
- السعادة ليست في الحسب ولا النسب ولا الذهب. وإنما في الدين والعلم والأدب وبلوغ الأرب.
- أسعد عباد الله عند الله أبذلهم للمعروف يدا، وأكثرهم على الإخوان فضلا، وأحسنهم على ذلك شكرا.
- اذا لم تسعد بساعتك الراهنة فلا تنتظر سعادة سوف تطل عليك من الأفق، أو تنزل عليك من السماء.
- فكّر في نجاحاتك وثمار عملك وما قدمته من خير، وافرح به، واحمد الله عليه. فان هذا مما يشرح الصدر.

- الذي كفاك همّ أمس يكفيك همّ اليوم وهمّ غد. فتوكل عليه. فإذا كان معك فمن تخاف؟ وإذا كان عليك فمن ترجو؟
- بينك وبين الأنبياء يوم واحد. أما أمس فلا يحدون لذته. وغد فليس لي ولا لهم. وإنما لهم يوم واحد. فما أقله من زمن!
- السرور ينشط النفس، ويفرح القلب، ويوازن بين الأعضاء، ويجلب القوة، ويعطي الحياة قيمة. والعمر فائدة.
- الغنى والأمن والصحة والدين ركائز السعادة. فلا هناء لمعدم، ولا حانف ولا مريض ولا كافر. بل هم في شقاء.
- من عرف الاعتدال عرف السعادة، ومن سلك التوسط أدرك الفوز. ومن اتبع اليسر نال الفلاح.
- ليس في ساعة الزمن إلا كلمة واحدة: الآن. وليس في قاموس السعادة إلا كلمة واحدة: الرضا.
- إذا أصابتك مصيبة فتصوّرها أكبر منها عليك. وتفكّر في سرعة زوالها. فلولا كرب الشدة ما رُجيت فرحة الراحة.
- إذا وقعت في أزمة فتذكر كم أزمة مرت بك ونجاك الله منها. حيثما تعلم أن من عافاك في الأولى سيعافيك في الأخرى.
- العاقلُ ليومه من ذهبه في غير حقّ قضاه، أو فرض أدّاه، أو مجد شيّده، أو حمد حصله، أو علم تعلمه، أو قرابة وصلها، أو خير أسداه.
- ينبغي أن يكون حولك أو في يدك كتاب دائم؛ لأن هناك أوقات تذهب هدرا، والكتاب خير ما يحتفظ به الوقت، ويعمر به الزمن.

- حافظ القرآن التالي له آناء الليل، وأطراف النهار، لا يشكو ملالاً، ولا فراغاً ولا سآماً؛ لأن القرآن ملأ حياته سعادة.
- لا تتخذ قراراً حتى تدرسه من كافة جوانبه، ثم استخر الله وشاور أهل الثقة. فإن نجحت فهذا المراد وإلا فلا تندم.
- العاقل يُكثر أصدقاءه ويُقلل أعداءه. فإن الصديق يحصل في سنة والعدو يحصل في يوم. فطوبى لمن حببه الله إلى خلقه.
- اجعل مطالبك الدنيوية حداً ترجع إليه، وإلا تشتت قلبك، وضاق صدرك، وتنغّص عيشك، وساء حالك.
- ينبغي لمن تظاهرت عليه نعم الله ان يقيّدها بالشكر، ويحفظها بالطاعة، ويرعاها بالتواضع لتدوم.
- من صفت نفسه بالتقوى، وطُهّرَ فكره بالإيمان، وصقلت أخلاقه بالخير نال حب الله وحب الناس.
- الكسول الخامل هو المتعب الحزين حقيقة، أما العامل المجد فهو الذي عرف كيف يعيش، وعرف كيف يسعد.
- إن لذة الحياة ومتعتها أضعاف أضعاف مصائبها وهمومها، ولكن السر كيف نصل إلى هذه المتعة بذكاء.
- لو ملكت المرأة الدنيا، وسيقت لها شهادات العالم، وحصلت على كل وسام وليس عندها زوج فهي مسكينة.
- الحياة الكاملة أن تنفق شبابك في الطموح، ورجولتك في الكفاح، وشيخوختك في التأمل.

- لُم نفسك على التقصير، ولا تلم أحداً، فإن عندك من العيوب ما يملأ الوقت اصلاحه، فاترك غيرك.
- أجمل من القصور والدور كتاب يجلو الأفهام، ويسر القلوب، ويؤنس النفس، ويشرح الصدر، وينمي الفكر.
- اسأل الله العفو والعافية، فإذا أعطيتهما فقد حزت كل خير، ونجوت من كل شر، وفزت بكل سعادة.
- رغيف واحد، وسبع تمرات، وكوب ماء، وحصير في غرفة مع مصحف، وقل على الدنيا السلام.
- السعادة في التضحية وإنكار الذات، وبذل الندى وكف الأذى، والبعد عن الأنانية والاستئثار.
- الضحك المعتدل يشرح النفس، ويقوي القلب، ويذهب الملل، وينشط على العمل، ويجلو الخاطر.
- العبادة هي السعادة، والصلاح هو النجاح، ومن لزم الأذكار، وأدمن الاستغفار، وأكثر الافتقار فهو أحد الأبرار.
- خير الأصحاب من تثق به وترتاح، وتفضي إليه بمتاعبك، ويشاركك همومك، ولا يفشي سرك.
- لا تتوقع سعادة أكبر مما أنت فيه فتخسر ما بين يديك، ولا تنتظر مصائب قادمة فتستعجل الهم والحزن.
- لا تظن أنك تعطى كل شيء، بل تعطى خيراً كثيراً. أما أن تحوي كل موهبة وكل عطية فهذا بعيد.

- امرأة حسناء تقية، ودار واسعة، وكفاف من رزق، وجار صالح.. نعم يجهلها الكثير.
- فن النسيان للمكروه نعمة، وتذكُّر النعم حسنة، والغفلة عن عيوب الناس فضيلة.
- العفو ألذ من الانتقام، والعمل أمتع من الفراغ، والقناعة أعظم من المال، والصحة خير من الثروة.
- الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، والعزلة عبادة، والتفكر طاعة.
- العزلة مملكة الأفكار، وكثرة الخلطة حمق، والوثوق بالناس سفه، واستعدادهم شؤم.
- سوء الخلق عذاب، والحقد سم، والغيبة رذالة، وتتبع العثرات خذلان.
- شكر النعم يدفع النقم، وترك الذنوب حياة القلوب، والانتصار على النفس لذة العظماء.
- خبز جاف مع أمن ألذ من العسل مع الخوف، وخيمة مع ستر أحب من قصر فيه فتنة.
- فرحة العلم دائمة، ومجده خالد، وذكره باق، وفرحة المال منصرمة، ومجده إلى زوال، وذكره إلى نهاية.
- الفرح بالدنيا فرح الصبيان، والفرح بالإيمان فرح الأبرار، وخدمة المال ذل، والعمل لله شرف.
- عذاب الهمة عذب، وتعب الإنجاز راحة، وعرق العمل مسك، والثناء الحسن أحسن طيب.

- السعادة ان يكون مصحفك أنيسك، وعملك هوايتك، وبيتك صومعتك، وكنزك قناعتك.
- الفرح بالطعام والمال فرح الأطفال، والفرح بحسن الثناء فرح العظماء، وعمل البر مجد لا يفنى.
- صلاة الليل بهاء النهار، وحب الخير للناس من طهارة الضمير، وانتظار الفرج عبادة.
- في البلاء أربعة فنون: احتساب الأجر، ومعايشة الصبر، وحسن الذكر، وتوقع اللطف.
- الصلاة جماعة، وأداء الواجب، وحب المسلمين، وترك الذنوب، وأكل الحلال صلاح الدنيا والآخرة.
- لا تكن رأسا فإن الرأس كثير الأوجاع، ولا تحرص على الشهرة فإن لها ضريبة، والكفاف مع الخمول سعادة.
- علامة الحمق ضياع الوقت، وتأخير التوبة، واستعداء الناس، وعقوق الوالدين، وإفشاء الأسرار.
- يعرف موت القلب بترك الطاعة، وإدمان الذنوب، وعدم المبالاة بسوء الذكر، والأمن من مكر الله، واحتقار الصالحين.
- من لم يسعد في بيته لن يسعد في مكان آخر، ومن لم يحبه أهله لن يحبه أحد، ومن ضيع يومه ضيع غده.
- أربعة يجلبون السعادة: كتاب نافع، وابن بار، وزوجة محبوبة، وجليس صالح، وفي الله عوض عن الجميع.

- إيمان وصحة وغنى وحرية وأمن وشباب وعلم هي ملخص ما يسعى له العقلاء، ولكنها قلَّ أن تجتمع كلها.
- اسعد الآن فليس عندك عهد ببقائك، وليس لديك أمان من روعة الزمان. فلا تجعل الهمَّ نقدا والسرور ديناً.
- أفضل ما في العالم إيمان صادق، وخلق مستقيم، وعقل صحيح، وجسم سليم، ورزق هانئ، وما سوى ذلك شغل.
- نعمتان خفيَّتان: الصحة في الابدان، والأمن في الأوطان. ونعمتان ظاهرتان: الثناء الحسن، والذرية الصالحة.
- القلب المبتهج يقتل ميكروبات البغضاء، والنفس الراضية تطارد حشرات الكراهية.
- الأمن أمهد وطاء، والعافية أسبغ غطاء، والعلم ألذ غذاء، والحب أنفع دواء، والستر أحسن كساء.
- السعيد لا يكون فاسقاً ولا مريضاً ولا مديناً ولا غريباً ولا حزينا ولا سجينا ولا مكروهاً.
- السعادة: انجلاء الغمرات، وإزالة العداوات، وعمل الصالحات، والانتصار على الشهوات.
- أقل الطرق خطراً طريقك إلى بيتك، وأكثر الأيام بركة يوم تعمل صالحاً. وأشأم الأزمان زمن تسيء فيه لأحد.
- إن سبَّك بشرٌ فقد سبوا ربهم تعالى، أوجدهم من العدم فشكّوا في وجوده، وأطعمهم من جوع فشكروا غيره، وآمنهم من خوف فحاربوه.

- لا تحمل الكرة الأرضية على رأسك، ولا تظن أن الناس يهمُّم أمرنا. وإن زكاما يصيب أحدهم ينسيهم موتي وموتك.
- السرور كفاية ووطن. وسلامة وسكن. وأمن من الفتن. ونجاة من المحن. وشكر على المنن. وعبادة طيلة الزمن.
- **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». «وصل صلاة مودع». «ولا تكلم بكلام تعتذر منه». «واجمع اليأس عما في أيدي الناس».**
- ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس. واقنع بالقليل، واعمل بالتنزيل، واستعد للرحيل، وخف الجليل.
- لا عيش لممقوت، ولا راحة لمعاد. ولا أمن لمذنب، ولا محب لفاجر، ولا ثناء على كاذب، ولا ثقة بغادر.
- **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».**
- الابتسامة مفتاح السعادة، والحب بابها، والسرور حديقتها، والإيمان نورها، والأمن جدارها.
- البهجة: وجه جميل، ورؤى أخضر، وماء بارد، وكتاب مفيد مع قلب يقدّر النعمة، ويترك الإثم، ويحب الخير.
- ينام المعافى على صخرة كأنه على ريش حرير، ويأكل خبز الشعير كالنزيد، ويسكن الكوخ وكأنه في إيوان كسرى.
- البخيل يعيش فقيراً أو يموت غنياً خادماً لذريته، حارساً لماله، وبغيضاً عند الناس، بعيداً من الله، سيئ السمعة في العالم.

- الأولاد أفضل من الثروة، والصحة خير من الغنى، والأمن أحسن من السكن، والتجربة أغلى من المال.
- اجعل الفرح شكرا، والحزن صبرا، والصمت تفكرا، والنظر اعتبارا، والنطق ذكرا، والحياة طاعة، والموت أمنية.
- كن مثل الطائر يأتيه رزقه صباح مساء، ولا يهتم بغد، ولا يثق بأحد، ولا يؤذي أحدا، خفيف الظل، رشيق الحركة.
- من أكثر مخالطة الناس أهانوه، ومن بخل عليهم مقتوه، ومن حلم عليهم وقّروه، ومن أجاد عليهم أحبوه، ومن احتاج إليهم أبغضوه.
- الفلك يدور، والليالي حبالى، والأيام دول، ومن المحال دوام الحال، والرحمن كل يوم هو في شأن... فلماذا نحزن؟.
- كيف نقف على أبواب السلاطين ونواصيهم في قبضة رب العالمين؟! تمثال المال من فقير، وتطلب بخيلا، وتشكو إلى جريح!!.
- ابعث رسائل وقت السَّحر: مدادها الدمع، وقراطيسها الخدود، وبريدها القبول، ووجهتها العرش.. وانتظر الجواب.
- إذا سجدت فأخبره بأمورك سراً فإنه يعلم السر وأخفى، ولا تُسمع من بجوارك؛ لأن للمحبة أسرارا، والناس حاسد وشافع.
- سبحان من جعل الذل له عزة، والافتقار اليه غنى، ومسألته شرفاً، والخضوع له رفعة، والتوكل عليه كفاية.
- إذا دار همّ ببالك، واصبح حالك من الحزن حالك، وفجعت في اهلك ومالك، فلا تيأس لعل الله يحدث بعد ذلك امرا.

- لا تنس « حسبنا الله ونعم الوكيل »، فإنها تطفئ الحريق، وينجو بها الغريق، ويعرف بها الطريق، وفيها العهد الوثيق.
- طوبى لك يا طائر: ترِدُ النهر، وتسكن الشجر، وتأكل الثمر، ولا تتوقع الخطر، ولا تمر على سقر، فأنت أسعد حالا من البشر.
- السرور لحظة مستعارة، والحزن كفارة، والغضب شرارة، والفراغ خسارة، والعبادة تجارة.
- أمس مات، واليوم في السباق، وغداً لم يولد، وأنت ابن الساعة، فاجعلها طاعة، تعد لك بأربح بضاعة.
- نديمك القلم، وخديرك الحبر، وصاحبك الكتاب، ومملكتك بيتك، وكنزك قوتك، فلا تأسف على ما فات.
- ربما ساءتك أوائل الأمور، وسرّتك أواخرها، كالسحاب أوله برق ورعد وآخره غيث هني.
- الاستغفار يفتح الأقفال، ويشرح البال، ويذهب الأدغال، وهو عربون الرزق ودروازة التوفيق.
- ست شافية كافية: دين وعلم وغنى ومروءة وعفو وعافية.
- من الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وينقذ الغريق إذا ناداه، ويكشف الكرب عنا مَنْ؟ قال: يا الله؟ إنه الله.
- ابتعد عن الجدل العقيم، والمجلس اللاغي، والصاحب السفيه، فإن الصاحب ساحب، والطبع لص، والعين سارقة.

- التحلي بحسن الاستماع، وعدم مقاطعة المتحدث، ولين الخطاب، ودماثة الخلق، أوسمة على صدور الأحرار.
- عندك عينان وأذنان ويدان ورجلان ولسان وإيمان وقرآن وأمان.. فأين الشكر يا إنسان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.
- تمشي على قدميك وقد بترت أقدام، وتعتمد على ساقيك وقد قطعت سيقان، وتنام وغيرك شرّد الألم نومه، وتشبع وسواك جائع.
- سلمت من الصمم والبكم والعمى، ونجوت من البرص والجنون والجذام، وعوفيت من السل والسرطان، فهل شكرت الرحمن؟!
- مصيبتنا أننا نعجز عن حاضرنا، ونشتغل بماضينا، ونهمل يومنا، ونهتم بغدنا، فأين العقل وأين الحكمة؟!
- نقد الناس لك معناه أنك فعلت ما يستحق الذكر، وأنك فقتهم علماً أو فهماً أو مالاً أو منصباً أو جاهاً.
- تقمُّص شخصية الغير، والذوبان في الآخرين، ومحاكاة الناس انتحار وإزهاق لمعالم الشخصية.
- ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ .. لا تكونوا إمّعة.. ﴿صنوان يسقى بماء واحد﴾.
- مع الدمعة بسمة، ومع الترحة فرحة، ومع البلية عطية، ومع المحنة منحة، سنة ثابتة وقاعدة مطردة.
- انظر هل ترى إلا مبتلى، وهل تشاهد إلا منكوباً. في كل دار نائحة، وعلى كل خد دمع، وفي كل واد بنو سعد.

- صوت من شكر معروفك أجمل من تغريد الأطيار، ونسيم الأسحار، وحفيف الأشجار، وغناء الأوتار.
- إذا شربت الماء الساخن قلت الحمد لله بكلمة، وإذا شربت الماء البارد قال كل عضو فيك: الحمدلله.
- أرخص سعادة تباع في سوق العقلاء ترك ما لا يعني، وأغلى سلعة عند العالم ان تالف الناس وبالفوك.
- إياك والهم فإنه سم، والعجز فإنه موت، والكسل فإنه خيبة، والاضطراب الرأي فإنه سوء تدبير.
- جار السوء شر من غربة الإنسان، واصطناع المعروف أرفع من التصور الشاهقة، والثناء الحسن هو المجد.
- من عنده دين يُرشده، وعقل يُسدّده، وحسبٌ يصونه، وحياء يزينه، فقد جمع الفضائل.
- من ترك الخلاف، واجتنب التفاخر، وسلم من الكذب، ورضي بالقدر، وهجر الحسد، عكف الله عليه قلوب عباده.
- من استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالعالم ذهب دينه، ومن استخف بالصديق ذهبت مروءته، ومن استخف بالله ذهبت دنياه وأخراه.
- حاجة الناس اليك نعمة فلا تملّها فتصبح نقمة، واعلم أن أحسن أيامك يوم تكون مقصوداً لا قاصداً.
- قبل أن تنام سامح الأنام، واغسل قلبك بالعفو سبع مرات، وعنّره الثامنة بالغفران تجد حلاوة الإيمان.

- العلم أنيس في الوحدة، صاحب في الغربة، رقيب في الخلوة، دليل إلى الرشد، معين في الشدة، ذخر بعد الموت.
- لا يضر من عنده ثوب ممزّق وحذاء مقطّع، ولديه قلب يخضع، وعين تدمع ونفس تشبع.
- سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله، والإقبال على الدنيا. فهذا الذي دخل السجن المؤبد فلا هو حي فيرجى ولا ميت فينعى.
- خير المال عين خرارة في أرض خوارة، تسهر إذا نمت، وتشهد إذا غبت، وتكون عقباً إذا مت.
- التمس حظك بالسكوت؛ فإن الصامت مُهاب، والمنصت محبوب، والبلاء موكل بالمنطق.
- الحياة: تزوّد معاد، أو تدبير معاش، أو لذة في غير مُحرّم، أو إثراء العقل، أو صقل النفس، وما سوى ذلك باطل.
- العزلة تحميك من الحاسد والشامت والثقيل والمتكبر والمغتاب والمعجب... وكفى بها نفعاً.
- لن تسعد بالسفر من بلد إلى بلد وهمُّك معك، لكن انتقل من شعور إلى شعور لتجد السرور.
- إذا كانت النفس جميلة رأت الفجر غديراً، والليل مهرجاناً، والناس أحبة، والكوخ قصراً مشيداً.
- من رحمة الله بعباده أن كل من أطاعه جعل غناه في قلبه، فلو لم يكن عنده إلا لقيمات يحسب أنه ملك الدنيا.

- الدنيا: العافية، والشباب: الصحة، والمروءة: الصبر، والكرم: التقوى، والحسب: المال.
- أتعس الناس من أراد أن يكون غير نفسه، ومن سخط القضاء، وتبرَّم من رزقه، وضاق خُلُقه.
- من لزم المسجد استفاد آية محكمة، وأخاً صادقاً، وعلماً صالحاً، ورحمة منتظرة، وكلمة نافعة، وتوبة نصوحاً.
- من صام طاب طعامه، ومن قام طاب منامه، ومن جاد كثر حامده، ومن ساد كثر حاسده.
- لا سعادة إلا إذا عشت حراً من كل سيطرة على جسمك وعقلك ووجدانك وخيالك لتكون عبداً لله وحده.
- السعيد من ينسى ما لا سبيل إلى إصلاحه، ومن يذكر إحسان الناس وينسى إساءتهم.
- رزقك أعرف بمكانك منك بمكانه، وهو يطاردك مطاردة الظل، ولن تموت حتى تستوفي رزقك.
- العديم من احتاج إلى لئيم، والفقير من استقلَّ الكثير، والأعمى من لم ير عيوبه.
- من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره، الا عبادة الله فنهايتها رضوانه ودخول الجنة.
- أحقُّ الناس بزيادة النعم أشكرهم، وأولاهم بالحب من بذل ندادٍ، ومنع أنداد وأطلق محياه.

- السرور محتاج إلى الأمن، والمال محتاج إلى الصدقة، والجاه محتاج إلى الشفاعة، السيادة محتاجة إلى التواضع.
- لا تُنال الراحة إلا بالتعب، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب، ولا يُحصل على الحب إلا بالأدب.
- الأبناء أهم من الثروة، والخلق أجل من المنصب، والهمة أعلى من الخبرة، والتقوى أسمى من المجد.
- لا تطمع في كل ما تسمع، ولا تركن لكل صديق، ولاتفش سرك إلى امرأة، ولا تذهب وراء كل أمنية.
- ما رأيت الراحة إلا مع الخلوة، ولا الأمن إلا مع الطاعة، ولا المحبة إلا مع الوفاء، ولا الثقة إلا مع الصدق.
- رب أكلة تمنع أكلات، وكلمة تجلب عداوات، وسيئة تمنع خيرات، ونظرة تعقب حسرات.
- لا يكن حبُّك كلفا، ولا بغضك سرفاً، ولا حياتك ترفاً، ولا تذكّرك أسفا، ولا قصدك شرفاً.
- كل امرئ في بيته أمير لا يهينه أحد، ولا يحجبه بشر، ولا يذله جبار، ولا يرده بخيل.
- أفضل الأيام ما زادك حلماً، ومنحك علماً، ومنعك إثماً، وأعطاك فهماً، ووهبك عزماً.
- الحياة فرصة لا تعرفها إلا بعد أن تفقدها، والعافية تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى.

- متى يسعد من له ابن عاق، وزوجة مشاكسة، وجار مؤذ، وصاحب ثقيل، ونفس أمارة، وهوى متبع.
- إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولعينك عليك حقا، ولزوجك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً، فاعط كل ذي حق حقه.
- استمتع بالنظر إلى الصباح عند طلوعه فإن له جمالاً وجلالاً وإشراقا يفتح لك الأمل والتفاؤل.
- عليك بالبكور فإنه بركة، فأنجز فيه عملك من ذكر أو تلاوة أو حفظ أو مطالعة أو تأليف أو سفر.
- كن وسطا، وامش جانباً، وارض خالقا، وارحم مخلوقاً، وأكمل فريضة، وتزود بنافلة تكن راشداً.
- التوفيق: حسن الخاتمة، وسداد القول، وصلاح العمل، والبعد عن الظلم، وقطيعة الرحم.
- ربَّ كلمة سلبت نعمة، وربَّ زلّة أوجبت ذلّة، وكم من خلوة حلوة، وصاحب العزلة فيها عزٌّ له.
- **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه..**
- خير مالك ما نفعك، وأجلُّ علمك ما رفعك، وخير البيوت ما وسعك، وخير الأصحاب من نصحك.
- إذا لم يكن لك حاسد فلا خير فيك، وإذا لم يكن لك صاحب فلا خلق لك، وإذا لم يكن لك دين فلا مبدأ لك.

- سُرَّ نفسك بتذكر حسناتك، وأرح قلبك بالتوبة من سيئاتك، وطوق الأعناق بأياديك البيضاء.
- السمنة غفلة، والبطنة تذهب الفطنة. وكثرة النوم إخفاق، وكثرة الضحك تميت القلب، والوسوسة عذاب.
- الإمارة حلوة الرضاع مرة الفطام، وفرحة الولاية يذهبها حزن العزل، والكرسيّ دوّار.
- من لذائذ الدنيا: السفر مع من تحب، والبعد عمن تبغض، والسلامة ممن يؤذي، وتذكر النجاح.
- البر يستعبد الحر، والإحسان يقيد الإنسان، والحلم يقهر الخصم، والصبر يطفئ الجمر.
- الدنيا أهنأ ما تكون حين تُهان، والحاجة أرخص ما تكون حينما يستغنى عنها.
- إذا أهمك رزق غد فمن يكفل لك قدوم غد. وإذا أحزنك ماحدث بالأمس فمن يعيد لك الأمس.
- توفيق قليل خير من مال كثير، وعزل في عزة خير من ولاية في ذلة، وخمول في طاعة خير من شدة في معصية.
- التائع ملك، والمسرف أهوج، والغضبان مجنون، والعجول طائش، والحاسد ظالم.
- ذكر الله يرضي الرحمن، ويسعد الإنسان، ويخسئ الشيطان، ويذهب الأحزان، ويملأ الميزان.

- سعيد من طال عمره وحسن عمله. وموفق من كثر ماله فكثر برُّه. ومبارك من زاد علمه فزادت تقواه.
- جزاء من اهتم بالناس ان ينسى همومه. وثواب من خدم مولاه ان يخدمه الناس. وجائزة من ترك الدنيا أن يأتيه رزقه رغدا.
- لا تستقل شيئا من النعم مع العافية. ولا تحتقر شيئاً من الذنب مع عدم التوبة. ولا تكثر طاعة مع عدم الإخلاص.
- الفرح بالدنيا فرح الأطفال. والفرح بالثناء الحسن فرح الرجال. والفرح بما عند الله فرح الأولياء الأبرار.
- الصدق طمأنينة. والكذب ريبة. والحياء صيانة. والعلم حجة. والبيان جمال. والصمت حكمة.
- حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر. ولذة الانتصار تذهب وعثاء المعاناة. وإتقان العمل يزيل مشقته.
- أطيب ما في الدنيا محبة الله. وأحسن ما في الجنة رؤية الله. وأنفع الكتب كتاب الله. وأبر الخلق رسول الله ﷺ.
- السعيد من اعتبر بأمسه. ونظر لنفسه. وأعد لرمسه. وراقب الله في جهره وهمسه.
- الحرص ذل. والطمع مهانة. والشح خسة. والهيبة خيبة. والغفلة حجاب.
- **احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده أمامك. تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. إذا سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله.**

- اجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك، واجعل مالك صيانة لحالك، واجعل عمرك ضاعة لربك.
- ربّ لذة أوجبت حسرة، وزلة أعقبت ذلة، ومعصية سلبت نعمة، وضحكة جرّت بكاء.
- النعم إذا شكرت قرّت، وإذا كفرت فرّت، والدنيا إذا سرّت مرّت، وإذا برّت غرّت.
- السلامة إحدى الغنيمتين، وصحة الجسم قلة الطعام، وصحة الروح قلة الآثام، وصحة الوقت البعد عن المقت.
- دقيقة الألم يوم، ويوم اللذة دقيقة، وليلة السرور قصيرة، ويوم الهم طويل ثقيل.
- البؤس ذكّرك النعيم، والجوع حبّب إليك الطعام، والسجنُ ثمّن لديك الحرية، والمرض شوّقك للعافية.
- عليك بثلاثة أطباء: الفرح والراحة والحمية، وإياك وثلاثة أعداء: التشاؤم والوهم والقنوط.
- السعادة هي أن تحمل النفس إلى درجة كمالها، والفوز أن تجد ثمرة أعمالها، والحظ أن تخدمه الدنيا بإقبالها.
- اجلس في السحر، ومد يديك، وأرسل عينيك، وقل: وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل يا جليل.
- من النعم السلامة من الألم والسقم والهرم، ولا تشرب حتى تطمأ، ولا تأكل حتى تجوع، ولا تنم حتى تتعب.

- من تأنّى حصل على ما تمنّى، ومن للخير تعنّى فبالفوز تهنّا، والعجلة عقم، والأماني إفلاس.
- ارض عن الله فيما فعله بك، ولا تتمنّ زوال حالة أقامك فيها، فهو أدرى بك منك، وأرحم بك من أمك.
- قضاء الله كله خير، حتى المعصية بشرطها من ندم وتوبة، وانكسار واستغفار، وذهاب الكبر والعجب.
- داوم على الاستغفار، فإن لله نفحات في الليل والنهار، فعسى أن تصيبك منها نفحة تسعد بها إلى يوم الدين.
- طوبى لمن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وإذا غضب حلم، وإذا حكم عدل.
- من فوائد القراءة فتق اللسان، وتنمية العقل، وصفاء الخاطر، وإزالة الهم، والاستفادة من التجارب، واكتساب الفضائل.
- غذاء القلب في الإخلاص والتوبة والإنابة، والتوكل على الله، والرغبة فيما عنده، والرهبة من عذابه، وحبه تعالى.
- الزم «يا ذا الجلال والإكرام»، وداوم على «يا حي يا قيوم برحمتك استغيث» لترى الفرج والفرج والسكينة.
- إذا آذاك أحد فتذكر القضاء، وفضل العفو، وأجر الحلم، وثواب الصبر، وأنه ظالم، وأنت مظلوم، فأنت أسعد حظاً.
- القضاء نافذ، والأجل محتوم، والرزق مقدّر، فلماذا الحزن؟ والمرض والفقر والمصيبة بأجرها فلم الهم؟.

- في الدنيا جنّة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وهي ذكره سبحانه وطاعته وحبه والأنس به والشوق إليه.
- رضي الله عنهم لأنهم أطاعوا أمره، واجتنبوا نهيه، ورضوا عنه: لأنه أعطاهم ما أملوا، وأمنهم مما خافوا.
- كيف يحزن من عنده ربٌ يقدر ويغفر ويستر ويرزق ويرى ويسمع، وبيده مقاليد الأمور.
- الرحمة واسعة والباب مفتوح، والعفو ممنوح، وعطاؤه يغدو ويروح، والتوبة مقبولة، وحلمه كبير.
- لا تحزن لأن القضاء مفروغ منه، والمقدور واقع، والأقلام جفت، والصحف طُويت، والأجر حاصل، والذنب مغفور.
- أحسن العمل، وقصّر الأمل، وانتظر الأجل، وعش يومك، وأقبل على شأنك واعرف زمانك، واحفظ لسانك.
- لا أفيدَ من كتاب، ولا أوعظَ من قبر، ولا أسلمَ من معصية، ولا أشرفَ من زهد، ولا أغنى من قناعة.
- بقدر همتك وجدّك ومثابرتك يكتب تاريخك، والمجد لا يُعطى جزافاً وإنما يؤخذ بجدارة ويُنال بتضحية.
- هوّن الأمر يهون، واجعل الهمّ هم الآخرة فحسب، وتهيأ للقاء الله تعالى، واترك الفضول من كل شيء.
- فضول المباحات من المزعجات، كفضول الكلام والطعام والمنام والخلطة والضحك، وهي سبب الغم.

- ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ فلا تذوبوا حسرة وندماً. ولا تهلكوا بكاء وأسفا. ولا تنقطعوا عويلاً وتسخطاً.
- ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ يكفيكم الله فيسددكم ويرعاكم ويدفع عنكم ويحميكم فلا تخافون.
- ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ يدفع عنهم الأعداء، ويعافيهم من البلاء، ويشافيهم من الداء، ويحفظهم في البأساء والضراء.
- ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ يرانا، يسمع كلامنا، وينصرنا على عدونا، ييسر لنا ما أهمنا، يكشف عنا ما أغمنا.
- ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ أما جعلناه فسيحاً وسيعاً مبتهجاً مسروراً ساكناً مطمئنا فرحا معمورا؟!
- ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ فنحن نكفيك مكرهم، ونفسد عنك كيدهم، ونرد عنك أذاهم فلا تضق ذرعاً.
- ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ وأنتم الأعلون عقيدة وشريعة، والأعلون منهجاً وسيرة، والأعلون سنداً ومبدأ، وأخلاقا وسلوكاً.
- ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ يعفو عن المذنب، ويقبل التوبة، يقيل العثرة، يمحو الزلة، يستر الخطيئة، يتوب على التائب.
- ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ فإن فرجه قريب، ولطفه عاجل، وتيسيره حاصل، وكرمه واسع، وفضله عام.
- ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ يشافي ويعافي ويجتبي ويختار، ويحفظ ويتولى، ويستر ويغفر، ويحلم ويتكرم.

- ﴿ فالله خيرٌ حافظاً ﴾ يحفظ الغائب، يرد الغريب، يهدي الضال، يعافي المبتلى، يشفي المريض، يكشف الكرب.
- ﴿ وعلى الله فتوكلوا ﴾ فوّضوا الأمر إليه، وأعيدوا الشأن إليه، واشكوا الحال عليه، ارضوا بكفايته، واطمئنوا لرعايته.
- ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ فيفتح الأقفال، ويكشف الكُرَب الثقال، ويزيل الليالي الطوال، ويشرح البال، ويصلح الحال.
- ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ فيذهب غماً، ويطرد هماً، ويزيل حزناً، ويسهل أمراً، ويقرب بعيداً.
- ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ يكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويعطي رزقاً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويفك مأسوراً، ويجبر كسيراً.
- ﴿ فإن مع العسر يسراً ﴾ مع الفقر غنى، وبعد المرض عافية، وبعد الحزن سرور، وبعد الضيق سعة، وبعد الحبس انطلاق، وبعد الجوع شبع.
- ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ سيُحل القيد، وينقطع الحبل، ويفتح الباب، وينزل الغيث، ويصل الغائب، وتصلح الأحوال.
- ﴿ فصبرٌ جميلٌ ﴾ فسوف يبدل الحال، وتهدأ النفس، وينشرح الصدر، ويسهل الأمر، وتحل العقد، وتنفرج الأزمة.
- ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ ليصلح حالك، ويشرح بالك، ويحفظ مالك، ويرعى عيالك، ويكرم مآلك، ويحقق آمالك.
- ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ يكشف عنا الكروب، يزيل عنا الخطوب، يغفر لنا الذنوب، ويصلح لنا القلوب، ويذهب عنا العيوب.

- ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ هديناك واجتبيناك، وحفظناك ومكناك، ونصرناك وأكرمناك، ومن كل بلاء حسن أبليناك.
- ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ فلا ينالك عدو، ولا يصل إليك طاغية، ولا يغلبك حاسد، ولا يعلو عليك حاقد، ولا يجتاحك جبار.
- ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ خلقك ورزقك، علمك وفهمك، هداك وسددك، أرشدك وأدبك، نصرك وحفظك، تولاك ورعاك.
- ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ أعطى الخلق والرزق، والسمع والبصر، والهداية والعافية، والماء والهواء، والغذاء والدواء، والمسكن والكساء.
- إذا سألت فاسأل الله، تجد العون والكفاية والرشد والسداد، واللطف والفرج، والنصر والتأييد.
- على الله توكلنا، وبدينه آمنا، ولرسوله اتبعنا، ولقوله استمعنا، وبدعوته اجتمعنا، فلا تحزن إن الله معنا.
- ولينصرن الله من ينصره، فيرفع قدره، ويعلي شأنه، ويتولى أمره، ويخذل عدوه، ويكبت خصمه، ويخزي من كاده.
- **لا حول ولا قوة إلا بالله**، لا إرادة ولا قدرة ولا تأييد ولا نصر ولا فرج ولا عون ولا كفاية ولا طاقة إلا بالله العظيم.
- ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ يطالع كتاب الكون، ويقرأ دفتر الجمال، و يتمتع بمشاهد الحسن، ويسرح طرفه في مهرجان الحياة.
- ﴿ ولسانا وشفتين ﴾ يتكلم بالبيان المشرق، ينطق بالحديث الجذاب، يتحدث بالكلمات الأسرات، يترجم عما في قلبه.

- ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ فيعظم علمكم، ويزيد فهمكم، ويبارك في رزقكم، ويتحقق نصركم، ويكثر خيركم.
- ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ عامة وخاصة، في الدين والدنيا، في الأهل والمال، في المواهب والجوارح، في الروح.
- ﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾ أرفع شكايتي إليه، أعرض حالي عليه، أحسن ظني به، اتوكل عليه، أرضى بحكمه، أطمئن إلى كفايته.
- ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ يرزقهم إذا افتقروا، يغيثهم إذا قحطوا، يغفر لهم إذا استغفروا، يشفيهم اذا مرضوا، يعافيهم إذا ابتلوا.
- ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ لم يغلق بابه، لم يسدل حجابه، لم تنفد خزائنه، لم ينته فضله، لم ينقطع حبله.
- ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ يكفيه ما أهمه وأغمه، يحميه ممن قصده، يمنعه ممن كاد له، يحفظه ممن مكر به.
- ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ فعنده الخزائن، ولديه الكنوز، وبيده الخير، وهو الجواد المنان الفتاح العليم.
- ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ يكشف كربه، ويغفر ذنبه، ويذهب غيظه، وينير طريقه، ويسدد خطاه.
- ﴿ اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ كنتم أمواتاً فأحياكم، وضلالاً فهداكم، وفقراء فأغناكم، وجهلة فعلّمكم، ومستضعفين فنصركم.
- كم مرة سألت فأعطاك.كم مرة طلبت فحباك، كم مرة عثرت فأقالك، كم مرة أعسرت فيسر عليك، كم مرة دعوته فأجابك.

- الصلاة والسلام على المعصوم تذهب الهموم، وتزيل الهموم، وتشافي القلب المكلوم، وتفتح المغلوم، ويحصل بها الفضل المقسوم.
- ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ارفعوا إلى الله أكفكم، قدموا إليه حوائجكم، تسألوه مرادكم، المأبود رزقكم، اشكوا عنده حالكم.
- ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ فيزيل كربه وبلواه ويذهب ما اعتنده ويعطيه ما تمناه، ويحقق مبتغاه.
- تصدق بعرضك على فقراء الأخلاق، واجعلهم في حل إن استعبك أو سبوك، أو آذوك فعند الله العوض.
- إذا خاف ربان السفينة نادى: يا الله، إذا ضل الحادي هتف: يا الله، إذا أغتم السجين دعا: يا الله، إذا ضاق المريض صاح: يا الله.
- ﴿الله الصمد﴾ تصمد إليه الكائنات، تقصده المخلوقات، تدعوه البريات بشتى اللغات، ومختلف اللهجات في سائر الحاجات.
- ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ ينير لهم الطريق، يبين لهم المحجة، يوضح لهم الهداية، يحميهم من الضلالة، يعلمهم من الجهالة.
- رفقا بالقوارير، ونصفا بالقلوب، ورحمة بالناس، ورويدا بالمشاعر، وإحساناً للغير، وتفضلاً على العالم.. أيها الناس.
- اكتم الغيظ، وغافل عن الزلة، وتغاض عن الإساءة، واعف عن الغلطة، وادفن المعائب تكن أحب الناس إلى الناس.
- باب ومفتاح، وغرفة تدخلها الرياح، وقلب مرتاح، مع تقوى وصلاح، وقد نلت النجاح.

- فضول العيش أشغال، والزائد عن الحاجة أثقال. وعفاف في كفاف خير من بذخ وإسراف.
- لاتحمل عقدة المؤامرة. ولا تفكر في تربص الآخرين، ولا تظن أن الناس مشغولون بك. فكل في فلك يسبحون.
- ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ فيرد كيدهم، ويبطل مكرهم، ويخذل جندهم، ويفل حدهم، ويمحق قوتهم، ويذهب بأسهم ويشتت شملهم.
- ﴿ فأنزل السكينة عليهم ﴾ فتشفى غليلهم، وأبرد عليلهم، وأطفأ لهب صدورهم، وأراح ضمائرهم، وطهر سرائرهم.
- «الكلمة الطيبة صدقة» لأنها تفتح النفس، وتسعد القلب، وتندمل الجراح، وتذهب الغيظ، وتعلن السلام.
- «تبسمك في وجه أخيك صدقة» لأن الوجه عنوان الكتاب، وهو مرآة القلب، وراند الضمير وأول الغال.
- ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ بترك الانتقام، ولطف الخطاب، ولين الجانب، والرفق في التعامل، ونسيان الإساءة.
- ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ولكن لتسعد وتفرح روحك، وتسكن نفسك، وتدخل به جنة الفلاح، وفردوس السعادة.
- ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ بل يسر وسهولة، ومراعاة للمشقة، وبعد عن الكلفة، وسلامة من التعب والإرهاق.
- ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ فيسعدون بعد شقاء ويرتاحون بعد عناء ويأمنون بعد خوف، ويسرون بعد حزن.

- ﴿ قال رب اشرح لي صدري ﴿٢٥﴾ ويسر لي أمري ﴿٢٦﴾ فساري النور أمامي، وأحس الهدى بقلبي، وأمسك الحبل بيدي، وأنال النجاح في حياتي، والفوز بعد مماتي.
- ﴿ ويسرك لليسرى ﴿٨﴾ فتعبد ربك بحب وتطيعه بود وتجاهد فيه بصدق، فيصبح العذاب فيه عذبا، والعلقم في سبيله شهدا.
- ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ فلا تكليف فوق الطاقة، وإنما على حسب الجهد، وعلى قدر الموهبة، وعلى مقدار القوة.
- ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ﴾ فإنا نهم أحيانا، وتغفل أوقاتا، ويصيبنا الشرود ويعترينا الذهول، فعفوك يارب.
- ﴿ أو أخطأنا ﴾ فلسنا معصومين ولا من الذنب بسالمين، لكنا في فضلك طامعون، وفي رحمتك راغبون.
- ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا ﴾ فنحن عباد ضعفاء، وبشر مساكين، وأنت الذي علمتنا كيف ندعوك فأجبنا كما دعوتنا.
- ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ فتعجز وتكل قلوبنا وتمل نفوسنا، بل يسر علينا وقد فعلت، وسهل علينا وقد أجبت.
- ﴿ واعف عنا ﴾ فنحن أهل الخطأ والحيف ومنا تبدر الإساءة، وفينا نقص وتقصير، وأنت جواد كريم رحمان رحيم.
- ﴿ واغفر لنا ﴾ فلا يغفر الذنوب إلا أنت، ولا يستر العيوب إلا أنت، ولا يحلم عن التقصر إلا أنت، ولا يتفضل على المسيء إلا أنت.

- «وارحمنا» فبرحمتك تسعد، وبرحمتك تعيش أمانينا، وبرحمتك تقبل أعمالنا، وبرحمتك تصلح أحوالنا.
- **بعثت بالحنيفية السمحة**، فلا عُنْفَ فيها ولا تنطُّع ولا تكلُّف ولا مشقة ولا غلو بل فطرة وسنة ويسر واقتصاد.
- **إياكم والغلو**. بل الزموا السنة، اتباع لا ابتداع، وسهولة لا مشادة، وتوسط لا تطرف، واقتفاء بلا زيادة.
- **أمتي أمة مرحومة**، تولاها ربها، فرسولها سيد الرسل، ودينها أحسن الأديان، وهي أفضل الأمم، وشريعتها أجمل الشرائع.
- **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**. وهذه الثلاثة أركان الرضا، وأصول الفلاح.
- **إياك والتسخط** فإنه باب الحزن والهم والغم، وشتات القلب، وكسف البال وسوء الحال، وضياع العمر.
- الرضا يكسب في القلب السكينة والدعة، والراحة والأمن، والطمأنينة وطيب العيش والسرور والفرح.
- الرضا يجعل القلب سليماً من الغش والدغل، والغل والسخط، والاعتراض والتذمر، والملل والضجر والتبرم.
- من رضي عن الله ملأ قلبه نوراً وإيماناً، ويقيناً وحباً، وقناعةً ورضىً، وغنىً وأمناً، وإنابةً وإخباتاً.
- أيها الفقير: صبر جميل، فقد سلمت من تبعات المال، وخدمة الثروة، وعناء الجمع، ومشقة حراسة المال وخدمته، وطول الحساب عند الله.

- يا من فقد بصره: أبشر بالجنة ثمنا لبصرك، واعلم أنك عوضت نوراً في قلبك، وسلمت من رؤية المنكرات، ومشاهدة المزعجات والملهيات.
- أيها المريض: طهور إن شاء الله فقد هُذِّبت من الخطايا، ونُقيت من الذنوب، وصُقِلَ قلبك وانكسرت نفسك، وذهب كبرك وعجبك.
- لماذا تفكر في المفقود ولا تشكر على الموجود، وتنسى النعمة الحاضرة، وتتحسر على النعمة الغائبة، وتحسد الناس وتغفل عما لديك.
- **كن في الدنيا كأنك غريب**، قطعة خبز، وجرعة ماء، وكساء، وأيام قليلة، وليال معدودة، ثم ينتهي العالم، فإذا قبر أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء سواء.
- يدفن الملك بجانب الخادم، والرئيس بجوار الحارس، والشاعر المشهور مع الفقير الخامل، والغني مع المسكين والفقير والكبير، ولكن داخل القبر أعمال مختلفة ودرجات متباينة.
- إذا زارك يوم جديد فقل له مرحبا بضيف كريم، ثم أحسن ضيافته بفريضة تؤدى، وواجب يعمل، وتوبة تجدد، ولا تكدره بالآثام والهموم فإنه لن يعود.
- إذا تذكرت الماضي فاذكر تاريخك المشرق لتفرح، وإذا ذكرت يومك فاذكر إنجازك تسعد، وإذا ذكرت الغد فاذكر أحلامك الجميلة لتتفاءل.
- طول العمر ثروة من التجارب، وجامعة من المعارف، ومستودع من المعلومات، وكلما مر بك يوم تلقيت درساً في فن الحياة، إن طول العمر بركة لقوم يعقلون.

- لابد من شيء من الخوف يذكرك الأمن، ويحثك على الدعاء، ويردعك عن المخالفة، ويحذّرك من خطر أعظم.
- ولا بد من شيء من المرض يذكرك العافية، ويجتث شجرة الكبر، ودرجة العجب تستيقظ قلبك من رقدة الغافلين.
- الحياة قصيرة فلا تقصّرها أكثر بالنكد، والصديق قليل فلا تخسره باللوم، والأعداء كثير فلا تزد عددهم بسوء الخلق.
- كن كالنملة في المثابرة، فإنها تصعد الشجرة مائة مرة وتسقط، ثم تعود صاعدة حتى تصل، ولا تكل ولا تمل.
- وكن كالنحلة فإنها تأكل طيبا، وتضع طيباً، وإذا وقعت على عود لم تكسره، وعلى زهرة لا تخدشها.
- لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب، فكيف تدخل السكينة قلباً فيه كلاب الشهوات والشبهات.
- احذر مجالس الخصومات ففيها يباع الدين بثمن بخس، ويجرّح على المروءة، ويداس فيها العرض بأقدام الأنذال.
- « وسابقوا » . ليس إلا المسابقة فالزمن يمضي، والشمس تجري، والقمر يسير، والريح تهب، فلا تقف فلن تنتظرك قافلة الحياة.
- « وسارعوا » . لك وثبة إلى العلياء فإن المجد مناهبه، ولن يقدم النصر على أطباق من ذهب، ولكن مع دموع ودماء وسهر ونصب وجوع ومشقة.
- عرق العامل أزكى من مسك القاعد، وزفرات الكادح أجمل من أناشيد الكسول، ورغيف الجائع أتذ من خروف المترف.

- الشتم الذي يوجه للناجحين من حسادهم هي طلقات مدفع الانتصار، وإعلانات الفوز، ودعاية مجانية للتفوق.
- التفوق والمثابرة لا تعترف بالأنساب والألقاب ومستوى الدخل والتعليم، بل من عنده همة وثابة، ونفس متطلعة، وصبر جميل، أدرك العلياء.
- لا تتهيب الصاعب فإن الأسد يواجه القطيع من الجمال غير هياب، ولاتشك المتاعب فإن الحمار يحمل الأثقال ولا يئن، ولا تضجر من مطلبك فإن الكلب يطارد فريسته ولو في النار.
- لاتستقل برأيك في الأمور بل شاور فإن رأي الاثنين أقوى من رأي الواحد، كالحبل كلما قُرن به حبل آخر قوي واشتد.
- لا تحمل كل نقد يوجَّه إليك على أنه عداوة، بل استفد منه بغض النظر عن مقصد صاحبه فإنك إلى التقويم أحوج منك إلى المدح.
- من عرف الناس استراح، فلا يطرب لمدحهم، ولا يجزع من ذمهم، لأنهم سريعو الرضا، سريعو الغضب، والهوى يحركهم.
- لا تظن العاهات تمنعك من بلوغ الغايات، فكم من فاضل حاز المجد وهو أعمى أو أصم أو أشل أو أعرج، فالمسألة مسألة همم لا أجسام.
- عسى أن يكون منعه لك سبحانه عطاء، وحجزك عن رغبتك لطفاً، وتأخيرك عن مرادك عناية، فإنه أبصر بك منك.
- إذا زارتك شدة فاعلم أنها سحابة صيف عن قليل تقشع، ولا يخيفنك رعدها، ولا يرهبك برقها، فربما كانت محملة بالغيث.

- اخرج بأهلك في نزهة عائلية كل أسبوع فإنها تعرِّفك بأطفالك أكثر، وتجدد حياتك، وتذهب عنك الملل.
- من لم يسعد في بيته فلن يسعد في أي مكان، واعلم أن أنسب مكان لراحة النفس وهدوء البال والبعد عن التكلف هو بيتك.
- العلم والثقافة مجدها باقٍ خاصة لمن علّم الناس وألّف، أما مجد الشهرة والمنصب فظل زائل، وطيف زائف.
- الفكر إذا تُرك ذهب إلى حانة الماضي، فجرّع الآلام والأحزان، فلا تتركه يطيش ولكن قيده فيما ينفع.
- مما يشوش البال ويقسي القلب مع الطلة الناس، وسماع كلامهم اللاهي، وطول مجالستهم، ولا أحسن من العزلة مع العبادة والعلم.
- أشرف السبل سبيلك إلى المسجد، وأمن الطرق طريقك إلى بيتك، وأصعب المواقف وقوفك أمام السلطان، وأعظم الهيئات سجودك للديان.
- سماع القرآن بصوت حسن، والذكر بقلب حاضر، والإنفاق من مال حلال، والوعظ بلسان فصيح مواتٍ للنفس وبساتين للقلب.
- الأخلاق الجميلة والسجايا النبيلة، أجمل من وسامة الوجوه، وسواد العيون، ورقة الخدود؛ لأن جمال المعنى أجلّ من جمال الشكل.
- صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وجدار العقل يمنع من مزالق الهوى، ومطارق التجارب أنفع من ألف واعظ.
- إذا رأيت الألوف من البشر وقد أذهبوا أعمارهم في الفن واللهو واللعب والضياع فاحمد الله على ما عندك من خير، فرؤية المبتلى سرور للمعافى.

- إذا رأيت الكافر فاحمد الله على الإسلام، وإذا رأيت الفاجر فاحمد الله على التقوى، وإذا رأيت الجاهل فاحمد الله على العلم، وإذا رأيت المبتلى فاحمد الله على العافية.
- خلقت الشمس لك فاغتسل بضيائها، وخلقت الرياح لك فاستمتع بهوائها، وخلقت الأنهار لك فتلذذ بمائها، وخلقت الثمار لك فتغذ بغذائها، واحمد من أعطى جل في علاه.
- الأعمى يتمنى أن يشاهد العالم، والأصم يتمنى سماع الأصوات، والمقعد يتمنى المشي خطوات، والأبكم يتمنى أن يقول كلمات، وأنت تشاهد، وتسمع وتمشي وتتكلم.
- لا تظن أن الحياة كملت لأحد، من عنده بيت ليس عنده سيارة، ومن عنده زوجة ليس عنده وظيفة، ومن عنده شهية قد لا يجد الطعام، ومن عنده المأكولات منع من الأكل.
- المسجد سوق الآخرة، والكتاب صديق العمر، والعمل أنيس في القبر، والخلق الحسن تاج الشرف، والكرم أجمل ثوب.
- إياك وكتب الملاحدة فإن فيها رجسا ينجس القلب، وسما يقتل النفس، ولوثة تعصف بالضمير، وليس أصلح لك من الوحي، يطهر روحك، ويشفي داءك.
- لا تتخذ قرارا وأنت مغضب فتندم؛ لأن الغضبان يفقد الصواب، وتفوته الرؤية، وينقصه التأمل.
- الحزن لا يرد الغائب، والخوف لا يصلح للمستقبل، والقلق لا يحقق النجاح، بل النفس السوية، والقلب الراضي هما جناحا السعادة.

- لا تطالب الناس باحترامك حتى تحترمهم، ولا تُلمّهم على فشل حصل لك، بل لُم نفسك. وإن أردت أن يكرمك الناس فأكرم نفسك.
- على صاحب الكوخ أن يرضى بكوخه إذا علم أن القصور سوف تخرب، وعلى لابس الثياب الممزقة أن يقنع بثيابه إذا تيقن أن الحرير سوف يبلى.
- من أعطى نفسه كلما تطلب تشتت قلبه، وضاع أمره، وكثر همه؛ لأنه لا حدّ لمطالب النفس فهي أمّارة غرّارة.
- يا من فقد ابنه: لك قصر الحمد في الجنة، ويا من فاته نصيبه من الدنيا: نصيبك في جنات عدن تنتظرك.
- الطائر لا يأتيه رزقه في العش، والأسد لا تقدم له وجبته في العرين، والنملة لا تعطى طعامها في مسكنها، ولكن كلهم يطلبون ويبحثون. فاطلب كما طلبوا تجد ما وجدوا.
- ﴿ يحسبون كلّ صيحة عليهم ﴾ يموتون قبل الموت، وينتظرون كل مصيبة، ويتوقعون كل كارثة، ويخافون من كل صوت وخيال وحركة؛ لأن قلوبهم هواء، ونفوسهم ممزقة.
- إذا أقامك الله في حالة فلا تطلب غيرها لأنه عليم بك. فإن أفقرك فلا تقل ليته أغناني، وإن أمرضك فلا تقل ليته شفاني.
- عسى تأخيرك عن سفر خيرا، وعسى حرمانك من زوجة بركة، وعسى ردك عن وظيفة مصلحة، لأنه يعلم وأنت لا تعلم.
- الصخر أقوى من الشجر، والحديد أقوى من الصخر، والنار أقوى من الحديد، والريح أقوى من النار، والإيمان أقوى من الريح المرسلة.

- كل مأساة تصيبك فهي درس لا ينسى، وكل مصيبة تصيبك محفورة في ذاكرتك، ولهذا هي النصوص الباقية في الذهن.
- النجاح قطرات من المعاناة والتحمص والجراحات والآهات والمزعجات، والفشل قطرات من الخمول والكسل والعجز والمهانة والخور.
- الذي يحرص على الشهرة المؤقتة، ولا يسعى للخلود بثناء حسن، وعلم نافع، وعمل صالح، انما هو رجل بسيط لاهمة له.
- يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها لان الصلاة فيض من السكينة، ونهر من الأمن، وريح طيبة بازدة تهب على النفس فتطفئ نار الخوف والحزن.
- إذا لم تعص ربا، ولم تظلم أحدا، فنم قرير العين، وهنيئا لك فقد علا حظك، وطاب سعيك، فليس لك عدو.
- هنيئا لمن مات والناس يدعون له، وويل لمن نام والناس يدعون عليه، وبشرى لمن أحبته القلوب، وخسارة لمن لعنته الالسن.
- إذا لم تجد عدلا في محكمة الدنيا فارفع ملفك لمحكمة الأخرة فان الشهود ملائكة، والدعوى محفوظة، والقاضي أحكم الحاكمين.
- ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ لو لم يكن للذكر من فائدة إلا هذه لكفى، ولو لم يكن له نفع إلا أن يذكرك ربك لكفى به نفعا. فيا له من مجد وسؤدد وزلفى وشرف.
- بشرى لك.. فالطهور شطر الإيمان، فهو يذهب الخطايا، ويغسل السيئات غسلا، ويطهرك لمقابلة ملك الملوك تعالى.

- طوبى لك فالصلاة كفارة تذهب ما قبلها، وتمحو ما أمامها، وتصلح ما بعدها. وتفك الأسر عن صاحبها. فهي قرة العيون.
- الرجل الذي يسعى دائماً للظفر باحترام الناس ولايتعرض لنقدهم. كثيراً ما يعيش شقياً بائساً. والسعي وراء الظهور والشهرة عدو للسعادة.
- النظريات والدروس في فن السعادة لا تكفي، بل لا بد من حركة وعمل وتصرف كالمشي كل يوم ساعة أو السفر أو الذهاب إلى المنتزهات.
- تتعرض البعوضة للأسد كثيراً، وتحاول إيذاءه فلا يعيرها اهتماماً، ولا يلتفت إليها، لأنه مشغول بمقاصده عنها.
- احذر المتشائم، فإنك تريه الزهرة فيريك شوكها، وتعرض عليه الماء فيخرج لك منه القذى، وتمدح له الشمس فيشكو حرارتها.
- أتريد السعادة حقاً؟! لا يبحث عنها بعيداً، إنها فيك: في تفكيرك المبدع، في خيالك الجميل، في إرادتك المتفائلة، في قلبك المشرق بالخير.
- السعادة عطر لا تستطيع أن ترشّه على من حولك دون أن تعلق بك قطرات منه.
- محسبتنا أننا نخاف من غير الله في اليوم أكثر من مائة مرة: نخاف أن نتأخر، نخاف أن نخطئ، نخاف أن نستعجل، نخاف أن يغضب فلان، نخاف أن يشك فلان.
- كثيرون من الناس يعتقدون أن كل سرور زائل ولكنّهم يعتقدون أنّ كل حزن دائم، فهم يؤمنون بموت السرور، ويكفرون بموت الحزن.

- بعضنا مثل السمكة العمياء تظن وهي في البحر أنها في كأس صغير. فنحن خلقنا في عالم الإيمان فأحطنا أنفسنا بجبال الكره والخوف والعداوة والحزن.
- إن الحياة كريمة، ولكن الهدية تحتاج إلى من يستحقها، وإن الذين تضحك لهم الحياة وهم يبكون، وتبتسم لهم وهم يكشرون لا يستحقون البقاء.
- وضع صياد حمامة في قفص فأخذت تغني فقال الصياد: أهذا وقت الغناء؟! فقالت: من ساعة إلى ساعة فرج.
- قيل لحكيم: لماذا لا تذهب إلى السلطان فانه يعطي أكياس الذهب؟ قال: أخشى منه إذا غضب أن يقطع رأسي، ويضعه في أحد تلك الأكياس ويقدمه هدية لزوجتي!!.
- لماذا تسمع نباح الكلاب ولا تنصت لغناء الحمام؟! لماذا ترى من الليل سواده، ولا تشاهد حسن القمر والنجوم؟! لماذا تشكو لسع النحل، وتنسى حلاوة العسل؟!.
- تاب أبونا آدم من الذنب فاجتباه ربه واصطفاه وهداه، وأخرج من صلبه أنبياء وشهداء وعلماء وأولياء، فصار أعلى بعد الذنب منه قبل أن يذنب.
- ناح نوح والطوفان كالبركان فهتف: يا رحمان يا منان. فجاءه الغوث في لمح البصر فانتصر وظفر، أما من كفر فقد خسر واندحر.
- أصبح يونس في قاع البحر في ظلمات ثلاث فأرسل رسالة عاجلة فيها اعتراف بالاقتراف، واعتذار عن التقصير، فجاء الغوث كالبرق لأن البرقية صادقة.

- غسل داود بدموعه ذنوبه، فصار ثوب توبته أبيض؛ لأن القماش نسج في المحراب، والخياط أمين، وغسل الثوب في السحر.
- إذا اشتد عليك الأمر، وضاق بك الكرب، وجاءك اليأس؛ فانتظر الفرج.
- إذا أردت أن يفرج الله عنك ما أهمك فاقطع طمعك في أي مخلوق صغير أم كبير، ولا تعلّق على أحد أملا غير الله، واجمع اليأس من كافة الناس.
- نفسك كالسائل الذي يلوّن الإناء بلونه، فإن كانت نفسك راضية سعيدة رأيت السعادة والخير والجمال، وإن كانت ضيقة متشائمة رأيت الشقاء والشر والقبح.
- إذا أطعت المعبود، ورضيت بالموجود، وسلوت عن المفقود، فقد نلت المقصود، وأدركت كل مطلب محمود.
- من عنده بستان في صدره من الإيمان والذكر، ولديه حديقة في ذهنه من العلم والتجارب فلا يأسف على ما فاته من الدنيا.
- إنّ من يؤخر السعادة حتى يعود ابنه الغائب، ويبني بيته ويجد وظيفة تناسبه، إنما هو مخدوع بالسراب، ومغرور بأحلام اليقظة.
- **السعادة:** هي عدم الاهتمام، وهجر التوقعات، واطّراح التخويفات.
- **البسمة:** هي السحر الحلال، وهي عربون المودة وإعلان الإخاء، وهي رسالة عاجلة تحمل السلام والحب، وهي صدقة منقبلة تدل على أن صاحبها راض مطمئن ثابت.
- **أنهاك** عن الاضطراب والارتباك والفوضوية، وسببها ترك النظام وإهمال الترتيب، والحل أن يكون للإنسان جدول متزن فيه واقعيّة وعمران.

- إذا وقعت عليك مصيبة او شدة فافرح بكل يوم يمر؛ لأنه يخلف منها وينقص من عمرها، لان للشدة عمراً كعمر الإنسان لاتتعداه.
- ينبغي أن يكون لك حد من المطالب الدنيوية تنتهي إليه. فمثلاً تطلب بيتاً تسكنه، وعملاً يناسبك، وسيارة تحملك. أما فتح شهية الطمع على مصراعيها فهذا شقاء.
- « لقد خلقنا الإنسان في كبد » سُنَّةٌ لاتتغير لهذا الإنسان فهو في مجاهدة ومشقة ومعاناة، فلا بد أن يعترف بواقعه، ويتعامل مع حياته.
- يظن من يقطع يومه كله في اللعب أو الصيد أو اللهو أنه سوف يسعد نفسه، وما علم انه سوف يدفع هذا الثمن هماً متصلا وكدراً دائماً؛ لأنه أهمل الموازنة بين الواجبات والمسلّيات.
- تخلص من الفضول في حياتك، حتى الأوراق الزائدة في جيبك أو على مكتبك، لأن ما زاد على الحاجة ـ في كل شيء ـ كان ضاراً.
- كان الصحابة أسعد الناس لأنهم لم يكونوا يتعمقون في خطرات القلوب، ودقائق السلوك، ووساوس النفس، بل اهتموا بالاصول، واشتغلوا بالمقاصد.
- ينبغي أن تهتم بالتركيز، وحضور القلب عند أداء العبادات، فلا خير في علم بلا فقه، ولا صلاة بلا خشوع، ولا قراءة بلا تدبر.
- « والطيبات للطيبين » فالطيّبات من الأقوال والأعمال والآداب والأخلاق والزوجات للأخيار الأبرار، لتتم السعادة بهذا اللقاء، ويحصل الأنس والفلاح.

- ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ يكظمونه في صدورهم فلا تظهر آثاره من الشتم والأذى والعداوة. بل قهروا نفسهم وتركوا الانتقام.
- ﴿ والعافين عن الناس ﴾ وهم الذين أظهروا العفو والمغفرة. وأعلنوا السماح واعتقوا من أذاهم من طلب الثأر. فلم يكظموا فحسب بل ظهر الحلم والصفح عليهم.
- ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ وهم الذين عفوا عمن ظلمهم بل أحسنوا إليه وأعانوه بمالهم وجاههم وكرمهم. فهو يسيء وهم يحسنون إليه. ولهذا أعلى المراتب وأجل المقامات.
- حدد بالضبط الأمر الذي يسعدك. سجل قائمة بأسعد حالاتك: هل تحدث بعد مقابلة شخص معين؟ أو ذهابك إلى مكان محدد؟ أو بعد أداتك عملاً بذاته؟ إذا كنت تتبع روتينا جيدا. ضعه في قائمتك. تجد بعد أسبوع أنك ملكت قائمة واضحة بالأفكار التي تجعلك سعيدا.
- تعود على عمل الأشياء السارة: بعد تحديد الأمور التي تسعدك. أبعد كل الأمور الأخرى عن ذهنك. أكد الأمور السعيدة. وانس الأمور التي لاتسعدك. وليكن قرارك بمحاولة بلوغ السعادة تجربة سارة في حد ذاتها.
- ارض عن نفسك وتقبلها: من المهم جداً أن تنتهي إلى قرار بالرضا عن نفسك. والثقة في تصرفاتك. وعدم الاهتمام بما يوجه إليك من نقد. طالما أنت ملتزم بالصراط المستقيم. فالسعادة تهرب من حيث يدخل الشك أو الشعور بالذنب.

- اصنع المعروف واخدم الآخرين: لاتبق وحيداً معزولاً. فالعزلة مصدر تعاسة. كل الكآبة والتعاسة والتوتر تختفي حينما تلتحم بأسرتك والناس. وتقدم شيئاً من الخدمات. وقد وصف العمل أسبوعين في خدمة الآخرين كعلاج لحالات الاكتئاب.
- اشغل نفسك دائماً: يجب أن تحاول ـ بوعي وإرادة ـ استخدام المزيد من إمكاناتك. سوف تسعد أكثر إن شغلت نفسك بعمل أشياء بديعة. فالكسل ينمي الاكتئاب.
- حارب الفكر والكآبة: إذا أزعجك أمر، قم بعمل جسماني تحبه تجد أن حالتك النفسية والذهنية قد تحسنت. ويمكنك أن تمارس مسلكا كانت تسعدك ممارسته في الماضي، كأن تزاول رياضة معينة أو رحلة مع أصدقاء.
- لا تبتئس على عمل لم تكمله: يجب أن تعرف أن عمل الكبار لا ينتهي. من الناس من يشعرون أنهم لن يكونوا سعداء راضين عن أنفسهم إلا إذا أنجزوا كل أعمالهم. والشخص المسؤول يستطيع أن يؤدي القدر الممكن من عمله بلا تهاون، ويستمتع بالبهجة في الوقت نفسه، ما دام لم يقصر.
- لا تبالغ في المنافسة والتحدي: تعلّم ألا تقسو على نفسك، خاصة حينما تباري أحداً في عمل ما بدون أن تشترط لشعورك بالسعادة أن تفوز.
- لا تحبس مشاعرك: كبت المشاعر يسبب التوتر، ويحول دون الشعور بالسعادة. لا تكتم مشاعرك. عبر عنها بأسلوب مناسب ينفث عن ضغوطها في نفسك.

- لا تتحمل وزر غيرك: كثيراً ما يشعر الناس بالابتئاس، والمسؤولية، والذنب، بسبب اكتئاب شخص اخر، رغم أنهم برءاء مما هو فيه. تذكر أن كل إنسان مسؤول عن نفسه، وأن للتعاطف والتعاون حدوداً وأولويات، وأن الإنسان على نفسه بصيرة ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .
- اتخذ قراراتك فوراً: إن الشخص الذي يؤجل قراراته وقتاً طويلا، فإنه يسلب من وقت سعادته ساعات، وأياما، بل وشهورا. تذكر أن إصدار القرار الآن لا يعني بالضرورة عدم التراجع عنه أو تعديله فيما بعد .
- اعرف قدر نفسك: حينما تفكر في الإقدام على عمل تذكر الحكمة القائلة: «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه». إذا بلغت الخمسين من عمرك، وأردت أن تمارس رياضة، فكر في المشي أو السباحة أو التنس ـ مثلاً ـ ولا تفكر في كرة القدم. وحاول تنمية مهاراتك باستمرار .
- تعلم كيف تعرف نفسك: أما الاندفاع في خضم الحياة بدون إتاحة الفرصة لنفسك كي تقيِّم اوضاعك ومسؤولياتك في الحياة، فحماقة كبرى. فهؤلاء الذين لا يفهمون أنفسهم، لن يعرفوا إمكاناتهم.
- اعتدل في حياتك العملية: اعمل إن استطعت جزءاً من الوقت، فقد كان الإغريق يؤمنون بأن الرجل لا يمكن أن يحتفظ بإنسانيته إذا حرم من وقت الفراغ والاسترخاء .
- كن مستعداً لخوض مغامرات: الطريقة الوحيدة لحياة ممتعة هي اقتحام أخطارها المحسوبة. فلن تتعلم ما لم تكن عازماً على مواجهة المخاطر. قم مثلاً بتعلم السباحة لمواجهة خطر الغرق.

- لا تقنط إلا وسوف يفتح، ولا قيد إلا وسوف يفك، ولا بعيد إلا وسوف يقرب، ولا غائب إلا وسوف يصل.. ولكن بأجل مسمّى.
- ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فهما وقود الحياة، وزاد السير، وباب الأمل، ومفتاح الفرج. ومن لزم الصبر، وحافظ على الصلاة: فيبشّر بفجر صادق، وفتح مبين، ونصر قريب.
- جُلد بلالٌ وضُرب وعُذّب وسُحب وطُرد فأخذ يردد: أحد أحد. لأنّه حفظ ﴿ قل هو الله أحد ﴾. فلما دخل الجنة احتقر ما بذل، واستقلّ ما قدم. لأن السِّلعة أغلى من الثمن أضعافا مضاعفة.
- ما هي الدنيا؟ هل هي الثوب إن غاليت فيه خدمته وما خدمك. أو زوجة إن كانت جميلة تعذب قلبك بحبها. أو مال إن كثر أصبحت له خازناً.. هذا سرورها فكيف حزنها؟.
- كل العقلاء يسعون لجلب السعادة بالعلم أو بالمال أو بالجاه، وأسعدهم بها صاحب الإيمان لأن سعادته دائمة على كل حال حتى يلقى ربه.
- من السعادة سلامة القلب من الأمراض العقدية كالشك والسخط والاعتراض والريبة والشبهة والشهوة.
- أعقل الناس أعذرهم للناس. فهو يحمل تصرفاتهم وأقوالهم على أحسن المحامل. فهو الذي أراح واستراح.
- ﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ اقنع بما عندك، ارض بقسمك، استثمر ما عندك من موهبة، وظّف طاقتك فيما ينفع. واحمد الله على ما أولاك.

- لا يكن يومك كله قراءة أو تفكرا أو تأليفاً أوحفظا، بل خذ من كل عمل بطرف ونوّع فيه الأعمال فهذا انشط للنفس.
- الصلوات ترتب الأوقات فاجعل بعد كل صلاة عملاً من الأعمال النافعة.
- إن الخيرة للعبد فيما اختار له ربه. فإنه أعلم به منه، وأرحم به من أمه التي ولدته. فما للعبد إلا أن يرضى بحكم ربه، ويفوض الامر اليه، ويكتفي بكفاية ربه وخالقه ومولاه.
- والعبد لضعفه ولعجزه لا يدري ما وراء حجب الغيب. فهو لا يرى إلا ظواهر الأمور. أما الخواتي فعلمها عند ربي. فكم من محنة، صارت منحة وكم من بلية أصبحت عطية. فالخير كامن في المكروه.
- أبونا آدم أكل من الشجرة وعصى ربّه فأهبطه إلى الأرض. فظاهر المسألة أن آدم ترك الأحسن والأصوب ووقع عليه المكروه. ولكن عاقبة أمره خير عظيم، وفضل جسيم. فإن الله تاب عليه وهداه واجتباه. وجعله نبياً، وأخرج من صلبه رسلاً وأنبياء وعلماء وشهداء وأولياء ومجاهدين وعابدين ومتفقين. فسبحان الله كم بين قوله: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا﴾ وبين قوله: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ فإن حاله الأول سكن وأكل وشرب. وهذا حال عامة الناس الذين لا همّ لهم ولا طموحات. وأما حاله بعد الاجتباء والاصطفاء والنبوة والهداية فحال عظيمة، ومنزلة كريمة وشرف باذخ.
- وهذا داود عليه السلام ارتكب الخطيئة فندم وبكى. فكانت في حقه نعمة من أجلّ النعم. فإنه عرف ربه معرفة العبد الطائع الذليل الخاشع

المتكسر، وهذا مقصود العبودية فإن من أركان العبودية تمام الذل لله عز وجل. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوله ﷺ: «**عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيرا له**». هل يشمل هذا قضاء المعصية على العبد؟ قال: نعم: بشرطها من الندم والتوبة والاستغفار والانكسار.

فظاهر الأمر في تقدير المعصية مكروه على العبد، وباطنه محبوب إذا اقترن بشرطه.

• وخيرة الله للرسول محمد ﷺ ظاهرة باهرة. فإن كل مكروه وقع له صار محبوباً مرغوباً. فإن تكذيب قومه له؛ ومحاربتهم إياه كان سبباً في إقامة سوق الجهاد، ومناصرة الله، والتضحية في سبيله، فكانت تلك الغزوات التي نصر الله فيها رسوله، فتحاً عليه، واتخذ فيها من المؤمنين شهداء جعلهم من ورثة جنة النعيم، ولولا تلك المجابهة من الكفار لم يحصل هذا الخير الكبير والفوز العظيم، ولما طُرد ﷺ من مكة كان ظاهر الأمر مكروهاً، ولكن في باطنه الخير والفلاح والمنّة، فإنه بهذه الهجرة أقام ﷺ دولة الإسلام، ووجد أنصارا، وتميز أهل الإيمان من أهل الكفر، وعرف الصادق في إيمانه وهجرته وجهاده من الكاذب. ولما غُلب عليه الصلاة والسلام وأصحابه في أحد كان الأمر مكروهاً في ظاهره، شديداً على النفوس، لكن ظهر له من الخير وحسن الاختيار ما يفوق الوصف. فقد ذهب من بعض النفوس العجب بالنصار يوم بدر، والثقة بالنفس، والاعتماد عليها، واتخذ الله من المسلمين شهداء أكرمهم بالقتل كحمزة سيد الشهداء، ومصعب سفير الإسلام، وعبدالله بن عمرو والد جابر الذي كلمه الله وغيرهم، وامتاز المنافقون بغزوة أحد، وفضح أمرهم، وكشف الله أسرارهم وهتك أستارهم.. وقس على ذلك أحواله ﷺ، ومقاماته التي ظاهرها المكروه، وباطنها الخير له وللمسلمين.

- ومن عرف حسن اختيار الله لعبده هانت عليه المصائب، وسهلت عليه المصاعب، وتوقع اللطف من الله، واستبشر بما حصل، ثقة بلطف الله وكرمه، وحسن اختياره، حينها يذهب حزنه وضجره وضيق صدره، ويسلم الأمر لربه جل في علاه، فلا يتسخط، ولا يعترض، ولا يتذمر، بل يشكر ويصبر، حتى تلوح له العواقب، وتنقشع عنه سحب المصائب.
- نوح عليه السلام يُؤذى ألف عام إلا خمسين عاما في سبيل دعوته، فيصبر ويحتسب ويستمر في نشر دعوته إلى التوحيد ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، حتى ينجيه ربه ويهلك عدوه بالطوفان.
- إبراهيم عليه السلام يُلقى في النار فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ويحميه من النمرود، وينجيه من كيد قومه، وينصره عليهم، ويجعل دينه خالداً في الأرض.
- موسى عليه السلام يتربص به فرعون الدوائر، ويحيك له المكائد، ويتفنن في إيذائه ويطارده، فينصره الله عليه ويعطيه العصا تلتقف ما يأفكون، ويشق له البحر ويخرج منه بمعجزة، ويهلك الله عدوه ويخزيه.
- عيسى عليه السلام يحاربه بنو إسرائيل، ويؤذونه في سمعته وأمه ورسالته، ويريدون قتله فيرفعه الله إليه، وينصره نصراً مؤزراً، ويبوء أعداؤه بالخسران.
- رسولنا محمد ﷺ يؤذيه المشركون واليهود والنصارى أشد الإيذاء، ويذوق صنوف البلاء، من تكذيب ومجابهة ورد واستهزاء وسخرية وسب وشتم

واتهام بالجنون والكهانة والشعر والسحر والافتراء، ويُطرد ويُحارب ويُقتل أصحابه ويُنكل بأتباعه، ويُتهم في زوجته، ويذوق أصناف النكبات، ويهدد بالغارات، ويمر بأزمات، ويجوع ويفتقر، ويجرح، وتكسر ثنيته، ويشج رأسه، ويفقد عمه أبا طالب الذي ناصره، وتذهب زوجته خديجة التي واسته، ويحصر في الشعب حتى يأكل هو وأصحابه أوراق الشجر، وتموت بناته في حياته، وتسيل روح ابنه إبراهيم بين يديه، ويُقلب في أحد، ويُمزق عمه حمزة، ويتعرض لعدة محاولات اغتيال، ويربط الحجر على بطنه من الجوع، ولا يجد أحياناً خبز الشعير ولا رديء التمر، ويذوق الغصص ويتجرع كأس المعاناة، ويُزلزل مع أصحابه زلزالاً شديداً، وتبلغ قلوبهم الحناجر، وتعكس مقاصده أحياناً، ويبتلى بتيه الجبابرة وصلف المتكبرين وسوء أدب الأعراب، وعجب الأغنياء، وحقد اليهود، ومكر المنافقين، وبطء استجابة الناس، ثم تكون العاقبة له، والنصر حليفه، والفوز رفيقه، فيظهر الله دينه، وينصر عبده، ويهزم الأحزاب وحده، ويخذل أعداءه ويكبتهم ويخزيهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

- وهذا أبو بكر يتحمل الشدائد، ويستسهل الصعاب في سبيل دينه، وينفق ماله ويبذل جاهه، ويقدم الغالي والرخيص في سبيل الله، حتى يفوز بلقب الصديق.
- وعمر بن الخطاب يضرج بدمائه في المحراب، بعد حياة ملؤها الجهاد والبذل والتضحية والزهد والتقشف وإقامة العدل بين الناس.

- وعثمان بن عفان ذُبح وهو يتلو القرآن. وذهبت روحه ثمنا لمبادئه ورسالته.
- وعلي بن أبي طالب يُغتال في المسجد. بعد مواقف جليلة. ومقامات عظيمة من التضحية والنصر والفداء والصدق.
- والحسين بن علي يرزقه الله الشهادة. ويقتل بسيف الظلم والعدوان.
- وسعيد بن جبير العالم الزاهد يقتله الحجاج فيبوء بإثمه.
- وابن الزبير يكرمه الله بالشهادة في الحرم على يد الحجاج بن يوسف الظالم.
- ويُحبس الإمام أحمد بن حنبل في الحق. ويُجلد فيصير إمام أهل السنة والجماعة.
- ويُقتل الواثق الإمام احمدَ بنَ نصر الخزاعي الداعية إلى السنة بقوله كلمة الحق.
- وشيخ الإسلام ابن تيمية يسجن ويُمنع من أهله وأصحابه وكتبه. فيرفع الله ذكره في العالمين.
- وقد جلد الإمام أبو حنيفة من قبل أبو جعفر المنصور.
- وجُلد سعيد بن المسيب العالم الرباني. جلده أمير المدينة.
- ويُجلد مالك بن أنس إمام دار الهجرة من قبل والي المدينة.
- وضرب الإمام عبدالله بن عون العالم المحدث. ضربه بلال بن أبي بردة.
- ولو ذهبت أعدد من ابتلي بعزل أو سجن أو جلد أو قتل أو أذى لطال المقام ولكثر الكلام. وفيما ذكرت كفاية.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

*****

لطائف الله وإن طال المدى كلمحة الطرف إذا الطرف سجى

*****

آتيأس أن ترى فرجاً فاين الله والقدر

*****

فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الغائب الحزن

*****

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

*****

سيكفيك عمن أغلق الباب دونه وظن به الأقوام خبز مقمر

*****

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

*****

إن كان عندك يا زمان بقية مما يهان به الكرام فهاتها

*****

لعل الليالي بعد شحط من النوى ستجمعنا في ظل تلك المآلف

*****

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عائد الدهر إلا من له خطر

*****

لا أشرئب إلى ما لم أنل طمعاً ولا أبيت على ما فات حسرانا

*****

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

*****

واقرب ما يكون المر ء من فرج إذا يئسا

*****

وللبرء عقبى سوف يحمد غبها وخير الأمور ما تسر عواقبه

*****

كم مسرة حفت بك المكاره خار لك الله وأنت كاره

*****

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسور

*****

اتخذ الله صاحباً واترك الناس جانبا

*****

أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولن ترى طارداً للحر كاليأس

*****

وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

*****

رغيف خبز يابس تأكله في عافيه

وكوز ماء بارد تشربه من صافيه

وغرفة ضيقة نفسك فيها راضيه

ومصحف تدرسه مستنداً لساريه

خير من السكنى بأبراج القصور العاليه

وبعد قصر شاهق تصلى بنار حاميه

*****

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

*****

والناس يأتمرون الأمر بينهم والله في كل يوم محدث شانا

*****

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الصبر ما الله صانع

*****

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

*****

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

*****

إني وإن لمت حاسدي فيما أنكر أني عقوبة لهم

*****

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

*****

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر نفعاً وما أجدى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها فرج قريب

*****

رب أمـــر تتـــقـــيـــه جـــر أمـــرا ترتجـــيـــه

خـــفي المحـــبـــوب منه وبدا المكروه فـــيـــه

*****

كم نعـمـة لا يُسـتـقل بشكرها لله في طي المكاره كـــامنه

*****

اجـــارتنا ان الأمـــاني كـــواذب وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

*****

قد ينْعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

*****

والحـادثات وإن أصابك بؤسـها فهو الذي انبالك كيف نعيمها

*****

لكل امرئ فيه القضا سبب والدهر فيه وفي تصريفه عجبُ

*****

رب زمـــــان ذلـه أرفق بـك ولم يدم شيء على مـــر الفلك

*****

أتحســب أن اليـوس للمـرء دائم ولو دام شيء عده الناس في العجب

*****

فـلا تغـبطنْ المكثـرين فـإنه على قدر ما يعطيهم الدهر يسلبُ

*****

أيهـا الشـامت المعـيـر بالدهر أأنت المبـــرؤ الموفـــور؟

*****

ألـم تـر أن الـليـل لما تكـاملـت غـيـاهبـه جـاء الصبـاح بنورد

*****

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خلقه أمرُ

*****

عسى الله أن يشفي المواجع إنه ... إلى خلقه قد جاد بالنفحات

*****

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوّت إنسان فكدت أطيرُ

*****

تزداد همّاً كلما ازددنا غنىً ... والحزن كل الحزن في الإكثار

*****

كنز القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الحراس والدول

*****

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطعمت تاقت وإلا تسلّت

*****

الجوع يدفع بالرغيف اليابس ... فعلام أكثرُ حسرتي ووساوسي

*****

دار متى ما اضحكت في يومها ... أبكت غداً قبحاً لها من دار

*****

عسى فرج يكون عسى ... نعلل نفسنا بعسى

*****

اشتدي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج

*****

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب

*****

هل الدهر إلا كربة وانجلاؤها ... وشيكاً وإلا ضيقة وانفراجها

وقلت لقلبي إن نزا بك نزوة من الهم افرح أكثر الروع باطله

*****

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

*****

ولكل حال معقب ولربما أجلى لك المكروه عما يحمد

*****

تخوفني ظروف الدهر سلمى وكم من خائف ما لا يكون

*****

لا يملؤ الأمر صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

*****

تسل الهموم فليس شيء يقيم وما همومك بالمقيمه

*****

من عاش قضى كثيراً من لبناته وللمضايق أبواب من الفرج

*****

ربما تجزع النفوس لأمر ولها فرجة كحل العقال

*****

انعم ولذ فللأمور أواخر أبداً كما كانت لهن أوائل

*****

وكل الحادثات إذا تناهت فمقرون بها الفرج المتاح

*****

إن رباً كفاك ما كان بالأمس سيكفيك في غد ما يكون

*****

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

مُنىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

***

رب أمـــر سُـــر اخـــره بعـــدمـــا ســـاءت أوائلهُ

*****

ولا همّ إلا ســوف يفـــتح قـفلهُ ولا حـال إلا للفـتى بعـدها حالُ

*****

أكـــذب النفس إذا حـــدثتـــهـــا إن صـــدق النفس يزري بالأمل

*****

ولست أرى الســعـادة جـمـع مـال ولكن التـــقي هو الســـعـــيـــدُ

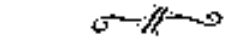

الخاتمـــة

أنا وأنت، هيا نقصد الغني الواحد الماجد، الأحدَ الصمدَ الحي القيوم، ذا الجلال والإكرام، لننطرح على عتبة ربوبيته، ونلتجئ إلى باب وحدانيته، نسأله ونُلِحُّ في السؤال، ونطلبه وننتظر النوال، فهو المعافي الشافي الكافي، وهو الخالق الرازق المحيي المميت.

﴿ ربنا آتنا في الدُنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة..

.اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شرّ ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ..

.اللهم إنا نعوذ بك من الهمّ والحزن، ونعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من البخل والجبن، ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال..

سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤

e-mail : pic@6oct.ie-eg.com